جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

٨٤
٢٠٠٨
١١٥
٢٠٠٥/٣٢
١/٢

"الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية العربية"

إعداد

منير تيسير منصور شطناوي

إشراف الأستاذ الدكتور

سمير شريف استيتية

حقل التخصص/اللغة والنحو

٢٠٠٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

"الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية العربية"

إعداد
منير تيسير منصور شطناوي

بكالوريوس في اللغة العربية جامعة اليرموك/١٩٩٣م

ماجستير في اللغة العربية / اللغة والنحو جامعة اليرموك/١٩٩٨م

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية

تخصص / اللغة والنحو
جامعة اليرموك
اربد/ الأردن
٢٠٠٣م

لجنة المناقشة:

١-الأستاذ الدكتور سمير استيتية .... مشرفا ورئيسا

٢-الأستاذ الدكتور حنا حداد ... .عضوا

٣-الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن ....عضوا

٤-الأستاذ الدكتور سلمان القضاة ....عضوا

٥- الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة .... عضوا

٢٠ ربيع أول/١٤٢٤هـ // ٢٢/أيار/٢٠٠٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الإهـــــــداء"

إلى أحق الناس بحسن صحابتي: أمي، التي كلما يممت وجهي شطرها لهجت تدعو ربها، أي ربّ: بالذي بيني وبينك، ولا أسأله غيرك: أنعم عليه بما تحب ويحب. فكان دعاؤها مستجاباً، لأنها سيدة هذا الحب.

إلى أبي المكرمات أبي الذي اتقدت شمعة العلم على يديه، فكان أباً ومعلماً.

إلى زوجتي التي شاطرتني الحياة حلوها ومرها، إلى ابني المنصور بالله: منصور.

أهـــــدي رسـالتــــــي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"شكر وتقدير"

"أتقدم بوافر الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية، الذي منحني وزملائي كل وقته وجهده، وغمرنا بفيض علمه، وكرم تلطفه، وسعة صدره، فكان أباً ومعلماً ومرشداً تحمل عبء تقويم هذه الرسالة، وتصحيح منآدها. والله أسأل أن يجزي أستاذنا خير الجزاء، وأن يبقيه للعربية وطلابها ذخراً وفخراً.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي في جامعة اليرموك، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور حنا حداد والأستاذ الدكتور سلمان القضاة والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها.

والشكر الموصول للأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة لتفضله بمناقشة الرسالة وتقويم ما ندّ منها. جزى الله أساتذتي خير الجزاء، فضلهم لا يفضي إليه شكر ولا يحيط به ثناء."

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتـــوى:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"بسم الله الرحمن الرحيم"

المقدمة :

استأثر موضوع الاقتصاد اللغوي شغل الباحث منذ أمد بعيد، فقد بزغت فكرته في سلسلة المحاضرات التي كان يلقيها الدكتور سمير استيتية على طلبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، وظل موضوعها فكرة تراودني كلما مرّ بي مظهر من مظاهر نزوع اللغة نحو الاقتصاد في سياقاتها. وأراني أتتبع كيفية استثمار اللغة إمكاناتها، ومدى تطويعها لوسائلها في تحقيق غاياتها، وكأني بها مستثمر أحكم تنفيذ ما شرع به، واستغل ما أتيح له دون أن يهدر طاقته في بلوغ مأربه.

ولما انعقد العزم على استكناه هذه الظاهرة، وتجلية أبعادها، فقد ارتأى الباحث أن يقف على مفهوم مصطلحاتها، وكان ولوج هذا الباب ضرورة اقتضاها الخلاف في مفهوم اللغة؛ لحمل ما فيها من مظاهر على الاقتصاد.

فعرض الباحث أهم وجهات النظر في فهم اللغة كما استقرّ عليها الحال عند علماء اللغة المحدثين، لا سيما وجهة النظر السوسيرية، مقابلاً إياها بوجهة نظر علماء اللغة السلوكيين، وعلماء اللغة الاجتماعيين، الذين اتخذوا منحى مغايراً لرأي سوسير وأتباعه في فهم اللغة، ليظل مفهوم اللغة بين الفريقين مدار خلاف مستمر.

ولست مبالغاً إن قلت إن شفاء الغليل في فهم حقيقة اللغة، يكمن في العودة إلى مفهومها عند المتقدمين، ولكن بالاستقراء الدقيق لآرائهم، وتجلية ما أثبتوه بكل تفصيل. ولهذا عرض الباحث مفهوم ابن جني (٣٩٢هـ) للغة وفق قراءة جديدة، تبدو فيها المناحي السيكولوجية التي استأثر بها سويسر وأتباعه، وتبدو فيها القيم الاجتماعية كما عرضها علم اللغة الاجتماعي، كما تظهر فيها الاتجاهات المادية التي اعتقدها علماء اللغة السلوكيون. وما كان القصد التوفيق بين هذه الأنظار ومفهوم ابن جني، وإنما انصرف الجهد إلى دعوة صريحة في ارتضاء مفهوم ابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جني، والعودة إلى استقراء مفاهيم تراثنا اللغوي بما حواه من قيم وأبعاد تستأهل الأخذ بها والاعتماد عليها. وأزعم أن تعريف ابن جني للغة من الوجهة التي عرضها الباحث يكفينا مؤونة البحث في أمرها، وإدراك كنهها، وحالي في هذا المقام حال الكثيرين من الباحثين الذين نهجوا هذا النهج وآمنوا بهذا المعتقد.

وبعد أن استقر الرأي في إثبات مصطلحات هذه الدراسة عرض الباحث إلى مفهوم الاقتصاد اللغوي وأهميته. واقترح الباحث بعض المصطلحات اللغوية لضبط هذه المسألة دون إسراف في طرحها ولا إجحاف في حدّها.

إن عرض مفهوم الاقتصاد اللغوي يستدعي بالضرورة فهم الاقتصاد كعلم وظاهرة، لذلك استعان الباحث بأفكار بعض علماء الاقتصاد الذين عنوا بمفهومه والتنظير له، وانطلاقاً من هذه الرؤى انعقد مفهوم الاقتصاد اللغوي، دون إغفال لتداعيات مفهوم هذا المصطلح من الوجهة اللغوية. وانتهى الباحث إلى اقتراح مفهوم للاقتصاد اللغوي يشمل أبعاد هذه الظاهرة ويفي بمتطلباتها.

ليس من نافلة القول أنّ مفهوم الاقتصاد اللغوي ظل إلى أمد قريب لدى كثير من الباحثين مقتصراً على زاوية واحدة من المنظور الكلي لها، وأعني بذلك فهم الاقتصاد اللغوي من وجهة الاختزال والاختصار، والحذف والإضمار ... وهذا وإن صح أحياناً فإنه لا يصح في كل حين، ولا يعدو أن يكون جانباً واحداً من جوانب كثيرة تحفل بها هذه الظاهرة، ومن هنا كان الحديث عن مبادئ الاقتصاد اللغوي كشفاً لتتمة تلكم الجوانب؛ لتكتمل منظومة هذه الظاهرة، وليصار إلى تصحيح الرؤية الاقتصادية في اللغة.

أما مبادئ الاقتصاد اللغوي كما ارتآها الباحث فهي: مبدأ السهولة، مبدأ بذل الجهد الأدنى، مبدأ التوازن،ومبدأ التخطيط والتوزيع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتتبع للظواهر اللغوية ذات الأبعاد الاقتصادية يجدها تتطور في اقتصادها من حال إلى آخر، ومن هنا عرض الباحث لصلة الاقتصاد اللغوي بالتطور في اللغة، ضارباً بعض الأمثلة في التدليل على هذه المسألة، ومجتهداً في إثبات حيوية اللغة في إنماء هذه الظاهرة وتفعيلها.

ومما شغف به الباحث العناية بالجوانب الذهنية النفسية، عند الحديث عن الظاهرة اللغوية، لإيمانه المطلق بأنه ما من ظاهرة لغوية إلا ذات ارتباطات نفسية، ولا يحيد الاقتصاد اللغوي عن هذا الصراط، ولذلك عرض الباحث للأبعاد السيكولوجية للاقتصاد اللغوي ممثلاً على ذلك بشواهد مختلفة، وأمثلة متعددة.

هذه جملة القضايا التي عرضها الباحث في الفصل الأول من هذه الدراسة وقد تخللها مناقشة كثير من المسائل والأنظار اللغوية وتسجيل ما لها وما عليها.

أما الفصل الثاني فقد تتبع فيه الباحث الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية للصوامت في العربية، مستعرضاً أهم الظواهر اللغوية التي تبدو فيها اقتصاديات اللغة وهي: الإبدال بشقيه، السماعي والقياسي، واعتمد الباحث على ما تقدمه معطيات علم الأصوات التجريبي في المختبرات الصوتية في كشف مناحي الاقتصاد اللغوي في سياق صوامت اللغة. حيث تبرز الصور الطيفية للسياقات الصوتية قراءات رقمية دقيقة قام الباحث بجدولتها، ومقارنة أحوالها قبل الظاهرة وبعدها؛ للاستدلال على الاقتصاد اللغوي في السياق الصوتي المدروس.

وقد استنّ الباحث هذا النهج في بقية الظواهر الصوتية الأخرى كالإدغام الذي قسمه إلى متماثل ومتقارب، بعد مناقشة مفهومه وغايته، مستعرضاً آراء المتقدمين والمحدثين فيه.

واستخلص الباحث تصوراً عرض فيه الإدغام بين المتقاربين وفق طريقة مجدولة يتقابل فيها الصوتان المدغم والمدغم فيه مع بيان المخرج والصفات النطقية لكليهما. كما عنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباحث بترتيب هذه الجدولة اعتماداً على ما استخلصه من إجماع عند علماء اللغة. ثم كانت مرحلة تحليل هذه الجداول والتعليق عليها لاستقصاء ما توفره من اقتصاد لغوي.

وانتقل الباحث للحديث عن الحذف الصامتي كمظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي في الصوامت فتناول أهم جوانبه كحذف الهمز، والحذف لتوالي الصوامت المتماثلة أو ما يسمى "توالي الأمثال"، والحذف لالتقاء الساكنين، ولم تخل مسائل هذا الحذف من قيم دلالية عرض لها الباحث ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وكان الباحث وهو يشرع في سبر أغوار كل اقتصاد لغوي في سياقات اللغة الصوتية لا ينفك يصل هذا المظهر الاقتصادي بما قدم له في الفصل الأول من دراسة نظرية أطّر فيها لمفهوم الاقتصاد اللغوي، ومبادئه وأبعاده السيكولوجية والتطورية.

أما الفصل الثالث فاختص بدراسة الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية للحركات وأشباه الحركات في العربية، أما الحركات فتمثلت مظاهر الاقتصاد اللغوي فيها، بالتماثل والتخالف الحركي، وتقصير الحركة وحذفها.

وكل مسألة من هذه المسائل تضمنت جملة من القضايا التي تندرج في مسلك واحد تحتها: كالإمالة، والاتباع في التماثل الحركي، والمراوحة النوعية في الحركات الإعرابية، والمخالفة الحركية بين عين الماضي ومضارعه في التخالف الحركي.

أما تقصير الحركة فاستعان الباحث بمؤشرات تحليل الصور الطيفية لبيان أطوال الحركات كما دلت عليها التجارب المخبرية، وعرض الباحث لمواطن تقصير الحركة في اللغة، كما هو الحال في تقصيرها مع الأسماء الستة عند إضافتها وفق حال المضاف ووصفه. وكتقصيرها في الضميرين هو وهي وتقصيرها في سياق الاستفهام أيضاً، مع التدليل على ما يكتنف هذا التقصير في مجموعة أمثلته من قيم دلالية اجتهد الباحث لإثباتها، والاستشهاد عليها بأقوال العلماء والدارسين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يخص حذف الحركة فقد مثّل له الباحث بإسقاط حركة الآخر وقفاً ووصلاً في بيان الاقتصاد اللغوي، موضحاً طبيعة النشاط النطقي، وأثره في تفعيل الاقتصاد اللغوي في سياق حذف الحركة. وعرّج الباحث على حذف الحركة في بعض الصيغ الصرفية التي ترد في اللغة في غير صورة، فتذكر معها الحركة وتحذف دون الاكتفاء بنسبة هذه المسألة إلى ظواهر لهجية، وإنما اجتهد الباحث في تعليلها وفق منظور الاقتصاد في اللغة، وربط ذلك كله بما يستشرف من دلالة توحي بها الظاهرة وبين الباحث ما يكتنف حذف الحركة (وتقصيرها) من تجليات لمبادئ الاقتصاد اللغوي، كحفظ توازن السياق وتوزيع إيقاعاته وضبط اتجاهاته.

أما أشباه الحركات فقد تعرض الباحث إلى الاقتصاد اللغوي في مسائل إبدالها من الهمزة أولاً؛ لمّا كانت هذه المسألة قد شغلت الباحثين وكثر فيها الأخذ والرد، حتى أنكر كثير منهم عقد الإبدال فيها، وحاول الباحث جاهداً مناقشة آراء هذا الفريق وانتهى إلى بيان كيفية ما يجري من إبدال بين الهمزة وأشباه الحركات، انطلاقاً من معطيات الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية لكليهما. ثم انتقل الباحث إلى مناقشة الإبدال بين الحركات وأشباه الحركات مستعرضاً آراء المتقدمين والمحدثين، ومسجلاً ما يحمد ويؤخذ على آراء الفريقين، ومحاولاً إثبات مفهوم الاقتصاد اللغوي ومبادئه في صيرورة هذا الإبدال.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة قد أفادت من معطيات نظم المعلومات وما توفره شبكة المعلومات الدولية، وبدا ذلك فيما يجده القارئ من صور التحليل الطيفي للسياقات الصوتية، التي اتكأ الباحث فيها على برنامج (SFS): Speech Filing System ، مما كان له أكبر الأثر في تحليل الأصوات والاطلاع على تطورات علم الأصوات ومستجداته الحديثة.

وبعد فإن وفقت فيما قدمته فبمنّ الله وفضله، وإن كان غير ذلك فالله أسأل أن يقيل عثرتي وأن يقوّم اعوجاجي، وحسبي أنني اجتهدت، ولكلِ مجتهداً أجر أو أجران.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

اللغة والاقتصاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

<u>اقتصاد لغوي أم اقتصاد صوتي؟</u>

كان مما عرض للباحث بعد أن عقد العزم على هذه الدراسة مسألة تتشعب فيها وجـهات النظر، وتتباين معها الآراء والفكر، وهي: ما يدور من جدل حول المصطلح الدقيق في بحثٍ ما في أصوات العربية من اقتصاد، أهو اقتصاد لغوي في الأصوات أم اقتصاد صوتي في اللغة؟

ومنشأ هذا الخلاف في ظني يتأتى من الخلاف في مفهوم اللغة أصلا، فما الـــذي دفـــع القائلين بمصطلح "الاقتصاد الصوتي" غير اعتقادهم بأن اللغة بنية ذهنية ونظام تجريدي، وكل ما أحسست به منها فهو من تمثلها المادي الذي لا سبيل له إلا سياقاتها الصوتية. في حيـــن يـــرى فريق آخر أن ما ننطقه ونسمعه استناداً إلى "التفاعل الذهني النطقي السمعي" هو ما يطلق عليـــه "اللغة".

ولما شاع مفهوم اللغة بالوجهة التي عرضها (دي سوسير) في مطلع القرن العشـــرين ــ كما سيمر بنا ــ نظر كثير من الباحثين إلى اللغة نظرة تجريدية صرفة، وجعلوا كل ما يتصـــل باللغة من حيث هي مفهوم، وما ينطق وما يسمع من أصوات، إنما هو من باب الكلام لا اللغـــة. وانطلاقا من هذه الرؤى انبثق السؤال المطروح: كيف يبحث عن مجرد في محسوس؟! بمعنـــى كيف يتم البحث عن اللغة في الأصوات؟

ويبدو هذا التساؤل منطقيا للوهلة الأولى، بيد أن الإجابة عنه ليست بتوضيح كيفية البحث عن مجرد في محسوس ــ وإن كان ذلك ممكنا ــ وإنما تكمن الإجابة في مناقشة مدى صحـــة التساؤل المطروح نفسه، لأن مما يحتكم إليه العقل أن يجيب المسؤول عن سؤل السائل إذا وافق المجيب السائل في صحة معطيات تساؤله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل اللغة ـــ حقيقة ـــ كما يصورها سوسير وأتباعه؟ وهل هو اقتصاد صوتي أم لغوي؟

يرى الباحث أن هذه التساؤلات تقتضي الوقوف بادئ ذي بدء على حقيقة اللغة ومفهومها ومعرفة أبعادها، حتى يصار إلى الإجابة عما يتساءلون.

اللغة، مفهومها وحقيقتها:

لم يكن تعريف اللغة بالأمر اليسير الذي يسهل الاتفاق عليه، يقول إبراهيم أنيس [١]:-

"اللغة مع وضوح أمرها وجريانها على كل لسان، وجد الدارسون في تعريفها تعريفا دقيقاً بعض المشقة والعنت، وانقسموا بهذا الصدد إلى فرق وطوائف...".

وأكد هذه الحقيقة كثير من الباحثين المحدثين، يقول أنيس فريحة[٢]: "ما هي اللغة ؟ لن نجيب عن هذا السؤال الذي يبدو بسيطاً بتعريف جامع مانع.. لأن صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالأمر اليسير كما قد يتبادر إلى الذهن".

ويرى بعض الباحثين أن اللغة البشرية نظام بالغ التعقيد، ومعرفتها أمر ينم عن إنجاز ذهني عجيب لمخلوق لم يخلق خصيصاً لإنجاز هذا الأمر[٣].

وذهب (جفري سامبسون) إلى أنه "ليس من الملائم أن نفسر كلمة (اللغة) على أنها وسيلة مفيدة للدلالة على شتى مميزات الحياة الفكرية الذاتية المحضة لأمة من الأمم..

لأن وضع اللغة كمادة للدراسة، العلمية ما زال مشكلة[٤].

---

(١) **اللغة بين القومية والعالمية**، ص١١.

(٢) **نحو عربية ميسرة**، أنيس فريحة، ص٣٢. وانظر ***اللغة والطفل***، حلمي خليل، ص٤٣

(٣) محاضرات ودن، **تأملات في اللغة**، تقديم تشومسكي، ترجمة مرتضى باقر، ص١٥.

(٤) ***مدارس اللسانيات***، التسابق والتطور، جفري سامبسون، ترجمة محمد زياد، كبة، ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان كمال بشر قد نفى تأجج حمى الخلاف في هذه المسألة وحاول التهدئة، إلا أنه لم يزد في محاولته هذه عن حصر أسباب الخلاف فيها، وهو اعتراف واضح بأن هوة الخلاف متسعة ووجهات النظر متباينة ومتشعبة[١].

وربما كان أكثر الباحثين تفصيلاً لوجهات النظر المختلفة في فهم اللغة (جون ليونز) في كتابه "اللغة وعلم اللغة" ؛فقد قدم وناقش ونقد خمسة آراء من تعريفات اللغة، وانتهى إلى القول بالنظام اللغوي الذي يقارب وجهة نظر (سوسير) في فهم اللغة، على نحو ما سنوضحه لاحقا[٢]. لقد استأثر البحث في مفهوم اللغة وحدها جل اهتمام الباحثين في علم اللغة في العصر الحديث، وكثرت الآراء في هذه المسألة وتشعبت حتى كان الخلاف فيها أكثر من الاتفاق عليها.

وأزعم أن مرد ذلك إلى البناء العلمي والثقافي، وما توافر من بنى معرفية لدى الباحثين، جعلت كل باحث ينظر إلى اللغة من الوجهة التي يتبناها، فتجد بعضهم ينظر إليها من وجهة اجتماعية أو سلوكية أو نفسية أو وظيفية... وهذا سمت ذائع في العلوم الإنسانية قاطبة. ولن أخوض في آراء الباحثين لا سيما المعاصرين منهم في تعريف اللغة، فذاك أمر يسهل العثور عليه في مظانه، ولكن الباحث يؤثر أن يكتفي بالإشارة إلى أشهر التعريفات في هذا الميدان، وتسجيل ما لها وما عليها، سعياً إلى الوقوف على مفهوم مرتضى يصور حقيقة هذه الخصيصة الإنسانية. لعل أكثر ما يشيع لدى الدارسين في تعريف اللغة هو التعريف الذي قدّمه (سوسير)[٣]،وعرف به اللغة استناداً إلى التفريق بينها وبين الكلام .

---

[١] انظر: **علم اللغة الاجتماعي**، كمال بشر،ص٦٠، وما بعدها، وانظر ص ١٣٥.

[٢] انظر: **اللغة وعلم اللغة**، جون ليونز، ترجمة مصطفى التوني، ١٩٨٧ ص ص٤-١٤

[٣] من الباحثين الذين تبنوا رأي سوسير : أحمد محمد المعتوق في **الحصيلة اللغوية**، عالم المعرفة، ص٣٣، وتمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٤، وإبراهيم أنيس في اللغة بين القومية والعالمية، ص١١، وحازم علي كمال الدين في دروس في علم اللغة العام، ص٧ ، وميشال زكريا في الألسنية علم اللغة الحديث، ، ص١٨ وغيرهم..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سوسير[1]:

"إنها (اللغة) نتاج المجتمع للملكة الكلامية، وتجميع للتقاليد الضرورية التي أقرها المجتمع؛ لتسمح للأفراد بتدريب ملكاتهم ....". ويضيف [2]: "اللغة ليست موجودة بالكامل عند أي متكلم، إن وجودها الكامل فقط داخل المجموعة،.. إنها الجانب الاجتماعي للكلام، إنها خارج نطاق الفرد.. إنها نظام من العلامات التي يكون توحد المعاني والصور الصوتية فيها الشيء الأساسي والوحيد".

أما الكلام فقد رآه سوسير حدثاً فردياً ومظهراً مادياً للغة، يقول[3]:

"في فصل اللغة عن الكلام، فنحن نفرق في نفس الوقت : بين ما هو اجتماعي وما هو فردي.... أما الكلام بالمقابل فهو حدث فردي".وقد أفاض الباحثون في مناقشة سوسير في رأيه وتناولوه بالأخذ والرد، وخالفه كثير من الباحثين لاسيما علماء اللغة الاجتماعيين . يقول كمال بشر معلقاً على رأي (سوسير) [4] :

"وقد قوبل هذا الزعم بتحديات واعتراضات قوية من اللغويين الاجتماعيين، وبخاصة المهتمون منهم بالدراسات اللهجية والأنثروبولوجية الذين لا يفرقون... بين اللغة والكلام... بل إن بعضهم يكاد يحصر اهتمامه في هذا الكلام وتنوعاته، على أساس أن هذه التنوعات كاشفة عن

---

(1) **فصول في علم اللغة العام**، فرديناند دي سوسير، ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية واد باسكين، ترجمه إلى العربية، أحمد نعيم كراعين،، ص٣١، وانظر تفصيل آراء سوسير في "**مدارس اللسانيات**. التسابق والتطور، جفري سامبسون -ص ص٢٥-٥١.

(2) **المرجع السابق**، ص ٣٧

(3) **فصول في علم اللغة العام**، سوسير ص ٣٧.

(4) **علم اللغة الاجتماعي** ، كمال بشر، ص ٤٩، وقد أشار بشر إلى ثنائية المقدرة، (الكفاية، الطاقة) (Competence)، والإنجاز (الأداء)، (Performance)، عند تشومسكي التي يصفها بشر بأنها تشبيه ولا تماثل ثنائية، سوسير، اللغة والكلام، انظر ص٥١، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهوية الاجتماعية للأفراد. وعلى أساس أنها ليست في حقيقة الأمر إلا صوراً للمخزون اللغوي المزعوم استقراره في ذهن المجموعة اللغوية المعنية".

ويقدم الباحثان (بول فابر وكريستان بايلون) نقداً لرأي سوسير سجلا فيه عدة مآخذ أهمها [١]: "أنه يحض على الاعتقاد بأن الكلام يملك ترتيباً منفصلاً عن اللسان (اللغة). والحال أن الكلام ليس سوى تجسيد لترتيب اللسان، وهو يفترض أن الكلام نشاط شخصي، فيضطر إلى أن ينكر أن للنشاط اللساني معايير اجتماعية."

إن الكلام الذي تحدث عنه سوسير لا يمكن أن يكون إلا نمطاً اجتماعياً، بمعنى أنه ليس ثمة صبغة فردية يتسم بها حتى في محادثة المرء نفسه، وذلك لأنه يجرد من نفسه مستقبلاً خاصاً يحادثه ويخاطبه. وربما كان العالم (هدسون) من أكثر علماء اللغة الاجتماعيين حملاً على رأي (سوسير)، فقد خطّأه في زعمه أن الكلام مسألة فردية تماماً، وأن اللغة مسألة اجتماعية. ويشير (هدسون) إلى أن الكلام يسمح لنا بالاتصال فيما بيننا على مستوى أكثر تركيباً وتعقيداً، عما لو لم يكن هناك كلام، ولأن الاتصال نشاط اجتماعي، يمكننا القول بأن الكلام نشاط اجتماعي أيضاً...... [٢]".

ومن الذين نقدوا رأي سوسير أيضاً (يسبرسن) الذي يرى أن أكثر الكلام فردية، لا بد أن يكون مشروطاً من الناحية الاجتماعية، وفي كل نطق كلامي عنصر اجتماعي"[٣].

أما (تشومسكي) فيعدّ اللغة مجموعة من الجمل المحددة في طولها، المكونة من مجموعة من العناصر المحددة[٤] ، وناقش كثير من الدارسين طرحه ثنائية المقدرة(الكفاية) والإنجاز

---

(١) **مدخل إلى الألسنية**، بول فابر، كريستان بايلون، ترجمة طلال وهبة، ص٥٩.

(٢) **علم اللغة الاجتماعي**، هدسون، ترجمة محمود عبد الغني عياد، ص١٨٢، ١٨٣.

(٣) **مناهج البحث في اللغة**، تمام حسان، ص ٤٣.

(٤) **البنى النحوية**، تشومسكي، ترجمة، يوئيل يوسف عزيز، ص١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الأداء) التي تقابل ثنائية (سوسير): اللغة والكلام في دراسة اللغة[1].. وسجلوا عليها المأخذ نفسه الذي سجل على ثنائية (سوسير): اللغة والكلام، يقول كمال بشر[2]:

"ومهما يكن من أمر فثنائية (تشومسكي) في أول الأمر ــ شأنها في ذلك شأن ثنائية سوسيرـ لا تترك مجالاً من أي نوع للنظرة الاجتماعية إلى اللغة".

ويرى الباحث أن قصر البعد الاجتماعي على اللغة دون الكلام ضرب من التعسف، فالكلام الذي نمارسه لا يتم في عزلة ، وإنما تنعقد أواصر الربط الاجتماعي في العملية الكلامية. وما التجريد والتشخيص ومناجاة من لا حياة فيه إلا ضرب من الكينونة الاجتماعية التي يأوي إليها المتكلم، سواء أكان في نشوة شاعرية أم يقظة تخاطبية.

فكل ما نتكلم به لا يخلو أن يكون من العقد الاجتماعي الذي يعرف به الإنسان أصلاً فهو مخلوق اجتماعي، حتى لو كان يعيش وحده، فليس النظر إلى حجم المجتمع من الناحية الكمية، وإنما من حيث كينونة الإنسان في نفسه التي ترى ذاتها حية في وسط يحكمه المجتمع. ولهذا يفرض الفرد على نفسه قيوداً اجتماعية لا يجد إلى الخروج منها سبيلاً.

ولعل ما قدمه عبد الصبور شاهين يلخص وجهة نظر علماء اللغة الاجتماعيين في رد رأي (سوسير) ومن جاراه، يقول[3]:

"إن جميع الأحداث الاجتماعية تبدأ فردية، ثم يتسع نطاقها شيئا فشيئا، إلى أن تصطبغ بالصبغة الجماعية. وأما قولة بأن الكلام من نتاج الأفراد على حين أن اللغة من نتاج المجتمع فقول مردود إذ إن الجماعة ليست سوى مجموعة من الأفراد.. ".

---

(١) انظر : **علم اللغة الاجتماعي**، كمال بشر، ص١٥٥.

(٢) انظر: **المرجع نفسه** ص٥٩.

(٣) **في علم اللغة العام**، عبد الصبور شاهين،١٩٨٤، ص٤٨، وانظر: **علم اللغة الاجتماعي**، كمال بشر، ص١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى بعض الباحثين أن (سوسير) قد بالغ في تجريد اللغة وحصرها في العقلية الجماعية، يقول على عبد الواحد وافي[1]:

"وقد بالغ جماعة من العلماء في تقدير هذه الآثار (الآثار الاجتماعية) على اللغة.... ومن أشهر أفراد هذه الطائفة... سوسير... ومن الإفراط في تقدير هذه العوامل أن ننسب إليها كل شيء ... فقد رأينا أن قسطاً غير يسير من ظواهر اللغة ترجع أسبابه إلى عوامل جغرافية، وقسماً.. إلى عوامل جسمية فيزيولوجية أو نفسية فردية."

ويستنكر تمام حسان حرمان اللغة من الجانب الفردي الذي قد يسهم في التأثير في اللغة إسهاماً فعّالاً. وهذا من جملة المآخذ التي يُردُّ بها على (سوسير) ونظرته إلى اللغة.

يقول تمام[2]: "ومعلوم أن بعض التعبيرات اللغوية تأتي أولاً عن طريق الأفراد، ثم يرضاها المجتمع فيستعملها، فكيف تحرم اللغة إذاً من عنصرها الفردي حرماناً تاماً؟".

يتبين لنا مما سبق أن اللغة والكلام خصيصتان اجتماعيتان ، لا وجود لهما إلا في كنف المجتمع، وأن ما ذهب إليه سوسير وغيره ممن جعل الكلام سمة فردية لا يثبت أمام الطبيعة الإنسانية التي تعرف بأنها اجتماعية في طبعها، واللغة أهم مميزاتها.

ومما يجدر ذكره أن كثيرا من الباحثين قد أخذوا على (سوسير) مغالاته في إيلاء الجانب الذهني من اللغة عناية فائقة، ومن هؤلاء تلميذه (شارل بالي)[3]. والمبالغة التي أشير إليها عنده تكمن في المغالاة المغرقة في تجريد اللغة، فاللغة عنده قدرة ذهنية لا وجود لها من

---

(١) **علم اللغة**، علي عبد الواحد وافي، ص٢٦٦.

(٢) **مناهج البحث في اللغة**، تمام حسان، ص ٣٦.

(٣) **مناهج البحث في اللغة** ص٣٦، وانظر: **في علم اللغة العام**، عبد الصبور شاهين، ص٢٩، وانظر: **علم اللغة الاجتماعي**، كمال بشر، ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناحية المحسوسة، وهي محصورة في الذهن، والكلام هو الجانب الأدائي المادي لها، يقول (روي، سي، هجمان)، أحد المؤيدين لوجهة نظر (سوسير) [١]:

"اللغة قدرة ذهنية مكتسبة، وهي تكمن في ذهن مستعملي اللغة، وتمكنهم لا شعوريا في أغلب الأحيان، من إنتاج تعابير لغتهم كلاما أو كتابة عندما يستخدمونها. أما الكلام فهو مجرد صورة للغة وليس اللغة نفسها". ولكن الكلام وإن بدا أداء عمليا فإنه لا ينفك عن الجانب الذهني ألبتة. وبذلك يغدو التفريق بين اللغة على اعتبارها بعدا ذهنيا والكلام على اعتباره بعدا ماديا، يغدو أمرا بالغ التعقيد، فالكلام لا يتم إلا وفق أنظمة اللغة، واللغة لا تتحقق إلا بالكلام، فهما على قدر من التعالق الذي يجعلهما كوجهي الورقة الواحدة، ولا تقوم الورقة مكتفية بأحد وجهيها. يقول (بول فابر) [٢]:

"ولا يمكن الفصل بين الإفهام والأصوات التي تنقلها، فلا يكون الدال من دون المدلول ولا المدلول من دون الدال، وإنهما متماسكان كوجهي قطعة قماش، لا يمكن إحداث ثقب في وجه دون الآخر".

إن اللغة لا تتحقق إلا منطوقة، ولا يثبت لها وجود إلا من خلال العملية النطقية. ولهذا كان النطق الحقيقة الوحيدة التي نتعرف من خلالها على اللغة. ولذلك كان أكثر الدارسين رفضا لنظرة (سوسير) إلى اللغة باعتبارها نظاما ذهنيا، علماء اللغة السلوكيين، وعلى رأسهم (بلومفيلد) وإن كان هؤلاء قد أغفلوا أيضا الجوانب الاجتماعية لها[٣] .

---

(١) **اللغة والحياة والطبيعة البشرية**، روي سي، هجمان، ترجمة داود حلمي، أحمد السيد، ص ١٨.

(٢) **مدخل إلى الألسنية**، تأليف بول فابر، كريستان، بايولن، ترجمة طلال وهبة، ص ١٢، وانظر ص ٥٩.

(٣) انظر تفصيل هذا الرأي في كتاب: **علم اللغة الاجتماعي**، كمال بشر، ص٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتبين مما سبق أن ثمة رأياً قوياً يصرح بالحقيقة المادية للغة المتمثلة في الجانب الصوتي منها، وقد لخص علي شتا رأي القائلين بهذه الحقيقة، يقول[1]:

"تعرف اللغة من حيث معناها العام بأنها عبارة عن مجموعة من الرموز تعارف الناطقون بها على دلالة ومعنى كل رمز منها، ويستعملونها في التفاهم بينهم".

وما الإصرار على نفي أي مظهر مادي للغة إلا ضرب من التطرف والتعسف، كما أن عد اللغة بنية ذهنية تجريدية، كما ذهب (سوسير)، يوقع في متاهة الخلط بين اللغة والفكر[2]. ولنا أن نتساءل: أي جانب أدائي في الإنسان لا يكون منبثقاً عن نظام ذهني تحكمه بنية عقلية خاصة؟ إن النظام الذهني المختزن في عقل الجماعة الذي أشار إليه (سوسير) ولفيف من الباحثين، لا يمكن عزله أو فصله عن جملة البنية الذهنية التي تميز الإنسان من غيره.

ويرى الباحث أن مفهوم اللغة والكلام من حيث هي خصيصة إنسانية وظاهرة اجتماعية يمكن أن نقع عليه عند اللغويين العرب المتقدمين الذين تناولوا هذا المفهوم بحثاً ودرساً، وهو المفهوم الذي قدّمه ابن جني (٣٩٢هـ) وتداوله العلماء من بعده، يقول ابن جني[3]: "أما حدّها (اللغة) فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". أما الكلام فعرفه بقوله[4]: "أما الكلام فكل

---

(1) **علم الاجتماع اللغوي**، السيد علي شتا، ص٤٤

(2) هذا الخلط حاصل عند كثير من الدارسين السيكولوجيين، يقول أنيس فريحة: يقول لنا بعض السيكولوجيين إن اللغة هي الفكر ذاته، أو هي أساس الفكر وطريق الإنسان للفكر، ويؤكد بعضهم أننا لا نستطيع التفكير بدون كلمات، فإذا قبلنا هذا التحديد – بأنها أداة للفكر – نكون قد فصلنا الفكر عن أداة التعبير عن الفكر، وهذا مما لا يقبل به البعض... وإذا قبلنا هذا التحديد ألا نكون قد عظمنا ملايين الناس الذين يتكلمون ولكنهم لا يعبرون عن الفكر؟... "، انظر **(نحو عربية ميسرة)**، أنيس فريحة، ص ٣٤-٣٥.

(3) **الخصائص**، ابن جني، ج١، ص ٣٤، وعرفها ابن سنان الخفاجي(١٠٦٩هـ) بأنها "عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام" انظر: **سر الفصاحة**، ابن سنان الخفاجي، ص٣٩. واعتمد رأي ابن جني كثير من الباحثين، انظر علم اللغة، محمد علي الخولي، ص ١٢-١٣.

(4) **المصدر نفسه**، ج١، ص١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام".

ويقول أبو منصور الجبَّان (ت٤١٦هـ) في تعريف الكلام[١]:" الكلام أصوات قطعت ضرباً من التقطيع وألفت ضرباً من التأليف ووضعت للإفهام".

إن فهم اللغة والكلام على هذا النحو واضح في دقته وسلامتة ، وسبقني إلى الثناء عليه كثير من اللغويين المحدثين، يقول محمود فهمي حجازي [٢]: "وهذا (تعريف ابن جني) تعريف دقيق يذكر كثيراً من الجوانب المميزة للغة، أكد ابن جني أولاً الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم".

إن ما قدمه ابن جني في تعريف اللغة والكلام لا يعني بحال أنهما لا يعتمدان على القدرة الذهنية، وحسبك قوله (تعبِّر) في تعريفه، وقوله (أغراضهم)، إذ يشير بهما إلى ما ينعقد في الذهن من تصور وما يدور فيه من أفكار. ولقد صدق ظن ابن جني في تسمية ما تمَّ معناه، بعد التلفظ به كلاماً، وصدق ظنه في تسميته لغة لما كان أصواتاً عُبِّرَ بها عن غرض في النفس، فكان كل كلام لغة وليس كل لغة كلاماً.

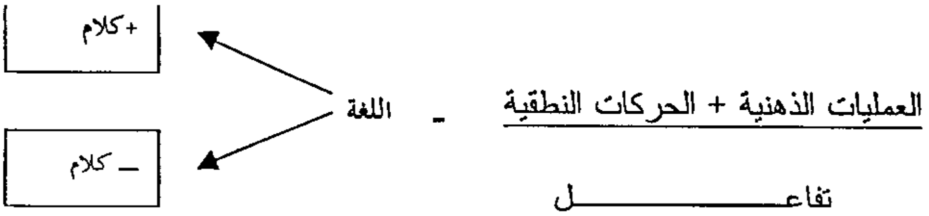
يرى الباحث أن ارتباط الجانب الذهني (الفكر) بالجانب الأدائي سواء أكان لغة أم كلاماً إنما هو في حقيقته مركب من غير عنصر، وتتم اللغة بمعادلة تفاعلية، يمكن رسمها على النحو الآتي :-

---

(١) **شرح الفصيح في اللغة**، أبو منصور الجبّان، ص ٨٧. وانظر **أسرار العربية**، الأنباري ص١٣

(٢) **علم اللغة**، محمود فهمي حجازي، ص٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



يمكن أن تقابل مفردات هذه المعادلة ما جاء في تعريف ابن جني على النحو الآتي :-

مفردات علم اللغة الحديث		مفردات مفهوم ابن جني
الحركات النطقية	⟺	الأصوات
العمليات الذهنية	⟺	الأغراض
التفاعل	⟺	التعبير

ولا بد من تأكيد الصيغة الاجتماعية للغة التي لا يمكن تصورها بدونها كما مرَّ سابقاً؛ لأنها من طبيعة الإنسان أصلاً. وهذا الجانب يمكن أن نتلمسه في تعريف ابن جني بين المفردتين: المجتمع ⟺ قوم

ثمة خصيصة تذكر لتعريف ابن جني الذي يرتكز على عدّ اللغة في أصل حدّها أصواتاً لا شيئاً آخر. وهذه الخصيصة تبدو مآثرها عند مقابلتها بالكلام وفق وجهة نظر (سوسير)، ومن حذا حذوه من علماء اللغة، فالكلام أو الأداء الذي يعد الجانب المادي لترجمة ما في الذهن لا يقتصر على إنتاج الأصوات، بل يشمل كل وسيلة عبّرت بواسطتها، يقول (جورج مونان)[1]:

"كما أشار (فندريس) أن كل الأعضاء يمكن أن تصلح لخلق كلام ... (الإيمائية) كلام.... الضحك كلام..... الدموع كلام.... ففي هذا المنحدر يصبح كل من الرسم والنحت والموسيقىُ كلاماً "

(١) **مفاتيح الألسنية**، جورج مونان، ترجمة الطيب البكوش، وتجدر الإشارة إلى أن جورج مونان قد ناقش مفهوم سوسير للغة ورد على كثير من آرائه فيها انظر ص ٤٩-٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يخفى أن هذه السعة في إطلاق مصطلح الكلام، وفق وجهة (سوسير) وأتباعه، يستغني عنها تعريف ابن جني للغة. ولعل هذا الرأي يسري على جملة التعريفات التي ساقها (مونان) للكلام أيضاً[1].

إذا كانت نتيجة التفاعل بين العمليات الذهنية والحركات النطقية هي اللغة، فإن هذه المعادلة تفضي إلى عدم عدّ اللغة نشاطاً أدائياً وتطبيقاً عملياً، وإلى تجاهل كونها بنية ذهنية، ونظاماً تجريدياً، لتكون مركباً من الأمرين معاً. وهذا يعني بالضرورة أننا أمام شيء جديد مختلف عن مكوناته، فاللغة فهي النتاج الجديد في تفاعل العمليات الذهنية مع الحركات النطقية، مثلما أن أي مركب يختلف عن عناصره المكونة له.

وبذلك لا تكون اللغة لغة إلا إذا كانت أصواتاً معبّرة عمّا في الذهن من فكر. ولا يكفي أن تكون أصواتاً لأن ثمة أصواتاً تصدر عن الإنسان ليست من اللغة ويشاركه فيها غيره، كما لا يكفي أن تكون أفكاراً لا تحقق لها من الناحية الوجودية المحسوسة. وهذا يدل على سمة التفاعل التي سبق الإشارة إليها وهي سمة عرفية اختصت بها كل لغة.

إن تعريف ابن جني لا يقصر اللغة على كونها أصواتاً فقط[2].وإنما هي أصوات معبّرة عن الأغراض، وشتان بين الحالين[3]، وعليه فإن ابن جني لم يَنحُ باللغة منحى مادياً ينكر فيه الجانب الذهني، كما أنه لم يؤثر الجانب الذهني ليجعل اللغة بنية تجريدية بحتة.

---

(1) **مفاتيح الألسنية، مونان** ، ص ٣٧.

(2) عرض الدكتور محي الدين رمضان، تعريف ابن جني وابن سيده ثم عقب بقوله "ونرى أن هذه التعاريف تتفق على أن اللغة أصوات مسموعة ولا شيء آخر سواها". انظر: **في صوتيات العربية**، محي الدين رمضان، ص ١٤ ، ولعل تعريف ابن جني يمتد إلى الآفاق الذهنية والاجتماعية بالإضافة إلى الجوانب الصوتية.

(3) يقول أحد علماء اللغة الغربيين، ويدعى(Whitney):" لا يشكل الصوت المنطوق وحده المادة الأولية في اللغة، وتتمثل المادة الأولية في اللغة في الصوت المنطوق الذي يحمل معنى، وكذلك نظام الأصوات ذي المحتوى الفكري، انظر: **علم اللغة في القرن العشرين**، جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والباحث في هذا الطرح يعارض كثيرين ممن رأوا أن ابن جني قد آثر الجانب المادي في تعريفه للغة. ومن هؤلاء كمال بشر الذي يقول [١]:

"هذه النصوص ذاتها (نصوص تعريفات ابن جني للغة والكلام) تشير في مبناها ومعناها، إلى انشغال ابن جني بالجانب الأدائي الواقعي للغة، وهو الكلام (P arole) في عرف الفارقين بين الجانبين".

وكذلك فإن تعريف ابن جني لا ينحصر في القيمة الشكلية المتمثلة في تحريك الشفتين كما رأى يوسف الحاج الذي يقول [٢]: "هذه الفئة (ويقصد ابن جني) التي تحدد اللغة بالكلام المنطوق مجموعة من الحروف الصوتية التي تقرعها الشفتان، قرع الشفتين إذاً هو المقياس الذي تعرف به اللغة. على هذا الضوء تصبح اللغة امتداداً سمعياً صوتياً في الخارج للوجدان الباطني وهي ليست الوجدان الباطني، وإنما أداة فقط أو واسطة يندفع بها من الداخل إلى الخارج".

إن الاستقراء الدقيق لما قاله ابن جني، والنظر الجلي في دلالاته يدحض ما ذهب إليه بشر ويوسف الحاج، فاللغة وإن كانت الأصوات هي الوحدات الدنيا فيها ، فإن هذه الوحدات بما يكتنفها من تعبير هي عملية تفاعل بين العمليات الذهنية والحركات النطقية، علماً أن أحد هذين الطرفين قد يحدث دون أن يُحدِث اللغة[٣].

---

(١) **علم اللغة الاجتماعي**، كمال بشر، ص ٧٦.

(٢) **في فلسفة اللغة**، كمال يوسف الحاج، ص٢٢.

(٣) **عرض حلمي خليل في كتابه، (اللغة والطفل)**، ص٤٨، مفهوم ابن جني و سوسير وتشومسكي للغة دون أن يناقش تلك المفاهيم والتعريفات، وارتضى – كما يبدو– تعريف أحد المحدثين للغة وهو تعريف الأستاذ خلف الله في كتابه :(**الطفل من المهد إلى الرشد**)،ومفاده: "أنها نظام اصطلاحي مؤلف من رموز تعبيرية وظيفتها النفسانية أن تكون آلة للتحليل والتركيب التصوريين، ووظيفتها العملية أن تكون أداة للتخاطب بين الأفراد " وهذا التعريف لا يضيف شيئاً إذا عرضناه على تعريف ابن جني للغة بعد إدراك قيم تعريف ابن جني وأبعاده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان بعض الباحثين قد طعن في هذا الطرح لمفهوم اللغة فإن هذا الطعن لا يغض من قيمته،ولا ينقص من قدره.يقول أنيس فريحة [١]:"خذ هذا التعريف المكرر:" اللغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر" وحاول تطبيقه على واقع اللغة، ثم سل نفسك: هل صحيح أن اللغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر... ألا نكون قد حقرنا الفكر باعتبارنا كل ثرثرة تعبيراً عن الفكر؟"

يرى الباحث أن ثمة خلطاً وقع عند فريحة، وهو خلط بين التفكير والفكر، إذ ينحو بلفظة الفكر إلى النتاج الإنساني السامي من الإبداع والقدرة التعبيرية. ولكن اللغة وإن كانت مسرحاً للتعبير عن هذا أيضاً، فإنها ليست حكراً عليه. أما الإجابة عن تساؤلاته السابقة، فالجواب عنها: نعم، إذا عرفنا أن المقصود بالفكر ما يفكر به الإنسان، أو بمعنى آخر التفكير الذي يميز الإنسان كما تميزه اللغة، فاللغة ليست محصورة على الفكر، وإنما تشمل التفكير كذلك، فكل فكر هو في الحقيقة تفكير(وليس كل تفكير فكراً)، وما اللغة كما مر بنا إلا نتاج للتفاعل بين العمليات الفكرية(الذهنية) والحركات الصوتية. والقدرة التي حظي بها الإنسان على إجراء التفاعل المنظم والمضبوط بين عملياته الذهنية وحركاته النطقية، لينتج اللغة التي يعرف بها وترتقي هذه القدرة لتصبح ملكة لديه، وقد تحدث ابن خلدون (٨٠٨هـ)عن هذه الملكة اللغوية يقول [٢]:

"اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، هو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم".

---

(١) **نحو عربية ميسرة،** أنيس فريحة، ص ٣٤.

(٢) **مقدمة ابن خلدون،** ج٣، ص ١٢٦٤. وانظر المصدر نفسه ج٣/ص١٢٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستوحى من هذا النص أن إجراء التفاعل بين العمليات الذهنية والحركات العضوية، في أثناء عملية النطق هو الذي يميز كل أمة، فتختص كل أمة بلغة تميزها عن غيرها، بمعنى أن كيفية تمام هذا التفاعل هي ما تمتلكه الأمة فيميزها. والذي يميز الناس عامة هو مقدرتهم على إجراء هذا التفاعل وليس كيفية هذا التفاعل. فالمقدرة على إجرائه سمة عامة، أما كيفية إجرائه فلكل أمة طريقتها التي تقوم على منظومة من القيم النفسية والاجتماعية والفكرية.

نخلص من هذا إلى القول إن ما طرحه ابن جني من فهم لحقيقة اللغة هو الفهم الدقيق لها، فحقيقتها أنها أصوات ولكنها ليست أية أصوات، بل هي أصوات معبرة. وحتى تكون معبرة لابد من أن تستند إلى جملة من العمليات الذهنية الصحيحة، التي تقوم على نسق منطقي إلى حد ما. ولا قيمة لكل ذلك إلا إذا كانت هذه الأصوات المعبرة المتسقة المستندة إلى منظومة البنية الذهنية ذات طابع اجتماعي.

وإذا أضفنا إلى ذلك ارتباط كثير من الجوانب الصوتية بالقيم الدلالية في اللغة، وما تفضي إليه هذه الجوانب من انطباعات نفسية ومعنوية، فإن المستوى الصوتي انطلاقا من هذه الحقيقة، ذو امتداد في صرح اللغة، الذي أعلاه الدلالة وأسفله الأصوات من حيث البنية الشكلية. ولكن واقع الحال يجعل اللغة لا تخرج عن الحقيقة الصوتية وفق الرؤى التي أفضى إليها تعريف ابن جني.

<u>الاقتصاد اللغوي: أهميته وقيمته</u>

قبل الشروع في استشراف هذه المسألة يجدر الذكر أن مصطلح الاقتصاد اللغوي لا ينحصر في مستوى واحد من مستويات اللغة. وكل هذه الاقتصاديات اللغوية ذات ارتباط بالمستوى غالباً، وأجدني ملزماً بالوقوف عند هذه المسألة وإيضاحها، لأنها تبدو محل خلاف، وميداناً لوجهات نظر متباينة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : ضرورة التفريق بين نوعين من الظواهر اللغوية، الأول: يتضمن ظواهر تفرضها الطبيعة البنائية للغة، فلكل لغة سمتها وخصائصها. وتمارس اللغة وسائل شتى في تطويع أي ظاهرة لا تجري مع سننها. فمثل هذه الظواهر ينقاد إليها المتكلم كرهاً لا طوعاً، ولا يجد لنفسه مندوحة عن إتيان غيرها. وهذه الظواهر لا نملك إلا أن نسلم التصرف بها إلى اقتضاء سمت اللغة وطبيعتها، كإعلال الواو في قَوَلَ والياء في بَيَعَ مثلاً، حيث يقتدي المتكلم بهدي سنن اللغة من غير تحويل أو تبديل، وإن كان مثل هذه الظواهر لا يخلو من بيان مدارج الحكمة وحسن التصرف.

أما الثاني: ويتضمن ظواهر تبيحها اللغة ولا تفرضها، فيؤخذ بها وتترك، وتستعمل وتهمل، دون أن يكون في ذلك انتهاك لسمت اللغة أو اعتداء على طبيعتها، بيد أن الأخذ بها أو تركها، لا يتم ارتجالاً من غير هدي، وإنما تُنتقى الظاهرة وتُنتخب، لتكون الخادم الأمين الذي لا يسد غيره عنه، مما يؤكد أن المتكلم قد أخذ بها ليضفي على كلامه صبغة خاصة، جعلت لقوله خصوصية معينة ما كانت لتتأتى لولا أخذه إياها.وربما كان الخلط بين هذين النوعين من الظواهر سبباً في اختلاف العلماء والباحثين: فريق ينكر قيمة الظاهرة الصوتية في اللغة، وآخر يرى فيها أبعاداً قيّمة.

وأعتقد أن التفريق بين الظاهرتين على النحو الذي ذكر يحل عقدة الخلاف، لاسيما إذا استثنينا الظاهرة الأولى التي تفرضها طبيعة اللغة، وأخذنا الظاهرة الثانية لنجعلها مدار البحث والنظر ومحط الاستقصاء والتتبع.

وإذا علمنا أن الظاهرة اللغوية في سياقها الصوتي ملتحمة بما سمي "بناء المستوى التكاملي" من جهة، وأن هذه الظاهرة هي من النوع الذي تبيحه اللغة ولا تفرضه من جهة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى، فإن البحث في الاقتصاد اللغوي وانطلاقا من هذا الطرح تجدر رؤيته وفق هذا المنظور، واستشرافه وفق هذه الرؤى.

مفهوم الاقتصاد اللغوي:

ما الاقتصاد اللغوي؟ وما أهميته؟ وما الظواهر التي يمكن نسبتها إليه؟ وكيف يؤثر في اللغة؟ وبم يتحقق وما مبادئه؟ وما علاقته بالتطور في اللغة؟ كل ذلك سيحاول الباحث الوقوف عليه وبحثه واستقصاء أبعاده ومسائله.

ترد كلمة "قصد" في اللغة على معان كثيرة، يقول ابن منظور (٧١١هـ)[١]:

"قصد: القصد، استقامة الطريق... قال تعالى:"وعلى الله قصد السبيل" أي على الله تبيين الطريق المستقيم ... وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب،.. والقصد: العدل... وفي الحديث: القصدَ القصدَ تبلغوا، أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين، والقصد الاعتماد والأمّ .. والقصد إتيان الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير.. وقوله تعالى:"واقصد في مشيك" وقصد فلان في مشيته إذا مشى مستويا.."

وإذا تأملنا في المعنى اللغوي لكلمة "قصد" ، تبين لنا أنها تدل على الاستقامة والسهولة والاعتماد والوسطية. وهذه المعاني اللغوية تتجاذب فيما بينها ليكون المعنى الأخير أُمّاً لهنَّ في هذا الباب، فالوسطية ضد التطرف والمغالاة، وهي بذلك مستقيمة سوية. والوسطية أسهل الطرق مسلكاً. والوسطية هدف مبتغى ومطمح مرتجى، لذلك يؤم ويعتمد، ثم إنها مبتلغ محله بين الاستقامة وبلوغ الغاية.

ويبدو أن هذه المعاني اللغوية قد انتقلت إلى النشاطات الإنسانية في ميادين الإنتاج والتوزيع، حتى صار لدينا ما يعرف اليوم بعلم الاقتصاد. ثم اقترضت اللغة هذا المصطلح من

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة (قصد)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ميدانه ليغدو مصطلحاً متداولاً في حقل علم اللغة. وما من شك في أن هذا الاقتراض موفق ودقيق؛ لأن ما وصف بأنه اقتصاد لغوي تتجلى فيه معطيات هذا المصطلح، وتحقق اللغة به اقتصادا في مستوياتها تستثمر فيه إمكاناتها وتحدد وسائلها وأساليبها.

إن الاقتصاد كمفهوم متداول لا يعني الاختزال والاختصار وإنقاص الكمية أو العدد. ولا يقف في دلالته اللغوية عند معنى من القلة والنقص كما يحلو لبعضهم أن يفسره، مع العلم أن دلالة الاقتصاد تعني بالضرورة عدم المبالغة والزيادة، ولكن عدم الزيادة يختلف عن الإنقاص، فقد لا تلجأ إلى الزيادة في الوقت الذي لا تنقص فيه، وقد لا تلجأ إلى النقصان في الوقت الذي لا تزيد فيه.

ولما كان علم الاقتصاد أحد العلوم الاجتماعية القائمة على **الاختيار**، رأى علماؤه أن الاهتمام بالاختيار سببه تنوع الحاجات الإنسانية وتعددها ، في الوقت الذي يقابل ذلك ندرة نسبية في الموارد المتاحة لإشباع هذه الحاجات، ووجوب تخصيص هذه الموارد وتوزيعها بين استعمالاتها المختلفة[1].

وتلخص الدكتورة نعمة الله نجيب مفهوم علم الاقتصاد بقولها [2]:

"نستطيع تعريف علم الاقتصاد بأنه: ذلك العلم الذي يهتم بتغيير ووضع معايير للسلوك الإنساني، عند إقدامه على استخدام الموارد المتاحة والمحدودة؛ لإشباع احتياجاته اللانهائية وغير المحدودة، بحيث توضع تلك الموارد في أفضل استخداماتها الممكنة، والعمل على زيادتها كمّا وتحسيناً نوعياً حتى يمكن تحقيق معدلات نمو مرتفعة...".

---

(1) انظر: **مبادئ الاقتصاد الجزئي**، عبد الوهاب الأمين، ص ٥.

(2) **النظرية الاقتصادية**، د. نعمة الله نجيب إبراهيم، ص ٥. وانظر: **مبادئ الاقتصاد الجزئي**، علي حافظ منصور، ومحمد عبد المنعم عفر، ص١١، بتصرف. وانظر **مبادئ الاقتصاد الجزئي** لعبد الوهاب الأمين، ص ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو من التعريفين السابقين لعلم الاقتصاد أهمية الحقيقة "الاختيارية" في هذا العلم، وهو اختيار يقوم على أسس ومبادئ. ويطرح التعريفان معادلة تتكون من المفردات الآتية: (الموارد، الرغبات، الإشباع، والاختيار). ويمكن تصور العلاقة بين هذه المفردات على النحو الآتي :-

+ إشباع

١- (الموارد) + الاختيار = الرغبة

- إشباع

٢- (الموارد) + الاختيار = الرغبة ⟵ + إشباع / +اقتصاد

٣- (الموارد) + الاختيار = الرغبة ⟵ - إشباع / -اقتصاد

وقد جعلت الموارد داخل قوسين تعبيراً عن محدوديتها، ويتضح من هذا التصور أن الاقتصاد يتحقق في المعادلة الثانية تحديداً، كما يتضح جلياً أن عناصر المعادلة واحدة، في المعادلات الثلاث. وهذا الاختلاف يسهل تفسيره إذا عدنا إلى ما قاله علماء الاقتصاد: إن الاختيار هو الركيزة التي يرتكز عليها هذا العلم، فمدار المفاضلة بين الوسائل المستخدمة في حسن انتقائها و أمثلية اختيارها، وانتخاب الأكثر ملاءمة ومواءمة من الموارد المتاحة لتحقيق الاقتصاد، أو بالأحرى لإشباع الرغبة والحاجة.

إن هذه الفكرة التي سبق تصورها في علم الاقتصاد، تتجلى قيمها في اللغة كظاهرة، فللّغة مواردها، وللمتكلم رغباته التي يسعى إلى تحقيقها وإشباعها. وسبيله إلى ذلك اللجوء إلى استخدام الوسائل المتاحة، للإفادة من تلك الموارد. ولكنه قد يخرج بإحدى النتيجتين السابقتين في المعادلة: (الثانية:" – اقتصاد " أو الثالثة:" + اقتصاد ")، وهذا بلا ريب يعتمد على حسن اختياره للوسيلة اللغوية التي تتيحها اللغة، فإن هو أحسن اختيارها، أشبع رغباته، وحقق الاقتصاد في لغته. وإن هو أساء اختياره لا حاجة بلغ ولا اقتصادا أبقى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الوسائل هي الروابط التي تربط الاختيار بالموارد، وتفضي إلى تحقيق الاقتصاد اللغوي في النهاية. ويمكننا عقد مقابلة بين عناصر المعادلة في علم الاقتصاد مع العناصر اللغوية، على النحو الآتي:-

مفردات علم الاقتصاد		المفردات اللغوية
الاختيار	↔	**الاختيار**
الموارد	↔	الإمكانات
الرغبة	↔	الغاية
الإشباع	↔	تحقيق الغاية

وبناء على هذا التصور التقابلي، يمكن تمثيل معادلة الاقتصاد اللغوي كالآتي:

١- (الإمكانات اللغوية) + الاختيار = الغاية ← +تحقيق / -تحقيق

٢- (الإمكانات اللغوية) + الاختيار = الغاية ← +تحقيق / +اقتصاد

٣- (الإمكانات اللغوية) + الاختيار = الغاية ← -تحقيق / -اقتصاد

أما الوسائل في هذه المعادلة، فإنها الروابط التي تربط الإمكانات اللغوية بالاختيار، وواضح تماماً أن الاقتصاد اللغوي قد تحقق في المعادلة الثانية، اعتماداً على حسن الاختيار للإمكانات اللغوية، باتباع الوسيلة المثلى للوصول إليها. وقبل صياغة تعريف للاقتصاد اللغوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبني على هذه الرؤية، يحسن الوقوف على رؤية تجريبية، لما نحن فيه لدى باحث من أكثر المهتمين باللغة والاقتصاد، وهو (فلوريان كولماس)، الذي يقول[1]:

"واللغة في حد ذاتها شرط أساسي للحياة الاجتماعية، وكل لغة هي نتاج للحياة الاجتماعية، وعلم الاقتصاد هو: البحث عن مؤشرات أمثلية الكفاءة لعلاقات الوسائل و الغايات في أداء المهام. وبما أن كل اللغات تستعمل استعمالا غائيا بوصفها وسائل لغايات معينة، فكل لغة يمكن أن تقيم بالنظر لمزاياها في إنجاز هذه الغايات، وتكون خاضعة لتحليل اقتصادي من النوع الذي ينتمي إلى الفرع المعياري لاقتصاديات الاتصال."

ويستوقفني في هذا المقام التعبير عن الحقيقة الوجودية للغة، وصلة هذه الحقيقة بعلم الاقتصاد، فاللغة كما أسلف هذا الباحث ذات حقيقة غائية اجتماعية. وقد سبق الحديث عن هذه الحقيقة بمنظورها الغائي الاجتماعي عند ابن جني فيما مضى، إذ عبر الباحث عن الغاية فيها بالأغراض، وعن الاجتماع فيها بالأقوام.

يعتني علم الاقتصاد عناية خاصة بانتقاء الأمثل وانتخابه، استناداً إلى حسن التخطيط وبراعة التنظيم؛ لأن التخطيط السليم يدل على أفضل السبل وأمثل الطرق في أداء الغرض. وكذلك الحال في اللغة التي يلجأ فيها المتكلم إلى تخطيط يتمثل في اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته؛ لأداء غرضه ومقصده. وانتقاء الكلمات الأمثل ليس محصوراً في المستوى التركيبي، وإنما يبحث في كل مستويات اللغة كما مرّ بنا سابقاً في "سياق المستوى البنائي"، فإيقاع الكلمة وتآلف حروفها وجُرسها الموسيقي وبنيتها المقطعية وما يتخللها من حذف أو نبر أو مد كل ذلك يستحضر في سلامة التخطيط والتنظيم؛ لاختيار الوسيلة المثلى في تحقيق الغرض. وتبدو هذه المؤشرات في حديث علماء العربية عما سموه فصاحة الكلمة، إذ حددوا شروطا خاصة وصفات

---

(1) **اللغة والاقتصاد**، فلوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض، ص٢٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معينة للكلمة حتى تكون فصيحة، أي لتكون الاختيار الأمثل في تحقيق الغاية. يقول ابن سنان الخفاجي(٤٤٦هـ) معدداً ما يجب في الكلمة لتكون فصيحة[١]:

"فأما الذي يوجد في اللفظة الواحدة... أن يكون تأليف تلك الفظة من حروف متباعدة المخارج، وأن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها، وأن تكون الكلمة غير متنافرة ولا وحشية."

وهذه الوسائل لا تعمل منفردة، وإنما يتعلق بعضها ببعض متضافرة في أداء مهامها. فإذا كانت اللغة تتيح لمستخدميها إمكانات معينة كجواز تطبيق ظاهرة ما في سياق معين، فإن هذه الظاهرة تتأصل بسواها، كما لا يجوز أن ينظر إلى الحصيلة اللغوية والقيمة الدلالية وكأنها ثمرة هذه الظاهرة وحدها، بل لا بد من أخذ ما تضافر من اجتماع ما في السياق من ظواهر مختلفة ونسبة تلك الحصيلة إليهن[٢].

ومن ذلك ما قيل عن قيمة الحذف الصامتي في قوله تعالى: "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا"[٣]. إذ تبين سرعة الفراق عند القائل إذا علمنا حرصه على ذلك، وتمام الفهم لدى السامع إذا علمنا شغفه بمعرفة ما استهجنه. ولكن هذه الظاهرة تتآلف مع ما في السياق من ظواهر أخرى؛ لتدلل على القيمة نفسها، كإدغام العين بالعين، إذ أوضح القائل واستوضح السامع، والعين من أكثر الأصوات اللغوية وضوحا في السمع، فهي صوت مرنان ذو توتر عال. والقصد من عرض هذا المثال تأكيد فكرة تناغم الظاهرة السياقية مع سائر الظواهر في

---

(١) **سر الفصاحة**، ابن سنان الخفاجي، ص ص٥٥ -٧٩

(٢) يمكن اقتراح مصطلح "**البناء التكاملي للظاهرة السياقية للتعبير عن تضافر الظواهر المختلفة**، عند بحث ظاهرة ما في خدمة الظاهرة على مستوى السياق الواحد.

(٣) **الكهف**١٨/٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأدية المقصود، وأن الظاهرة الواحدة إذا دللت على قيمة معينة في سياق ما، فليس من الضروري ترددادها في كل سياق.

بعد هذا العرض التقابلي بين معطيات علم الاقتصاد من جهة، واللغة من جهة أخرى، و هكذا نصل إلى مفهوم الاقتصاد اللغوي، الذي يمكن تعريفه بأنه:

"الاختيار الأمثل للوسائل اللغوية المستخدمة في تحقيق الغاية، عن طريق الموازنة بين درجة تحققها والجهد المبذول فيها، في ضوء الإمكانات اللغوية المتاحة".

هذه الرؤية لمفهوم الاقتصاد اللغوي، تنبثق من الوجهة التقابلية بين مفهوم الاقتصاد ومفهوم اللغة. ولا ضير في ذلك ما دمنا نوظف مصطلح (الاقتصاد) في (اللغة). وقبل مناقشة هذا المفهوم والتعرف إلى أبعاده ومدى ملاءمته للظاهرة، يرى الباحث أن هذا الطرح لا يخص مستوى لغوياً بعينه. من جهة و تشترك الظاهرة التي يبدو فيها الاقتصاد اللغوي مع غيرها في تعزيز ما وظفت من أجله من جهة أخرى.

إن التعبير عن الاقتصاد اللغوي بالاختيار الأمثل يتأتى من توخي الدقة وضرورة التقدير التي يلزم مراعاتها. ويبدو أن أول ما تمارسه اللغة من اقتصاد نجده فيما تستثمره من توليف بين أصواتها لتشكل كلماتها وهو ما يعرف (بالتقطيع الأولي)، وما تمارسه من توليف بين كلماتها لتشكيل تراكيبها(التقطيع الثانوي).يقول عبد الصبور شاهين(1):

"عدد الأصول الثنائية التي يمكن استخراجها من تأليف الأصوات العربية هو في الواقع(٢٨)٢ أي (٧٨٤) صورة. ويدخل في هذا تكرار للصوت مع نفسه، ثم لا نجد في اللغة من تتابعاته إلا بضع كلمات أو عناصر قديمة، وبنية الثلاثي مرنة تبلغ (٢٨)٣ أي (٢١٩٥٢)

(١) في التطور اللغوي، عبد الصبور شاهين، ص ص١٣٢-١٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة ثلاثية ممكنة. وقد بلغ عدد الجذور المستخدمة فعلا في اللغة العربية (٧٥٩٧) جـذرا، أي حوالي الثلث رياضيا."

إذن ليس كل ما في اللغة مستخدما. ولقد فطن إلى ذلك الخليل(١٧٠هـ)من قبل، عندما أحصى جذور العربية في كتابه"العين" مقلبا أصواتها، ومصنفا إياها إلى مستعمل ومهمل. وتبدو القيمة الاقتصادية "للمستعمل" من اللغة بما يبذله المتكلم من جهد بسيط في إنتاج هذا الكم الكبير من الكلمات، بالإضافة إلى تحقق الانسجام والخفة في توليف المستعمل، وترك المهمل لما فيه من وحشة وثقل. فالمسألة تقوم على حسن الاختيار الذي يحكمه الضبط والدقة والاتزان بين ما يرد وبين ما يصدر، ليكون الاقتصاد ما يحتكم إليه. وهذا عينه ما تصبو إليه اللغة في نتاجها، فلا يكون فيها مسلك صعب، ولا جهد ضائع، ولا طاقة مبددة. يقول(بريتل مالمبرج) [1]:

"عندما ينطق الإنسان أصوات اللغة يميل إلى أن يحصل على الحد الأقصى من التأثير بالحد الأدنى من الجهد. وهذا هو السبب في أننا نحرص ونحن نجمع الأصوات على الاقتصاد بقدر الإمكان في الحركات المخرجية التي ليست ضرورية للتأثير الصوتي المطلوب."

ولكن لا يقف مفهوم الاقتصاد اللغوي عند هذا الحد، وإن كان ذلك من أولوياته، وإنما يتعدى هذا الطرح إلى ما هو أوسع منه وأشمل كما سيمر بنا. وتتضح جوانب الاقتصاد اللغوي في المستوى الصوتي في الهيئة الوصفية والمخرجية للأصوات اللغوية عند تأثر بعضها ببعض بحكم موقعيتها السياقية، مما جعل المفاضلة بين تلكم السياقات قائمة، فصار بعضها سهلا والآخر صعبا. وتفاوت الاقتصاد فيها، ويمكن إجراء المفاضلة بينها من خلال ضبط كل سياق، وتقنين

---

(١) **علم الأصوات**، بريتل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين ص١٣٤ وانظر **دراسة الصوت اللغوي** أحمد مختار عمر ص٣٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيثياته، وتقدير مخرجاته، علماً أن ثمة معايير أخرى يؤخذ بها في كشف الاقتصاد اللغوي سيأتي عليها الباحث لاحقاً.

والقول بالاستغلال الأمثل إنما يدل على السمة الانتخابية والنزعة الانتقائية في توظيف الظاهرة، فتأخذ بالمفاضلة بين ما يعرض عليها وما يقدم إليها. وليس بالضرورة أن يكون الأسهل ــ مثلاً ــ أفضلها وإن كان محتملاً، ولا الصعب أسوأها وإن كان متوقعاً.

يشير مفهوم الاقتصاد اللغوي إلى ما يسمى بالإمكانات اللغوية. فاللغة كما هو معروف تتيح مجموعة من الإمكانات التي تسمح بها وتمكن منها. والمقصود بهذه الإمكانات هو ما تجيزه اللغة ولا تمنعه، إذ يسهل أن نجد له وجهاً ومخرجاً. وهذه الإمكانات هي جزء من نظام كبير من أنظمة اللغة يعرف: بالسعة اللغوية، ويكفي النظر إلى باب الحذف مثلاً الذي جعله ابن جني من شجاعة العربية دلالة على سعتها وبعد أفقها[1].

إذا كان الحديث عن إمكانات العربية وما فيها من سعة، قد كشف عن غناها وأفقها الرحب، فإنها إنما ترتكز في ثباتها على جملة من الوسائل اللغوية التي جندتها اللغة، للوصول إلى الاقتصاد. وقد أشار مفهوم الاقتصاد اللغوي إلى عبارة "الوسيلة اللغوية"، عندما أكد ضرورة اختيار الوسائل المستخدمة في تحقيق الغاية. وهذه الوسائل هي آليات التنفيذ التي يتم بها تحقيق الغاية المقصودة. وهنا لا بد من التفريق بين الإمكانات السالفة الذكر والوسائل في اللغة. فما الفرق بين الإمكانات اللغوية والوسائل اللغوية؟

أغلُب الظن أن الإمكانات تسبق الوسائل، فقبل الشروع بمباشرة آلية التنفيذ يسأل عن الإمكانات، فإن تمت يبحث عن الوسيلة. وبذلك يكون ممارسة الحذف في اللغة على سبيل المثال، وسيلة إلى تحقيق الغاية. وسماح اللغة بممارسة هذه الوسيلة بعد قبولها لها، إمكانية فيها.

---

(1) انظر: **الخصائص**، ابن جني، ج٢، ص ٣٦٢-٤٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكون نجاح الوسيلة بعد إباحتها في مهمتها: سعة. فالإمكانية تكون موطّئة للعمل ، والوسيلة طريقه، والسعة تمام تنفيذه.

إن المفهوم المطروح للاقتصاد اللغوي يشير إلى أمثلية اختيار الطروحات اللغوية التي تسمح بها الإمكانات اللغوية. وبذلك لا يكون الحذف، والإدغام، والمماثلة، والمخالفة، والإبدال أو القلب... وسائل تمارس في اللغة بطريقة غير مقدرة، بل يسعى الاقتصاد اللغوي إلى توظيف هذه الوسائل بدقة وإتقان. فلا تكون الوسيلة إلا في مكانها المناسب، ولا تسد وسيلة مسد وسيلة أخرى.

ليس القصد بالوسائل اللغوية المثلى أن نطور الإدغام ــ مثلاً ــ ليكون أكثر إدغاماً أو أقل، وإنما بتوظيفه في مقامه الذي يستدعيه. وقيمة كل ما سلف كما هو واضح في التعريف هي "تحقيق الغاية"، والمقصود بها: الفائدة المرجوة من السياق، سواء أكانت للمتكلم أم للسامع، وهي غاية شريفة تذكرنا بالحقيقة الغائية من اللغة التي سبقت الإشارة إليها في الحديث عن مفهوم اللغة عند ابن جني، وهي التي يسعى الاقتصاد اللغوي إلى تحقيقها.

يزعم الباحث أن توظيف الاقتصاد اللغوي يؤدي إلى الغاية التي يبذل فيها أدنى جهد، ويتحصل معها نيل المراد في الاستخدام اللغوي. وبذلك يكون مفهوم الاقتصاد اللغوي على النحو الذي تقدم ذا أهمية قصوى في البحث اللغوي. وقد ردد كثير من الباحثين هذه الأهمية وركزوا عليها، يقول ريمون طحان تحت عنوان الاقتصاد ــ في اللغة ــ[1]:

يسعى التنظيم إلى عدم هدوء الجهود البشرية، فتعبر اللغة باقتضاب واختصار عما يجول في خاطر المنتفعين منها. وقد يسيطر على هؤلاء المنتفعين المبدأ المعروف: "بذل أدنى جهد والحصول على أكبر منفعة". ويسمى هذا السلوك "الاقتصاد الألسني"

(1) **الألسنية العربية**، ريمون طحان، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى نحو ذلك ذهب (أندريه مارتينيه)، بقوله[1]:

"إن ما نسميه بمادة الاقتصاد في اللغة ليس إلا ذلك السعي الدائب لتحقيق التوازن بين الاحتياجات المتضاربة التي لا بد من تلبيتها، فمن جانب هناك حاجات الإبلاغ، وهناك من جانب آخر خمول الذاكرة والنطق معاً. وبينهما أي بين الحاجات والخمول صراع دائم، وفوق هذا وذاك لا تستطيع كل هذه العوامل أن تمارس تأثيرها بحرية، بل هي مقيدة في تأثيرها بسبب المحرمات المختلفة التي تحاول تقييد اللغة برفض كل بدعة جديدة".

وإذا كان الباحث يتفق مع هذا المفهوم، إلا أن الذي يستدرك عليه هو عدم الاكتفاء بالنظر إلى الاقتصاد على أنه بذل أدنى جهد مع تحقيق الغاية المثلى. فهذا وإن بدا صحيحاً فإنه جزء من المنظور العام لظاهرة الاقتصاد في اللغة، إذ يبدو الاقتصاد في الضبط السليم، والتوزيع الدقيق، بالإضافة إلى حسن التخطيط، وبراعة التنظيم، وجودة الموازنة وحفظ الاتزان، ناهيك عن اختيار الأيسر والأسهل. ومنه أيضا الاستغلال الأمثل لكل الإمكانات المتاحة حيثما توافرت، وذلك كله يتم وفق منظور مضبوط من التقنين والتقدير، فتعرف المدخلات والمخرجات بطريقة قياسية. ولكن لا يشترط توافر كل هذه القيم واجتماعها في السياق اللغوي الواحد. وسيعرج الباحث على هذه المسائل عند الحديث عن مبادئ الاقتصاد اللغوي.

ومع ذلك كله، فإن بذل الجهد الأدنى مع تحقيق الغاية المثلى، يعد مبدأ أصيلاً في الاقتصاد اللغوي لا يمكن تجاوزه. إلا أن حصر الاقتصاد اللغوي في هذا المبدأ وحده وقصره عليه، يكون كمن حجر واسعاً، وضيق رحباً.

---

[1] **مبادئ اللسانيات العامة**، أندريه مارتينيه، ص ١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبادئ الاقتصاد اللغوي:

ترتكز مبادئ الاقتصاد اللغوي كلها على أنه لا يستقل شيء منها عن غيره. إلا أن غاية البحث العلمي والدراسة هي بسط الأشياء وتفصيلها، تماماً كما ندرس مستويات اللغة على الرغم من أن الوجود الأكمل هو للمستوى التركيبي. لذلك سيفرد الباحث الحديث عـــن بعــض هــذه المبادئ بمبحث مستقل، وسينضم بعضها إلى بعض أحياناً نظراً لشدة تعالقها.

وثمة حقيقة أخرى يشار إليها في بحث مبادئ الاقتصاد اللغوي، وهي أن هذه المبـــادئ قبل أن تؤثرها اللغة احتوتها الطبيعة السيكولوجية للإنسان. وهذا يشي باللحمة المتآلفة بين اللغــة والنفس الإنسانية، فاللغة والفكر صنوان، بل ذهب بعض الباحثين إلى جعل اللغة والفكــر شــيئاً واحداً. فإذا كانت اللغة مرآة الفكر، وهي الوعاء الذي نسكب فيه ما في أنفسنا فيعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما قال ابن جني، فإن السيكولوجية الإنسانية ذات اتجاهات وميول، وهــي إلــى إيثار بذل أدنى جهد، وتوخي السهولة واليسر أقرب منها إلى الصعوبة والتعقيد، وصرف المزيد من الجهد. كذلك فإن البحث في مبادئ الاقتصاد اللغوي في حقيقته هو بحث فــي ســيكولوجية المتكلم. وعليه فإن طبيعة بحث هذا الموضوع هي ميدان أصيل من ميادين علم النفس اللغــوي. ويمكن حصر مبادئ الاقتصاد اللغوي في ما يلي:

* مبدأ السهولة

ينسب قانون السهولة واليسر إلى العالم الأمريكي ويتني (Whitney) الذي قرر فيــه أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة، ليس إلا أمثلة في توفير الجهد الذي يبذل في النطق(1). ولكــن

(1) في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، ص ٦٩، وانظر: التطور اللغوي، مظــاهره وعللــه وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبق القول إن اللغة لا تلزم نفسها بالتطور من الصعب إلى السهل، فقد تنحو عكس ذلك، يقول إبراهيم أنيس[1]:

"وليس معنى هذا أن هذه النظرية (السهولة) تنطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة. فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتي كان عكسيا أي من السهل إلى الصعب... فعليه أن يبحث عن أسباب خاصة تبرر هذا التطور."

ويقول أحمد مختار عمر في هذا الموضوع[2]:

"وقد كان اللغوي الأمريكي ويتنيWhitney يفسر التغيير الذي يحدث في اللغات بنزوعها نحو السهولة وتوفير الجهد... ولكن يعارض كل من (Sievers) و (Leskien) هذا الرأي، و يعدانه كلاماً أجوف يرفضه العلم الحديث. وإذا كان يسبرسن قد قبل مبدأ توفير الجهد كسبب في التغيير، فإنه لم يستبعد أسباباً أخرى ربما كان لها أثر مضاد على هذه النزعة. ثم إن عملية السهولة أو العسر أمر نسبي، وما يتصوره البعض من سهولة أو صعوبة ربما لا يكون إلا أثراً من آثار العادة اللغوية... ".

إذاً فالعلاقة بين السهولة وبذل الجهد الأدنى في السياقات الصوتية وغيرها من مستويات اللغة ليست تلازمية، بمعنى أنها غير مطردة وإن كان بينهما صلة شديدة .

يحسن بنا قبل مناقشة مبدأ السهولة، أن نعرج على صحة ما يوصف به هذا المبدأ وغيره من مبادئ الاقتصاد اللغوي، بأنها قوانين أو نظريات، فقد ذهب رمضان عبد التواب إلى جعل السهولة قانونا[3].

---

(1) **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، ص٢٣٦

(2) **دراسة الصوت اللغوي**، أحمد مختار عمر، ص ٣٧٤، ٣٧٥.

(3) انظر: **التطور اللغوي**، مظاهره، وعلله، وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذهب إبراهيم أنيس إلى جعله نظرية[1]. وتداوله كثير من الباحثين وفق إحدى التسميتين لاسيما الأولى منهما، وعرف بقانون ويتني Whiteney ، فهل السهولة قانون؟! أم هي منطلق ومبدأ يؤثره المتكلم عند استخدام اللغة؟ ثم ما مدى صحة استخدام كلمة القانون في اللغة أصلا؟

أعتقد أن اللغة من حيث هي ظاهرة إنسانية تحكمها القواعد التي تصدق غالبا، فهي في ذلك كالنفس الإنسانية تستعصي على أن تضبط ضبطا تاما لا خروج فيه.

ولعل سكب اللغة في قوانين لا تحيد عنها لا يعدو أن يكون محاولة لغاية تعليمية لا أكثر. وقد يستعمل هذا المصطلح من باب السعة. وهذا ما تنبه إليه رمضان عبد التواب الذي أحس بمغالاة استخدامه، فهو يقول [2]:

"يجب أن يؤخذ مصطلح (القانون الصوتي) بمعناه الواسع لا بمعناه الدقيق، كما في الميادين الطبيعية والكيمائية وما شابهها من العلوم". ثم ساق الدكتور رمضان عبد التواب رأي أولمان القائل [3]: "فمن المعروف مثلا أن القوانين في العلوم الطبيعية تصدق دائما، بقطع النظر عن المكان والزمان. وسوف يكون في استطاعتنا أيضا أن نتنبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حد معين. أما قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إنها تنبئ فقط عن قدر معين من الاطراد في التصورات السابقة في حدود معينة من حيث الزمان والمكان".

وعلى الرغم من اعتراف الأستاذين (رمضان عبد التواب وأولمان) بالنظرة التوسعية في استخدام هذا المصطلح، فإنهما لم يقترحا استبداله، ولم يتحفظا على استخدامه. والذي أراه أن

---

(1) انظر **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس ص٢٣٥ واستخدم رمضان عبد التواب هذه التسمية في كتابه التطور اللغوي فهو يراوح بين التسميتين.

(2) **التطور اللغوي**، مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص١٤.

(3) **التطور اللغوي**، مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، وللتعرف على رأي أولمان الذي أورده الدكتور رمضان عبد التواب، انظر كتاب أولمان: **دور الكلمة في اللغة**، ستيفن أولمان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدقة العلمية ومراعاة توظيف المصطلحات في مكانها، تستدعي أن يعاد النظر في استخدام هذا المصطلح في الدراسات اللغوية لاسيما الصوتية. وأقترح أن يقال :المبادئ أو الأساليب الصوتية بدلاً من القوانين، إذ يبقى الأسلوب طريقة في التعامل لا تعني النتيجة اللزومية أو الحصيلة الحتمية. وقد أشار بعض الباحثين إلى ذلك ،يقول أحمد مختار عمر(١):

"ولكن اللغويين الآن يتحدثون في صورة أكثر تواضعا واعتدالا حين يضعون الأمر في صورة اتجاهات صوتية .. وليس في صورة قوانين صوتية..".

إذن فالسهولة من المبادئ والمتطلبات التي يلجأ إليها ويؤخذ بها، وليست قانوناً يحتكم إليه، فهي تدفعنا نحو سلوك لغوي معين. ويتمثل هذا السلوك في حصيلته التي يؤول إليها في الاقتصاد اللغوي. ولذلك يكون الاقتصاد اللغوي نتيجة أو حصيلة يتوصل إليها بوسائل خاصة أدت إليها السهولة واليسر.

ولقد أفاض علماء العربية في تراثنا اللغوي في الحديث عن أهمية السهولة وقيمتها في حسن التأليف وتلاؤم الحروف، يقول الرماني (٣٨٦هـ)(٢) :

"التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف... والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، وكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما. وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد. وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب

---

(١) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص٣٧

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، والنص من الرسالة الثانية : النكت في إعجاز القرآن الرماني، ص ٩٥-٩٦، وقد أشار علماء العربية لا سيما البلاغيون منهم إلى أهمية تلاؤم الحروف وأثرها في السهولة، انظر سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٥٤، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال. والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة. ومخارج الحروف مختلفة فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك. والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو أقرب شديد، وذلك يظهر بسهولته على اللسان وحسنه في الاستماع وتقبله في الطباع...".

يوضح هذا النص حقيقة استخدام بعض الظواهر في اللغة كالإدغام والإبدال، فهما من مظاهر السهولة في اللغة، كما يوضح قول الرماني الصلة الوثيقة بين السهولة وبذل الجهد الأدنى في اللغة، فتقارب المخارج كتباعدها من حيث الصعوبة النطقية. ولذا يميل المتكلم إلى الاعتدال ليحقق التلاؤم، خاصة إذا عرفنا اختلاف موقعية مخارج الحروف التي تتوزع على جهاز النطق بدءاً من الحنجرة وانتهاءً بالشفتين.وما تعداد الرماني لألفاظ مثل: التلاؤم، التآلف، الاعتدال، التعديل... إلا ضروبا من باب السهولة التي يؤثرها العربي وينزع إليها.

تؤثر العربية في نظامها الصوتي السهولة على الصعوبة، وليس أدل على هذا أساليب العربية في ظاهرة تسهيل الهمز في العربية، وخصت الهمزة دون أصوات العربية بهذه الصفة لصعوبة نطقها، يقول سيبويه (١٨٠هـ) [1]:

"واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها (يقصد ما يعرض لها من إبدال) لأنه بَعُد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوع".

وقد فصل ابن سينا (٤٢٨هـ) طريقة نطقها بقوله [2]: "أما الهمز فإنها تحدث من حفز

---

[1] **الكتاب**، سيبويه، ج٣، ص ٥٤٨.

[2] رسالة **أسباب حدوث الحروف**، ابن سينا، ص ٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير من مقاومة الطرفي الحصر (أحد غضاريف الحنجرة) زماناً قليلاً لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالفصل الفاتحة وضغط الهواء معاً".

ويقول ابن الجزري (٨٣٣هـ) في وصفها[١]: "الحرف المهتوف وهو الهمزة سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور قوي شديد، والهتف الصوت، يقال هتف به إذا صوت وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي لأن الجرس الصوت الشديد والهتف الصوت الشديد."

وللسهيلي (٥١٨هـ) تصوير طريف في التعبير عن صعوبة نطق الهمزة وشدتها، فهو يربط بين الهمزة كصوت في اللغة وورودها في ضمير المتكلم، يقول[٢]:

"إن المتكلم لما استغنى عن الظاهر في حال الإخبار لدلالة المشاهدة عليه، جعل مكانه لفظاً يومئ به إليه، وذلك اللفظ مؤلف من همزة ونون. أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر، وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم، إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد .... وليس إلا الهمزة أو الهاء، والهمزة أحق بالمتكلم لقوتها بالجهد والشدة، وضعف الهاء بالخفاء، فكان ما هو أجهر وأقوى أولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له وهو أحق بالاتصاف به ...".

لا جرم أن نطق الهمزة محققة يستنفد جهداً نطقياً كبيراً. ولذلك تعامل العرب مع الهمزة بطرق شتى أشهرها تسهيل الهمز أو تليينه الذي ينسب إلى قبائل الحجاز[٣].والتسهيل وجه فصيح

---

(١) التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ص١٠٩

(٢) نتائج الفكر في النحو السهيلي، ص ٢١٩

(٣) الكتاب، سيبويه، ج٤، ص ٥٤٢. وانظر شرح الشافية الرضي ج٣/٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في اللغة، بل هو صفة أشهر الذين أخذت عنهم اللغة، وبه قرئ القرآن الكريم في قراءته السبعية، يقول أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)(١):

"اعلم أن ورشا كان يسهل الهمزة المفردة سواء سكنت أو تحركت إذا كانت في موضع الفاء من الفعل...".

وتحدثنا كتب الدراسات التاريخية المقارنة أن تسهيل الهمز قد دخل في تطور بعض اللغات السامية أيضا، يقول كارل بروكلمان(٢):

"وفي العربية القديمة تبقى الهمزة المحققة بين حركتين، غير أنها تركت في لهجة مكة التي وضع الخط على أساس النطق بها، وعوض عنها بعد الكسرة القصيرة والطويلة بالياء، وبعد الضمة القصيرة والطويلة بالواو..."

نخلص من ذلك كله إلى أن صوت الهمزة صوت صعب يستدعي جهدا نطقيا. لذلك آثرت العربية الأخذ بالسهولة والاقتصاد في نطق هذا الصوت في سياقاتها، فتصرفت بالتسهيل والحذف والإبدال...

والسهولة ذات مظاهر كثيرة في العربية، وينطوي تحت مظلتها في اللغة ظواهر كثيرة متنوعة، ولعل مظاهر هذا المبدأ ستتضح أكثر عند تناول الباحث الاقتصاد اللغوي في صوامت العربية وحركاتها في الفصول اللاحقة.

(١) **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمر والداني، ص ٣٧.
(٢) **فقه اللغات السامية**، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، ص ٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **مبدأ بذل الجهد الأدنى:**

غني عن القول أن نطق أي سياق يستدعي الناطق القيام بحركات نطقية زائدة يحتاج إلى بذل جهد عضلي زائد، ،إذ يتم تفعيل أعضاء النطق كاهتزاز الوترين الصوتيين أو رفع مؤخرة اللسان أو ذلقه أو تحريك الشفتين كإطباقهما أو تدويرهما، وغير ذلك مما يصرف فيه الجهد.

ولما كان بذل أدنى جهد في العملية النطقية مطلباً سيكولوجياً في طبيعة النفس الإنسانية، فإن هذا المطلب مضبوط وموزون في هيئته وكميته، إذ لا يجوز الإفراط فيه؛ لأن ذلك يؤدي إلى الإجحاف في حق السياق والمعنى، كما لا يجوز التفريط فيه؛ فيؤدي إلى استنفاد الجهد وتبدده في غير طائل. وبذلك تكون الزيادة المخلة كالنقصان المخل، ولعل الاقتصاد اللغوي هو الميزان الفصل الذي يحتكم إليه في ضبط مقدار هذا الجهد وتحديده. وقد تنبه علماء العربية إلى ضرورة ضبط نطق الحروف من غير إسراف أو إجحاف، وأطلقوا على ذلك "التحقيق" يقول السيوطي (٩١١هـ)[١]: "التحقيق: هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإدغام الحركات واعتماد الإظهار، والتشديدات، وبيان الحروف، وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت.... وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ،... ويستحب الأخذ به من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتحريك السواكن، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات، كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص وما فوق الجعودة قطط، وما فوق القراءة ليس بقراءة."

يذكرنا هذا النص بالوجه الآخر من الاقتصاد اللغوي في سياقات العربية، وهو الذي يدعو إلى ضبط الظاهرة الصوتية من حيث عدم المبالغة فيها وتجاوز الحد معها.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج١، ص ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن باب استكراههم للتفريط في ضبط نطق أصوات العربية، ما عابه كثير منهم في زيادة الياء في خطاب المؤنث، يقول شهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩هـ) [١]:

"المولدون يزيدون ياء في خطاب المؤنثة، فيقولون موضع: ضربته: ضربتيه، قلت: هي لغة ربيعة، لكنها ردية، وكذا يصلون فتحة الضمير وكافه ألفا، فيقولون: قمتا وإنكا."

وربما كان هذا النص يشي بالعلاقة بين السهولة وبذل الجهد في العملية النطقية، فقد قيل إنه ليس بالضرورة اطراد العلاقة بينهما، فقولهم (ضربتيه) أسهل على ألسنتهم من (ضربته)، بيد أن هذه السهولة توصل إليها بمزيد من بذل الجهد.

غير أن هذا التعالق بين السهولة والجهد الأدنى أصيل لا يمكن التنكر له، ويبدو ذلك في مظاهر كثيرة في سياقات العربية، يقول ممدوح عبد الرحمن[٢]:

"إن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود يقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً كأصوات اللين وأشباهها. وهذا التطور هو أحد نتائج نظرية السهولة التي تشير إلى أن الإنسان في نطقه، يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة".

ولقد فطن علماء اللغة إلى ثقل الأصوات المتقاربة في مخارجها، وثقل التضعيف الذي يستدعي جهداً كبيراً من الناطق. ومر بنا تشبيه الخليل رحمه الله للقرب الشديد كالمشي المقيد، فهو بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، كما أن البعد الشديد بمنزلة البطيء، وهو كتباعد الخطى بشكل كبير، وكلاهما صعب مستثقل[٣].

---

(١) **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، شهاب الدين الخفاجي، ص٢٧٨

(٢) **القيمة الوظيفية للصوائت**، ممدوح عبد الرحمن، ص ٥٣-٥٤.

(٣) انظر **النكت في إعجاز القرآن**، الرماني، ص ٩٥-٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعد سيبويه عدم رفع اللسان مرتين في نطق الحرف "نجاة" للمتكلم، يقول[١]:

"وأما رَدَدَ ويَرْدُدُ فلم يدغموه، لأنه لا يجوز أن يسكن حرفان فيلتقيا، ولم يكونوا يحركون العين الأولى؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لم ينجوا من أن يرفعوا ألسنتهم مرتين، فلما كان ذلك لا ينجيهم أجروه على الأصل ولم يجز غيره".

ويقول في موضع آخر عن حرص العرب على توفير الجهد في نطق أصواتهم[٢]: "والتضعيف أن يكون آخرَ الفعل حرفان من موضع واحد، وذلك نحو : رددت فإذا تحرك الحرف الآخر فالعرب مجمعون على الإدغام، وذلك فيما زعم الخليل أولى به، لأنه لما كانا موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة، وذلك قولهم: ردي ......".

وتعرف ظاهرة التخلص من الساكن المضعف بتحويل أحد الساكنين إلى صوت آخر بظاهرة "التبسيط" (simplification) في الدرس اللغوي الحديث، يقول (ماريوباي):[٣]

" وأما تبسيط الصوت (Simplification) فيعني تحويل الصوت الساكن المضعف إلى صوت بسيط، وعكسه تضعيف الصوت (gemination) ويعني مضاعفة الصوت المفرد الساكن"

كما أن الميل نحو تقليل الجهد سبب في قلب كثير من الأصوات، لاسيما عند الأطفال، يقول إبراهيم أنيس: [٤]

"يميل كثير من الأطفال في المراحل الأولى إلى قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد؛ التماساً لأيسر السبل واقتصاداً في الجهد العضوي".

---

(١) **الكتاب**، سيبويه، ج٤، ص ٥٣٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٥٤٩-٥٣٠.

(٣) **أسس علم اللغة**، ماريوباي، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، ص ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعلل (بريتيل مالمبرج) ما يلحظ في اللغات من ظاهرة عدم الإتمام للحركات النطقية إذا وجد المتكلم أنها غير ضرورية بمنطق الاقتصاد اللغوي، فيقول [1]:

"عندما ينطق الإنسان أصوات اللغة يميل إلى أن يحصل على الحد الأقصى من التأثير بالحد الأدنى من الجهد. وهذا هو السبب في أننا نحرص ونحن نجمع الأصوات على الاقتصاد بقدر الإمكان في الحركات المخرجية التي ليست ضرورية للتأثير الصوتي المطلوب".

*مبدأ التوازن

يحرص المتكلم المثالي على إقامة التوازن أو الاتزان في كلامه، فتنتج سياقاته الصوتية متوازنة، حتى لو اضطره ذلك إلى زيادة أو حذف أو تبديل أو قلب...وهذا المبدأ وثيق الصلة بالإيقاع الذي يأتلف مع طبيعة النفس الإنسانية، إذ تميل إلى جعل الأشياء متوازنة سواء أكانت لغوية أم غير لغوية [2] .وهذا المبدأ كبقية مبادئ الاقتصاد اللغوي مبدأ سيكولوجي يتفق مع طبيعة النفس التي تسعى إلى إتمام الأشياء لتبدو متسقة ومتزنة، حتى لو لم ترد هذه الأشياء في أصلها على هيئة تامة أو متوازنة.

وينجم هذا المبدأ عن الاقتصاد اللغوي من خلال ما يحققه من سهولة ويسر في السياقات الصوتية، حتى لو أدى ذلك إلى زيادة في بذل الجهد النطقي. ومن قبيل ذلك ما يعرف في اللغة بظاهرة "المحاذاة" التي تعنى بإقامة التوازن في التركيب. يقول الزركشي(٧٩٤هـ): [3]

---

(١) علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص ١٣٤.

(٢) يحدثنا علماء النفس عن قانون عندهم يدعى قانون الإغلاق، وفيه يكمل الإنسان ما يراه ناقصا، فلو رسمت دائرة وأبقيت شيئا من محيطها غير متصل ، وسألت أحدهم عن هذا الشكل، لقال لك إنها دائرة، والحقيقة العلمية تقول غير ذلك لأن محيطها غير مقفل.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٤، ص ٤٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"المحاذاة: ذكره ابن فارس، وحقيقته أن يؤتى باللفظ على وزن الآخر، لأجل انضمامه إليه، وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفرداً كقولهم: أتيته الغدايا والعشايا، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا...".

ويرى الباحث أن من أبعاد ظاهرة"المحاذاة" بعداً إيقاعياً ذا قيمة وظيفية عالية، وهي تحقيق التوازن بين أجزاء التراكيب، فلا تميل جهة على حساب جهة أخرى. وإذا تم حفظ إيقاع التركيب وضبطه وعدم السماح برجحان طرف على طرف، فإن اللغة ساعتئذ تمارس تخطيطاً دقيقاً يتحقق فيه التوازن. وبذلك تكون قد حققت اقتصاداً لغوياً يبدو في انسجام ضبط إيقاع التركيب وحفظه.

إن ضبط التوازن، وحفظ المساواة بين الأطرف، لا يكون بإنقاص حصة الطرف الراجح فحسب، بل قد تزداد حصة الطرف الأقل رجحاناً لتضاهي نظيرتها. وهذه الزيادة المتحققة لطرف دون طرف، وإن كانت في حقيقتها زيادة، فقد منعت أحد الطرفين أن يزيد على الآخر، فهي زيادة لمنع الزيادة من جهة، والوصول إلى المساواة من جهة أخرى.وهذا وإن بدا منطقيا إلى حد ما، فإن الأساليب اللغوية تسعى إليه باختيار أمثلها ملاءمة لتحقيق التوازن.ويعلل الزركشي استحسان المساواة بين أجزاء التركيب،بقوله[١]:

"قالوا: وأحسن السجع ما تساوت قراءته، ليكون شبيهاً بالشعر فإن أبياته متساوية، كقوله تعالى: "في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود"[٢] ،وعلته أن السجع ألف الانتهاء إلى غاية في الخفة الأولى، فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد؛ لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده".

---

(١) **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، ج١، ١٠٦.

(٢) الواقعة ٢٨-٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن ما أثر حفظ التوازن بين أجزاء التراكيب على الدلالة؟ فالمعنى اللغوي شريف، وهو الغاية المنشودة والوجهة المقصودة؟!

يرى الباحث أن الإيقاع هو خير ما يعين على تأدية المعنى، فإيقاع النص بقدر ما هو من جمالياته، فإنه يحقق قيماً دلالية، ففي حديث الزركشي عما طالت قرينته، يمثل بقوله تعالى: "خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه"[1]. على ما طالت قرينته الثالثة[2].

ويرى الباحث أن هذا السمت الإيقاعي من التناسب بين فواصل آي كتاب الله، يحقق بالإضافة إلى ائتلاف السمع والخفة، توازناً ذا بعد دلالي تنقاد إليه المعاني. ففي الآيات السابقة يبدو المشهد فيها مشهد عذاب متصاعد، فبعد أن قيّد الكافر بالأغلال، سيق إلى الجحيم ثم انسلك في سلسلة طول ذراعها سبعون ذراعا. وكلما ازداد المشهد عذابا اتسعت المساحة الإيقاعية بين الفواصل، فالمشهد الأول جاءت مساحته الإيقاعية بكلمتين (خذوه فغلوه)، ثم ازداد العذاب سخطاً في الآية الثانية التي جاءت فاصلتها متفقة مع الفاصلة الأولى، ولكن بمساحة إيقاعية أوسع. وعلى الرغم من أن الزركشي يصف الآيات بأنها مما زادت قرينتها الثالثة، أراني أجدها مما زادت قرينته الثانية والثالثة أيضاً، فجاءت الآية الثانية بثلاث كلمات، ثم يزداد العذاب، ويتصاعد لتأتي في الآية الثالثة، بمساحة إيقاعية أوسع، وفي الوقت نفسه متفقة في فاصلتها مع ما سبقها.

والآيات الكريمة إذ تراعي المناسبة والتوازن مع بعضها من الناحية الإيقاعية والدلالية، فإن ثمة مناسبة وتوازناً مع حفظ الدلالة في الآية الواحدة نفسها، لنجد أنفسنا أمام نوعين من الإيقاع: إيقاع خارجي يتمثل بالتوازن بين الآيات المتعاقبة، وإيقاع داخلي: يتمثل بالتوازن في

---

(1) الحاقة، ٣٠-٣٢.

(2) **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، ج١، ١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآية الواحدة. ويظهر هذا الإيقاع الداخلي بتآلف كلمات الآية ومقاطع كل كلمة وأصـــوات كـل مقطع، ونجد الآية ذات المساحة الطويلة تتناسب مع مضمونها، من حيث طول مساحتها ودلالتـها فالآية الكريمة :- "ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه" لم تصـل إلـى نقطـة إيقاعـها (الفاصلة) إلا بعد مساحة طويلة، يتناسب طول مساحتها مع ما تتحدث به عن طول السلسـلة ذات السبعين ذراعا، ورحم الله أبا عبدالله الزركشي، إذ يقول [1]:

"اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكـلام وأواخـره، وإيقـاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلا خرج بعـض الكـلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنـه مـا يسـتخرج بالتأمل للبيب."

وبناء على ما تقدم فإن التوازن المتمثل بالبنية الإيقاعية للفواصل يستند علـى الملاءمـة بين المساحات الإيقاعية من جهة، ومضمونها الدلالي من جهة أخرى. ويعد هذا التوازن منطلقـا من منطلقات الاقتصاد اللغوي في سياقات العربية التي تولي الجوانب الصوتيـة عنايـة فائقـة؛ لإقامة التوازن وتحقيق الغاية.

ومن هذا الباب ما نجده في اللغة من توازن بين مكونات السياق؛ لتحقيق الانسجام فيـه، إذ لا يقتصر الأمر على انسجام بين صوتين أو حركتين، يقول خليل عطية[2]:

"والانسجام الصوتي ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة والمقاطع المتجاورة نزوعـا إلى التوافقُ الحركي، واقتصادا في الجهد المبذول؛ ليكون العمل من وجه واحـد... أو لتقريـب صوت من صوت."

---

(١) **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، ج١، ص ١٠٧.

(٢) **في البحث الصوتي عند العرب**، خليل عطية، ص٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن باب التوازن وحفظ المواءمة بين أجزاء النص ظاهرة صرف الممنوع، ومنع المصروف في العربية، وقد أطلق القدماء على ظاهرة صرف ما لا ينصرف: الصرف للتناسب، يقول الأشموني (٩٢٩هـ)[١]:

"ومثال الصرف للتناسب قراءة نافع:(سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً). "قواريرا قواريراً، وقراءة الأعمش بن مهران "ولا يغوثاً ويعوقاً ونسراً".

ويرى الباحث أن المحافظة على الانسجام في إيقاع التركيب اقتضى الصرف. وهذا الصرف أنتج توازناً بين إيقاعات السياق، فاتبع غير المصروف ما كان مصروفاً. وبذلك يعد صرف الممنوع في هذه السياقات باباً من الإتباع في اللغة. وفي تعليل صرف " أغلالاً وسعيراً" و "قواريراً" يقول الزجاج (٣١٠هـ) [٢]:

"صرف الأول لأنه رأس آية، ومن صرف الثاني اتبع اللفظ لأن العرب ربما قلبت إعراب الشيء ليتبع اللفظ اللفظ، فيقولون: هذا حجر ضبٍ خربٍ. فكيف بما يترك صرفه؟ وجميع ما يترك صرفه يجوز صرفه في الشعر".

وإذا كانت وجهة النظر في التحليل الدلالي لمثال الجر على المجاورة تفصح أن الخراب كما وصف به الجحر يوصف به الضب أيضاً، فإن الذي يهمنا من كلام الزجاج مدى إيثار العربية حفظ الإيقاع والحرص عليه، حتى إنهم ليقلبون الإعراب في سبيل اتباع اللفظ لفظاً آخر، وإلى ذلك ذهب الرضي (٦٨٦هـ) بقوله [٣]:

"قوله: هنأني الشيء ومرأني، والأصل : أمرأني".

---

(١) **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ج٣/٤٨٨

(٢) **معاني القرآن** الزجاج، ج٥، ص ٢٦٠.

(٣) **شرح كافية ابن الحاجب**، الرضي الاستراباذي، ج١، ص ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان الاقتصاد اللغوي يحرص على تحقيق الغاية من النتاج النطقي تحقيقاً نموذجيـاً، فإن التوازن بين جهد المتكلم وقواعد اللغة ذو أهمية بالغة. يقول بسام بركة(١):

"الجهد الأدنى مبدأ يقول: بأن الإنسان يميل في استعمال اللغة وغيرها إلى بذل أدنى جهد ممكن في تحقيق هدف ما، يقوم تطور ... تبعاً لهذا المبدأ على التوازن بين ضرورات التواصـل التي تتجه نحو تقعيد نظام اللغة من جهة، ومن جهة أخرى بين كسل الإنسان الذي يميل.. إلـى تبسيط الوحدات اللغوية".

ومن الجدير بالذكر أن أهم الظواهر التي تعتور السياقات الصوتية في العربية كالمماثلـة والمخالفة... لهما أثر كبير في تحقيق التوازن في السياقات الصوتية العربيـة، بالإضافـة إلـى أثرهما في تحقيق السهولة، وتوفير الجهد المبذول في العملية النطقية.

فاللغة تمارس المماثلة في سياقاتها الصوتية. فإن وصل السياق إلى تماثل تجاوز الحـد الذي تسمح به اللغة مارست المخالفة بين المتماثلات. وكذلك الحال مع المخالفة، فهي تمارسـها في سياقاتها الصوتية، فإن امتدت المخالفة إلى أبعد مما تسمح به مارست المماثلة، وهكذا تحكـي اللغة قصة التوازن في سياقاتها الصوتية، لتحقق في النهاية اقتصادها اللغوي.

***مبدأ التخطيط والتوزيع:**

يعد هذا المبدأ استراتيجية لغوية تحقق فيه اللغة غاياتها، وذلك بما توافر فيها مـن سـعة تتيح للمتكلم التصرف في نطاق يوزع فيه ممارسته لاستغلال الإمكانات اللغوية، ليحظى بتعـابير مختلفة. ولذلك كان هذا المبدأ ذا ارتباط وثيق بالأبعاد الدلالية مـن جهـة وتحقيـق السـهولة و التوازن، وبذل أدنى جهد من جهة أخرى.

---

(١) علم الأصوات العام،بسام بركة، ص ١٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر التخطيط والتوزيع ما تحكيه كتب اللغة عن تناوب لغتين في كلمة واحدة كقولهم : أملت وأمليت، يقول أبو منصور الجبان [1]:

"وأمليت الكتاب أملي إملاء، إذا ألقيته ولفظت به فكتب، وكذلك أمللت أمل، والقرآن قد جاء بهما جميعا، قال الله تعالى: "فهي تملى عليه" فهذه من أمليت، وقال: "فليملل وليه بالعدل" فهذه من أمللت وهما لغتان لحيين أو قبيلتين ... وقيل إن الأصل أمللت، فأبدلت اللام الثانية كما قالوا : قصصت أظافري، قصيتها، وتظننت : تظنيت ... وقد قيل : إن أمللت من الملل لأنك إذا أطلت الكتاب مل كاتبه، وإن أمليت من الإطالة، قال تعالى :"إنما نملي لهم" أي نطيل، والإطالة والإملال يتقاربان".

أي دلالة كشفت عنها (أمليت وأمللت)؟ وإذا كان الأصل أمللت، فإن أمليت في ظني هي إعادة توزيع في سياق الكلمة الصوتي، للكشف عن دلالة مستوحاة من عمق هذه الإعادة.

ولا يعتقد الباحث أن ثمة لغتين في أمللت وأمليت وما جرى مجراهما، بمعنى أنهما ليستا شيئا واحدا، بل لكل منهما دلالة تختلف عن الأخرى، والسياق الذي وردت فيه كل منهما يوضح تلك الدلالة. ففي قوله تعالى (فهي تملى عليه)[2]، جاء الفعل أمليت إشارة إلى تلقف الأخذ والالتقاط السريع لما يملى دفعة واحدة، وذلك أن المشركين لما اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يتلقى القرآن الكريم من كهان ورهبان، فإنه في نظرهم سرعان ما يتلقف تلك الأخبار. وقد عبروا عن سرعة التلقف ونيله دفعة واحدة بالفعل تملى من (أمليت)، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً.

---

[1] **شرح الفصيح في اللغة**، أبو منصور الجبان، ص ٣٠٤.

[2] الفرقان ٢٥/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الآية الكريمة(فليملل وليه بالعدل)[1] فقد جاءت بالفعل أمللت. والمتأمل في الآية الكريمة التي ورد فيها هذا الفعل يجدها تتحدث عن الدين، وجاءت الآية الكريمة تشرع أحكام هذه المسألة التعاملية بين الناس. لذلك يلحظ فيها التوثيق والتمهل والتأكيد والتكرار، فهي أطول آية في كتاب الله، ولا ينبغي للمتداينين وكتبة الدين التسرع في تدوينه، وهذا التريث هو ما يستدل عليه من الفعل: أمللت، وكأن إيقاع الفعل بإعادة اللام وتكرارها يوحي بإعادة النظر وتكريره في وثيقة الدين من جهة، والتريث في كتابته ليظل في ذهن المدين، لا سيما وأن الآية تطلب من المدين أن يكتب دينه فإن لم يستطع فوليه.

إن مبدأ التخطيط والتوزيع في الاقتصاد اللغوي ذو أبعاد مختلفة. ولعل من أهم تلك الأبعاد البعد الفسيولوجي الذي يمارسه المتكلم في العملية النطقية، فقد دلت التجارب المخبرية على أن أعضاء النطق تتهيأ لنطق الصوت في السلسلة الكلامية لحظة إنتاج الصوت الذي يسبقه، ففي الوقت الذي ينطق به المتكلم صوتا ما تكون أعضاء النطق متآلفة ومتهيئة على أقرب هيئة أو صورة لإنتاج الصوت الذي يليه، فالتهيؤ والتناسق بين الصوتين قد تم لحظة نطق الصوت الأول وقبل الوصول للصوت الثاني. وليس أدل على ذلك هيئة نطق النون في منبت، منفى، منثر، منخر، منكب، منهل ...

ومن تخطيط سياقات العربية الصوتية ما يتفرع من الصيغ الصرفية، لا سيما الثلاثية منها، فالصيغ فعل وفعل تنتقل إلى فعل ، يقول أحمد الجندي معلقا على هذا التفريع[2]:

"وإنما القصد من هذا التفريع هو التخفيف، لأن النطق بصيغة فعل بسكون العين، أخف من صيغة فعل، ولا شك أن السكون أخف من الضم، ولو لم يسكنوا العين وتركوها على الضم

---

[1] البقرة ٢/٢٨٢

[2] **اللهجات العربية في التراث**، أحمد علم الدين الجندي ، ج١ / ص ٢٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأخف وهو الفتحة، إلى الأثقل منه وهي الضمة، ولهذا سكنت الضمةُ في تفريعه، لأن السكون أخف".

ويرى الباحث أن مسلك العربية في هذا التوزيع الذي تفرع عنه صفة فعل، يقابل توزيعا آخر يبدو معاكسا لمسلكها في التوزيع الأول. ففي تفسير علماء العربية لصيغة فعل وفعل كقولهم بكر وبكر في بكر، قالوا: هو مظهر من مظاهر الوقف، كرهوا فيه التقاء الساكنين، حتى في الوقف، يقول الرضي(٦٨٨هـ)[١]:

"وقال - ابن الحاجب (٦٤٦هـ)- ونقل الحركة فيما قبله ساكن صحيح إلا الفتحة إلا في الهمزة ..مثل هذه بكر و خبؤ، ومررت ببكر وخبئ، ورأيت الخبأ...". ويعقب الرضى على ذلك[٢]:

"وإنما سهل لهم ذلك : الفرار من الساكنين والضن بالحركة الإعرابية الدالة على المعنى". ويحدثنا الرضي عن جواز رد بعض أبنية الاسم الثلاثي إلى بعض، يقول[٣]:

"قال وقد يرد بعض إلى بعض، ففعل مما ثانية حرف حلق كفخذ يجوز فيه: فخذ وفخذ وفخذ وكذا الفعل كشهد، ونحو كتف يجوز فيه: كتف و كتف ونحو عضد يجوز فيه:عضد ونحو عنق يجوز فيه: عنق ونحو قفل يجوز فيه قفل..".

ولكن هل سارت الصيغة من فعل إلى فعل وفعل أم أن فعل وفعل سارتا إلى فعل؟ أم أن أحدهما يسير إلى الآخر؟ ليس القصد الوقوف عند أي صيغة سارت إلى الأخرى، ولكن القصد يشرئب إلى التعرف على أسباب سير كل صيغة نحو الأخرى، وما يتحقق في هذا المسير من اقتصاد لغوي.

---

(١) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضى الاستراباذي، ج٢/ ٣٢١.
(٢) **المصدر نفسه**، ج٢/ ٣٢١.
(٣) **المصدر نفسه** ج٢/ ٣٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذهب أحمد الجندي إلى أن الأصل هو فَعْل و(فعِل) ثم خففت إلى فَعل يقول[1]:

"لا شك أن الصيغة الأصلية هي عَضُد، بفتح فضم، ثم حدث فيها التخفيف فسكنت فصارت عَضْد، بسكون الضاد..".

وإذا كان الباحث يوافق الجندي مع ما ذهب إليه، من أن التخفيف مسؤول عن انتقال فَعُل إلى فَعْل، فإنه يخالفه، في جعل صيغة فَعُل أصلاً وصيغة فَعْل فرعاً. فكما أن فَعُل تنتقل إلى فَعْل، كذلك تنتقل فَعْل إلى فَعُل وربما إلى فَعِل أيضاً. وعليه فإن العلاقة بين هذه الصيغ المتناقلة تبادلية يمكن توضيحها بالرسم الآتي:

(فَعْل) ⟷ (فَعُل، فَعِل).

فالعلاقة بين هذين الطرفين تبادلية، وكل منها أصل في ذاته. ويرى الباحث أن انتقال فَعْل إلى فَعُل وفَعِل كان أول أمره مظهراً من مظاهر الوقف، إذ كره القوم الوقوف على ساكنين متتابعين(العين الساكنة وتسكين اللام للوقف)، فكره التقاء الساكنين حتى في الوقف، وإن كان الوقف يبيح التقاءهما.

فلما كرهوا ذلك لجأوا إلى تحريك العين مرة بالفتح خاصة إذا كانت العين صوتاً حلقياً، ومرة بالكسر، لأن الأول من الساكنين(عين الكلمة)يحرك بالكسر إذا اجتمع مع ساكن آخر، ومرة بالضم وقد قيل بنقل حركة الإعراب إلى عين الكلمة إذا كانت الكلمة مرفوعة. هذا الرأي لا يثبت في ظني، إذ كيف نجعل حركة الإعراب حركة بنائية من جهة، وكيف نجعل علامة الإعراب على حرف غير حرف الإعراب من جهة أخرى؟

إذاً فما حقيقة ما حدث في هذا التوزيع التبادلي بين تفرع صيغ الثلاثي التي تنتقل من فَعْل إلى فَعُل إلى فَعِل؟ كما تنتقل من فعُل وفعِل إلى فعْل؟

[1] **اللهجات العربية في التراث**، احمد علم الدين الجندي ، ج١ / ص ٢٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى الباحث أن المسألة لا تخرج من باب المماثلة والمخالفة بين المقاطع والحركات في تفسير هذه الظاهرة. وذلك أنه لما توالى مقطعان قصيران في فَعْل وفَعِل عند الوقــف (وثلاثــة مقاطع قصيرة عند الوصل) آثرت اللغة التخلص من توالي الأمثال في هاتين الصفتين، فإن قيـل إن العربية تسمح بتوالي مقطعين قصيرين، أو ثلاثة ولا تسمح بتوالي أربعة إلا في باب شَـكَرَكَ وضَرَبَكَ وصلاً؟

أقول : إن قِصَر الكلمة هو الذي ساعد على هذا التخلص، فقد جعلها غير محتملة لتوالي هذه المقاطع المتماثلة في مساحة ضيقة. ويتضح من ذلك أن الصيغتين فَعِل و فَعُل انتقلتـا مـن البناء المقطعي: (ص ح ص ح ص) إلى (ص ح ص ص). أما إذا انتقلت فَعْل إلى فَعُل وفَعِـل، فإن المخالفة بين صامتين متتابعين متماثلين هو المسؤول عن إحداث تخالف بين هذين الصامتين في مقطع واحد، وهو ما عبر عنه القدماء بالتقاء الساكنين. ويؤيد ذلك أن تحريك الصامت الأول تم باختيار حركة تخالف حركة فاء الكلمة، بمعنى أن عين الكلمة التي هي الصامت الأول مـــن الصامتين المتماثلين حركت بحركة مخالفة لفاءها. وثمة مخالفتان في انتقال الصيغة من فَعْل إلى فَعِل وفَعُل هما:

الأولى:- المخالفة بين الصامتين المتماثلين اللذين لا يفصل بينهما حركة، فخولف بينهما بإنتاج حركة تفصلهما.

الثانية : المخالفة بين الحركة الجديدة التي نتجت بين الصامتين المتمـــاثلين المتتـــابعين والحركة السابقة في المقطع الأول من الكلمة. فقالوا: فَعُل و فَعِل ولم يقولوا فَعَل ، ولذلك نـــص الرضي وابن الحاجب على استثناء الفتحة فيما عبروا عنه بالوقف عن طريق نقل الحركـــة. أي أن البنية المقطعية لصيغة (فَعْل) قد تغيرت، فانتقلت مرة إلى فَعِل ومرة إلى فَعُـــل، بمعنـــى أن البناء المقطعي انتقل من (ص ح ص ص) إلى (ص ح ص ح ص).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ضوء ما سبق فإنني أرى أنه لا نقل للحركة الإعرابية في هذه الظاهرة، وأن المسألة لا تعدو إعادة هيكلة البنية المقطعية للصيغة الثلاثية، وأن المماثلة والمخالفة أدت إلى توزيع تبادلي في هذه الصيغة.

إن توزع صيغة الثلاثي إلى ما يتفرع عنها من تعريفات يعد توزيعاً مضبوطاً من معطيات الاقتصاد اللغوي، وتحكمه مظاهر خاصة تفضي إلى السهولة النطقية، وقد مرَّ بنا أنه ليس ضرورياً أن تتحقق السهولة بأدنى جهد مبذول، فقد تفرعت الصيغة فَعْل إلى فَعِل وفَعُل كما قال الرضي، والجهد المبذول في الصيغتين الفرعيتين أكثر منه في فَعْل؛ إذ نجد زيادة حركة لينقسم المقطع الأول (فَعْـ) إلى مقطعين فَـعُـ / فَـعِـ. ولكن هذه الزيادة المبذولة في الجهد نتج عنها سهولة في العملية النطقية؛ لأن الساكنين إذا التقيا ولو وقفا لا يفتأ العرب يتخلصون من التقائهما ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وتبدو مظاهر السهولة والانسجام في التنوع الذي أخذت به العربية في تحريك عين المضارع، بحركة تختلف عن حركة عين ماضيه، يقول الطيب البكوش[(١)]:

"وكثيراً ما تستعمل العربية هذا التنوع الحركي (تغير حركة عين الفعل في المضارع عنه في الماضي) لغايات تتميز به، وإحداث فروق معنوية متفاوتة الأهمية مثل: نَفَرَ: ينفُر(تجنب الشيء أو كرهه). وينفِر(نزل الناس من عرفات). ولكن هذه الطاقة التمييزية الهامة، لا يمكن للغة أن تسرف في استغلالها؛ لاعتمادها الإفراط في الدقة، وهو ما يستلزم مجهودا عظيما على مستوى الذاكرة، لذلك كانت جل الأفعال المزدوجة الحركة في المضارع خالية من التميز المعنوي مثل: شتَم... ولذلك نلاحظ أن العربية تطورت نحو إلغاء هذه الفويرقات في مستوى الاستعمال بحكم قانون الاقتصاد اللغوي... "

(١) **التصريف العربي**، الطيب البكوش، ص٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبناء على ذلك، فإن الاقتصاد اللغوي قد وفّر مجهودا عظيما على مستوى الذاكرة في تمييز الفروق الدقيقة بين الأفعال المضارعة عند تنوع حركة عينها. وهو كما أرى الوجهة التي نولي وجوهنا شطرها عند تعليل انتقال الأفعال : فَعَل أو فَعِل إلى فَعَل.

<u>الاقتصاد اللغوي والتطور في اللغة</u>

يعزى كثير من الظواهر التي نلحظها في اللغة إلى ميل اللغة نحو الاقتصاد، ويفَسّر كثيرٌ من مظاهر التطور في اللغة في ضوء ظاهرة الاقتصاد اللغوي، لا سيما في المستوى الصوتي، إذ نلحظ في هذا المستوى تغيرات كثيرة، وتبدلات عديدة سواء في مخارج الأصوات أو صفاتها.

وإذا كان الكثيرون يردون التطور اللغوي في الأصوات اللغوية إلى الميل نحو السهولة في اللغة، فإن هذا الذي يذهبون إليه ليس السبب الوحيد، أو الأكثر أهمية في هذه الظاهرة، فليس ضربة لازب أن يكون التطور اللغوي سببه الأخذ بالسهولة، فقد يتم التطور من السهل إلى الصعب، يقول أحمد مختار عمر(١):

"التطورات اللغوية تخضع لعوامل أخرى أكثر تعقيدا من مجرد رغبة المتحدثين بها في بذل جهد أقل، حتى يوفروا على أنفسهم بعض المشقة والعناء. ولو صح هذا لصارت اللغات جميعا سلسلة من الأصوات المتحركة؛ لأنها تتطلب جهدا أقل في نطقها، ولكننا نجد الأمر على العكس من ذلك؛ إذ تقل الأصوات المتحركة وتزيد الأصوات الساكنة المتعاقبة التي تحتاج إلى جهد كبير من المتحدث عند نطقها. ولو صح هذا لانقرض صوت الذال مثلا من جميع لغات البشر استجابة لدعوى من يقول بجنوح الإنسان إلى التخلص من الأصوات التي يتطلب نطقها جهدا أو عسرا"

---

(١) **<u>دراسة الصوت اللغوي</u>**، أحمد مختار عمر، ص٣٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما كان من قبيل ذلك ظاهرة تحقيق الهمز في العربية، فمن حققه ولم يسهله آثر إظهار الهمز على تليينه، علماً أن تسهيل الهمز إشارة إلى سهولة نطقه، فنجد من العرب من يقف بالهمز وهو ما يعرف بظاهرة التهميز في العربية، كقولهم رأيت رجلأ، تماماً كما هو الحال في (عَدَّ) وما كان مثلها، إذ يستلزم نطقها نشاطاً وجهداً أكثر من الجهد المبذول، (عدد). يقول علي عبد الواحد وافي [1]:-

"ليس الصحيح كذلك ما ذهب إليه ماكس مولر (Max Muller) وويتني (Whitney) من أن التطور الصوتي يتجه نحو تسهيل النطق، ويعمل على تحقيق الاقتصاد في المجهود... فهو (الاقتصاد في المجهود) لا يمكن أن يتحقق إلا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح... حقاً إن الحالة التي تتطور إليها أصوات الكلمة في جيل ما تكون دائماً أكثر من حالتها الأولى تلاؤماً مع طبيعة أعضاء النطق، واستعدادها عند أهل هذا الجيل. ولكن لفظها قد يتطلب من الأعمال الصوتية وحركات أعضاء النطق أكثر مما قد يتطلبه لفظ الكلمة القديمة، فلا يتحقق حينئذ الاقتصاد الذي تقول به هذه النظرية". ٦٠٦٥٥٨

ليس كل تغير أو تطور في الأصوات اللغوية خاصة أو في اللغة عامة سببه الاقتصاد اللغوي. ويؤكد كثير من الباحثين صعوبة معرفة التطورات والتغيرات، في مستويات اللغة، وإن كان بالإمكان معرفة بعضها أو جزء منها. فإن التطور كظاهرة لا يزال مدار بحث الدارسين، ومحط أنظار الباحثن، يقول (بريتل مالمبرج)[2]:

"أما فيما يختص بالإجابة عن السؤال الذي يستهدف معرفة السبب في أن النطق يتغير، فإن العالم يجد نفسه أمام صعوبات لا يمكن تذليلها". و ربما كان مرد هذه الصعوبة إلى طبيعة

(1) **علم اللغة**، علي عبد الواحد وافي، ص ٢٨٨، وقد عرف قانون (Whitney) بقانون السهولة واليسر، انظر: **في البحث الصوتي عند العرب**، خليل إبراهيم العطية، ص ٦٩، وسيعرض الباحث لهذا القانون لاحقاً.

(2) **علم الأصوات**، برتيل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة من جهة أنها ظاهرة إنسانية مميزة، فاللغة الإنسانية واقع اجتماعي، ولا يمكن تفسير التغيرات التي تتعرض لها العادات اللغوية لمجموعة من الناس، إلا في إطار التحولات في المجتمع بشكل عام.

يرى الباحث أن دراسة التطور اللغوي في ضوء الاقتصاد اللغوي يمكن أن تفسر إلى حد ما، كثيراً من قضايا هذا التطور في مستويات اللغة كلها، يقول (أندريه مارتينيه)[١]:

"يمكننا القول إن تطور اللغة يخضع في سيره إلى التعارض بين حاجات الإنسان في التبليغ وبين ميله لأن يقصر نشاطه الذهني والجسدي على أدنى حد ممكن،..... يتحقق في كل مرحلة من مراحل التطور توازن مبين بين احتياجات التبليغ التي تتطلب وحدات أكثر عدداً وأشد خصوصية وأقل شيوعا وبين الخمول البشري الذي يحض على استعمال عدد محدد من الوحدات التي تتمتع بقيمة أشد عمومية وباستعمال أكثر شيوعاً. "

ومن التطور في المستوى الصوتي ما نجده من خلاف بيننا وبين المتقدمين في وصف بعض الأصوات مثل: الطاء، والقاف، والهمزة، فقد وصف القدماء هذه الأصوات بالجهر، واختلف المحدثون فيما بينهم في وصفها، فالهمزة مثلاً مجهورة عند القدماء، ومهموسة عند بعض المحدثين، وليست بالصوت المجهور ولا المهموس عند بعضهم الآخر[٢].

لقد طرأ تطور على صوت الطاء المتداولة اليوم بوصفها الذي هي عليه. وانتقلت بهذا التطور من الجهر إلى الهمس. ويبدو الاقتصاد فيما آلت إليه الطاء، وكذلك الهمزة والقاف في التخلص من ذبذبة الوترين الصوتية، وهي سمة خاصية الجهر في الأصوات اللغوية. وبتخلص هذه الأصوات من هذه الحركة أو من هذا الجهد المبذول، يكون المتكلم قد اقتصد في جهده بما

---

(١) **مبادئ اللسانيات العامة**، أندريه مارتينيه، ص ١٨٠.

(٢) انظر: **الأصوات اللغوية**، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، د. سمير استيتية، ص ١٠٩، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفره من استخدامه حركة نطقية واحدة ـ على الأقل ـ واستغنى عن الأخرى، وهي حركة تذبذب الوترين الصوتيين مع الصوت المجهور سببه الميل نحو بذل الجهد الأدنى الذي هو معيار أصيل من معايير الاقتصاد اللغوي.

الأبعاد السيكولوجية للاقتصاد اللغوي

إذا كانت اللغة أهم خصيصة تميز الإنسان حتى قيل إن الإنسان حيوان ناطق، فإن الذي يفهم من ذلك أيضاً أنك تتعرف على حال المرء إذا سمعت لغته، إذ لا خلاف في أن اللغة تكشف عما يختلج نفوسنا من مشاعر وأحاسيس، ورضا وغضب، وحزن وفرح، وصدق وكذب.... قال الحق سبحانه وتعالى[١]: "ولتعرفنهم في لحن القول". فاللغة بذلك لا تقف على أن يعرف بها الإنسان من بقية المخلوقات وإنما يعرف بها الإنسان من الإنسان أو تعرف بها حقيقة الإنسان وأحواله. وربما كان الخلاف في مفهومها ناتجاً عن أنها في حقيقة أمرها من طبيعة الإنسان وعالمه النفسي وتصوراته وأفكاره، حتى قيل إن اللغة هي الفكر ذاته، ولعل صلة اللغة بالفكر تشكل جدلية لا تزال ردودها عالقة، بين الباحثين أخذاً ورداً حتى يومنا هذا.

وتكفي الإشارة في علاقة اللغة مع النفس الإنسانية إلى ذلك العلم الذي أصبح ديدن الدراسات الحديثة في هذا المقام، وهو علم اللغة النفسي أو علم النفس اللغوي.يقول (برتيل مالبرج)[٢]: "ويتطلب إنتاج الأصوات وتفسيرها تدخل النشاط النفسي، فلولا الذكاء لما استطعنا أن ننتج أية لغة جديرة بهذا الاسم. ومن ثم فإن علم الأصوات يهتم أيضاً بالعمليات النفسية الضرورية للسيطرة على أي نظام صوتي. وعلى أية لغة منظمة".

---

(١) محمد، ٤٧/٣٠

(٢) **علم الأصوات**، بريتيل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص٧، ومن العلماء من يفرق بينهما، انظر اللغة والطفل، حلمي خليل، ص١٩، علم النفس اللغوي Pshchological Lingustics أو Psychology of Language علم اللغة النفسي: Psycholingustics انظر: **اللغة والطفل**، حلمي خليل، ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى ذلك أننا إذا استطعنا أن نعرف حقيقة النفس الإنسانية وطبيعتها وما تؤثره فتسعى إليه وما تأباه فتنفر منه، فلا ريب أنه يسهل علينا معرفة سلوكياتها، ونشاطاتها التي أخص ما فيها اللغة ركيزة أساسية في تميز الإنسان وتفرده.

ثم إن ارتباط الواقع النفسي باللغة يظهر في كل حركة نطقية تصدر منه. ويبدو أن بعض المصطلحات الشائعة في الدراسات اللغوية تؤكد هذه الرؤية، نحو: الإيقاع، والتنعيم، والنبر، والمد، والتسهيل، والتخفيف، والتقريب، والمماثلة، والمخالفة، والثقل، والانسجام...

وغني عن القول إن هذا الارتباط بين الجانبين المشار إليهما لا يخص المتكلم، وإنما يشاطره فيه السامع بالدرجة نفسها. فما يستثقله الناطق يستثقله السامع، وما يستخفه المرسل يستخفه المستقبل. وتبدو المسألة ذات بعد منطقي عندما تتساوى القوة بين الفعل والرد عليه. كما أن الظواهر الصوتية تخضع للواقع النفساني فيما نجده من تقليد في محاكاة طبقات المجتمع للطبقة الاجتماعية المرموقة فيه. وقد تنحو تلك المحاكاة مناحي ثقافية أو دينية لتكشف عن ظواهر صوتية خاصة، يقول الدكتور سمير استيتية [1]:

"إن ربطنا دراسة الأصوات في اللغات السامية بالعوامل الثقافية يعطينا تفسيراً مقبولاً لعدد من الظاهرات الصوتية، في هذه اللغات، فالسبب الثقافي الديني هو الذي يجعل أفراد الطائفة السامرية، في مدينة نابلس مثلاً، ينطقون بعض الأصوات الصفيرية فيما بينهم دون صفير زعماً منهم بأنهم يقلدون موسى عليه السلام في نطق هذه الأصوات".

وقد مرّ بنا في تعريف اللغة أنها ليست مجرد مجموعة من الأصوات المسموعة أو أنها أداة أو وسيلة، بل هي جزء من كينونة الإنسان وشخصيته.

---

(1) **معالم جديدة للمنهج المقارن**، بين اللغات السامية، جوانب أنثروبولوجية ونفسية واجتماعية، د. سمير استيتية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العاشرة، العدد الثلاثون، حزيران، ١٩٨٦. ص٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والذي يهمنا من هذا الطرح هو الوصول إلى الفكرة القائلة: إن اللغة جزء لا يتجزأ من سيكولوجية الإنسان، وأنها تكشف عن واقعه النفسي بصدق. وبناء على ذلك فإن ما تتسم به الطبيعة الإنسانية وما يختلج فيه الواقع النفسي ينعكس بالضرورة على اللغة.

انطلاقاً من هذا الفهم، فإن البحث في ظواهر اللغة بحث في الطبيعة السيكولوجية النفسية للمتكلم، وما يشيع في دراسة اللغة من مفاهيم نحو الميل إلى السهولة، وبذل الجهد الأدنى، والسعي إلى الانسجام، وكراهية توالي الأمثال، وإيثار الخفة، والاقتصاد في اللغة، هي في حقيقتها نزعات تميز الطبيعة النفسية قبل أن تظهر تجلياتها في اللغة.

ومن الجدير ذكره أن تلكم الظواهر، وإن بدت مما يؤثره المتكلم في لغته، ويسعى إليه في حديثه، فإنها ليست المطلوبة في كل حين، ولا التي ينبغي إتيانها في كل مقام، فقد تستدعي بعض السياقات زيادة لا حذفاً، ومداً لا تقصيراً، وربما سلك المتكلم مسلكاً اتجه فيه من السهل إلى الصعب، ومن الخفيف إلى الثقيل. ومثل هذا لا يعد تناقضاً في اللغة ولا شذوذاً، بل هو الانسجام عينه في توظيف الظواهر اللغوية كما تستدعيها سياقاتها، وتقتضيها ظروفها وأحوالها. وللتدليل على ذلك ننظر في قوله تعالى: "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً"[1] وقوله: "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً"[2]. فقد جاءت الآية الأولى (تستطع) بالتاء ،وجاءت الثانية (تسطع) بالحذف والسرعة. أما الأولى فقيلت قبل أن يقصّ الخضر على موسى (عليهما السلام) ما حدث من أفعال استبهمها نبي الله ولم يجد لها تأويلاً، فثمة شغف في نفس موسى عليه السلام لتفسير ما وُقع، وحرص على معرفة التفاصيل والحيثيات. وفي المقابل نجد الخضر عليه السلام قد قطع على نفسه بإخبار موسى تأويل ما حدث بدليل قوله: (سأنبئك)، وهذا مقام يستدعي

---

(1) الكهف ١٨/٧٨.

(2) الكهف ١٨/٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التريث وألا يحذف من النبأ شيئاً، بل عليه أن يسرد الحديث تاماً لا سيما والقاص قد أخذ على نفسه الإخبار والإفهام، وكأنه في سعة من وقته فقال: تستطع.

أما الثانية فما كان أسرع الخضر فراقه موسى ــ عليهما السلام ــ كيف لا، وقد أعلن من قبل: "إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني" فما أن سأله حتى قال: "هذا فراق بيني وبينك "، فسرعة الفراق لاءمها سرعة الكلام بما حواه من حذف وخطف. وكأني بالخضر عليه السلام قد توارى عن الأنظار بُعَيد قوله هذا. ناهيك عن سكوت الشغف عند نبي الله بعد تمام المعرفة وإدراك المسألة، مما استدعى الصورة التي انبنى عليها اللفظ في الآية الثانية.

إن هذا المثال يؤكد أن الظاهرة اللغوية إنما يحكمها سياق يستدعيها، ومقام يستوفيها، وعليه فليس الحذف أو الزيادة هو ما تؤثره اللغة أو(النفس)، وإنما تنتقى الظاهرة وفق مقامها وسياقها. ولذلك فإن ما تمارسه اللغة من اقتصاديات في سياقاتها الصوتية إنما محله ما يكتنف نفس المتكلم من عمليات سيكولوجية. ولا يصرف النظر إلى الصوت منفردا معزولا، وإنما يرود السياق الصوتي بظاهرته الاقتصادية، ليكون معواناً على انقياد الدلالة التركيبية نحو الوجهة التي تولي شطرها، وإن كانت ثمة أنظار لا تعدم بحثا دلاليا للصوت منفردا في سياقه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

"الاقتصاد اللغوي في صوامت العربية"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدو مظاهر الاقتصاد اللغوي في صوامت العربية من خلال استكناه جملة من الظواهـــر التي يبدو فيها تجليات الاقتصاد اللغوي أكثر من غيرها، وهي ظاهرة الإبدال والإدغام والحـذف، ويتفرع من كل ظاهرة مجموعة من المسائل، تختص بكشف أبعاد هذا الاقتصاد وقيمه، ويمكـــن تأطير العلاقة فيما بينها على النحو الآتي:

الاقتصاد اللغوي في صوامت العربية

الإبدال	الإدغام	الحذف
-الإبدال السماعي	-إدغام المتماثلين	- حذف الهمز
-الإبدال القياسي	-إدغام المتقاربين	- الحذف لتوالي الأمثال
		- الحذف لالتقاء الساكنين

أولاً :- الاقتصاد اللغوي في ظاهرة الإبـــدال بين الصوامت

عُني علماء اللغة والصرف بالإبدال، وكذلك علماء القراءات الذين جعلوا هـــذا البـــاب مقدمة لدرس القراءات وفرش الحروف. وليس من العسير على المتأمل في موضوع الإبدال بيـن أصوات العربية أن يقسمه إلى قسمين:

أ:- الإبدال السماعي ب:- الإبدال القياسي

أ-الإبدال السماعي

عُني بهذا النوع من الإبدال اللغويون من أمثال أبي الطيب اللغـــوي (٣٥١هـــ) وابـــن السكيت (٤٤٤هـــ) يقول السيوطي(١):

(١) **المزهر**، السيوطي، ج١/ ٤٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"معرفة الإبدال : قال ابن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض، وهو كثير مشهور، قد ألف فيه العلماء، وممن ألف في هذا النوع ابن السكيت وأبو الطيب اللغوي".

وفي مثل هذا النوع من الإبدال يرصد المصنف ما جرى من إبدال بين أصوات اللغة اعتماداً على ما وصل إليه من الشواهد اللغوية. ولا يسعى هذا النوع من الإبدال إلى وضع قواعد لضبط درس الإبدال في اللغة. وفيه على ما أرى استقصاء وجمع لأكبر قدر من الإبدال دون محاولة تقديم تفسير أو تعليل لأسبابه. ويبدو في مصنفات هذا النوع من الإبدال الشغف بتتبع أقوال العرب وتسجيل ما سمع منهم. ولا يخلو هذا الجمع من تداخل اللغات (اللهجات) وتعدد الروايات، دون أن يعنى فقط بالمستوى الفصيح من اللغة.

ولعل أشهر ما يطالعنا في الإبدال السماعي ما أصّله أبو الطيب اللغوي في كتابه (الإبدال)، وفيه رصد المصنف ما ورد من إبدال بين أصوات اللغة مستشهداً على كل إبدال بما وصل إليه من قراءات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أشعار أو أمثال أو أقوال... وقد بلغت أبواب الكتاب (٢٨٠) باباً. وتتأتى كثرة أبواب الكتاب من كثرة تبدلات الصوت الواحد، فالجيم مثلاً تبدل من (٢١) صوتاً!. وربما كان أفضل تعليق على هذا النوع من الإبدال، ما ساقه السيوطي عن أبي حيان الأندلسي(٧٤٥هـ) يقول [1]: "وقال أبو حيان في شرح التسهيل: قال شيخنا الأستاذ أبو الحسن ابن الصائغ: قلما تجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البدل، ولو نادراً".

ويكشف الإبدال عند أبي الطيب عن أكثر الأصوات إبدالاً، إذ نجد أصواتاً حظيت بالإبدال سواء أكانت مبدلة أم مبدلاً منها أكثر من غيرها، ويمكن رصدها كما يوضح الجدول (١):

---

(١) **المزهر**، السيوطي، ج١/٤٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجدول (١)

الإبدال السماعي لأشهر الأصوات اللغوية

أشهر الأصوات المبدل منها	عدد مرات الإبدال منها	عدد مرات إبدالها	أشهر الأصوات المبدلة	عدد مرات إبدالها	عدد مرات الإبدال منها
ج	٢١	٢	ي	٢٠	١
ت	١٨	٠	م	٢٠	٤
ح	١٨	٣	ن	١٩	٤
ب	١٦	٠	ل	١٩	٤
ر	١٦	٧	ك	١٨	٤
س	١٥	١٠	ف	١٧	٧
ث	١٤	١	ق	١٦	٥
د	١٤	٤	هـ	١٦	٢
ز	١٣	٦	ع	١٥	٩
ء	١٢	٠	و	١٤	٢
خ	١٢	٤	–	–	–
ذ	١٢	٤	–	–	–
ش	١٢	٨	–	–	–

ويلحظ من هذه القوائم أن الأصوات المبدلة في الغالب هي:(ي، م، ن، ع، و). وفي الوقت نفسه هي أقل الأصوات من حيث قبولها إبدال غيرها منها. وهي أصوات تتصف بالتوسط بين الشدة والرخاوة.

وفي هذا الوصف ما يفسر لنا الكينونة الإبدالية في هذه الأصوات، فارتفاع نسبة إبدالها يتأتى من موقعها المتوسط بين الشديد والرخو. ولذلك جرى الإبدال من الأصوات الشديدة إليها، كما جرى الإبدال من الأصوات الرخوة إليها أيضاً، لأن هذه الأصوات قد أخذت من كلا الفريقين بحظ، فأبدلت من الرخو كما أبدلت من الشديد، ولذلك فهي أقرب إلى الأصوات الشديدة من الأصوات الرخوة، وأقرب إلى الأصوات الرخوة من الشديدة. ولما كان هذا القرب وسطاً فإنه يعد اقتصاداً لغوياً يميل إليه المتكلم لما فيه من خفة وسهولة. هذا بالإضافة إلى ما يلحظ في هذه الأصوات (المبدلة) من سهولة نطقية، إذ لا تستدعي مجهوداً نطقياً كبيراً، لذلك آثرت اللغة أن يبدل إليها، وفي الوقت نفسه قلما يبدل غيرها منها. وفي هذا الملمح أخذ بأسباب الاقتصاد اللغوي الذي يحرص على الأخذ بأمثل الوسائل التي لا تستدعي جهداً كبيراً في تحقيق أفضل الغايات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه ليس من بين الأصوات المبدلة صوت مطبق، بل كلها منفتحة، وذلك لما يستدعيه الإطباق من جهد نطقي أكثر من المنفتح، وليس فيها باستثناء الكاف والقاف أي صوت مستعل؛ للسبب نفسه، إذ الانفتاح والاستفال أيسر من الإطباق والاستعلاء، فالأولان مما يتفق وطبيعة اللسان في وضعه الطبيعي الاعتيادي، لذلك كانت القاف والكاف من أواخر الأصوات في جدول الأصوات المبدلة.

وتجدر الإشارة إلى ارتفاع نسبة صوتي النون والميم في الأصوات المبدلة، ففي هذين الصوتين إيقاع محبب للعربي سببه الغنة، وفيهما لذة لا يجدها في غيرهما. ولعل نظرة عجلى إلى فواصل كتاب الله توحي بإيثار الأصوات الأنفية لما فيها من غنة على غيرها[١].

ويتضح من القوائم في الجدول (١) أن الأصوات المبدلة ليس من بينها أي صوت من الأصوات المبدل منها. وهذا أمر منطقي، فما دام الصوت قد كثر إبداله فلن تؤثر اللغة إبداله من غيره. ولذلك وجدنا أن الأصوات المبدلة يكثر عدد مرات إبدالها، ويقل عدد مرات الإبدال منها، لأن اللغة تؤثر الإتيان بها، والأصوات المبدل منها يقل عدد مرات إبدالها، ويكثر عدد مرات الإبدال منها، لأن اللغة تؤثر تركها. ومثل هذا المسلك اللغوي يعد من مبادئ علم الاقتصاد الذي لا يتخلى عن وسيلة ثَبَتَ نجاح استثمارها، ولذلك ما كثر إبداله في اللغة قلَّ الإبدال منه، وما قل إبداله كثر الإبدال منه.

ولا يبدو من قوائم الجدول (١) صوت يغاير الحقيقة القائلة بالتناسب العكسي بين عدد مرات إبدال الصوت، وعدد مرات الإبدال منه، سوى ما نجده في صوتي: السين والشين. ولكن سرعان ما تزول هذه الغرابة، إذا عرفنا أن هذين الصوتين كانا عرضة للتطور اللغوي بشكل دائم؛ إذ تحدثنا الدراسات السامية عن تبدل الشين إلى سين في العربية. وتبدو آثار هذه التغيرات

---

(١) انظر الرعاية: مكي بن أبي طالب، القيسي، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى اليوم في اللهجات الحديثة. وهذا السبب نفسه يفسر كثرة الإبدال من صوت الجيم الذي تتعدد أشكال النطق به عند العرب كذلك.

أما الأصوات المبدل منها التي عرضها الجدول (١)، فأغلب الظن أن هذه الأصوات قد حظيت أكثر من غيرها بالإبدال منها؛ إما لكثرة دورانها كما هو الحال في الراء، والباء والدال، إذ نسبة شيوع هذه الأصوات أكثر من غيرها. ومعلوم أن كثرة الاستعمال تبيح التصرف، فالراء كما يقول علي حلمي موسى، وعبد الصبور شاهين، هي أكثر أصوات العربية شيوعاً، إذ تبلغ نسبة شيوعها (٥,٩٠١%)، والباء (٥,٠٦٧٠%)، والدال (٤.١٢٨%)[١]. وهذا السبب نفسه (ارتفاع نسبة شيوع الأصوات في اللغة) قد يكون المسؤول عن جعل الأصوات: (و، ل، م، ن، ف، ع، ي) من الأصوات المبدلة، إذ تعد هذه الأصوات في صدارة أصوات العربية من حيث ارتفاع نسبة شيوعها.

أما السبب الثاني الذي يراه الباحث في مجيء الأصوات المبدل منها على الشكل الذي جاءت عليه فهو: ما يستدعيه بعضها من جهد نطقي أكثر من غيره، كما هو الحال في الهمزة والخاء والحاء، فآثرت اللغة إبدال غيرها منها، أو لما أحدثته مجريات التطور اللغوي في بعض الأصوات، كما هو الحال في الشين والسين والجيم، وأخذ اللغة بهذا الأساس من أولويات الاقتصاد اللغوي الذي ينزع نحو استثمار الوسائل بأسهل الطرائق.

ويرى الباحث أن من أهم الأسباب التي تذكر في الحديث عن الأصوات المبدل منها التي عرضها الجدول (١) هو: اقتراب هذه الأصوات مخرجاً من أصوات أخرى، وتلاقيها معها في تعالق وصفي متقارب من جهة أخرى، مما يستدعي حدوث الإبدال، فمعظم الأصوات المبدل

---

(١) انظر: **دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر**، علي حلمي موسى، وعبد الصبور شاهين، ص ٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها هي أصوات مقدمة الفم، أسنانية أو بين أسنانية أو لثوية أو شفوية. ومعلوم أن مقدمة الفم هي أكثر المخارج أصواتاً من حيث العدد، ولا يكاد يمتاز صوت عن آخر إلا بصفة يسيرة، ومن هنا كان الإبدال فيها أكثر من غيرها، وقد تنبه إلى ذلك سيبويه من قبل، يقول[1]:"أصل الإدغام في أصوات الفم"

أما ابن السكيت فباب الإبدال عنده أضيق من سلفه أبي الطيب، وضمَّ كتابه (الإبدال) اثنين وثلاثين باباً فقط. ولكنه لما أحسَّ بكثرة ما يرد من شواهد تحكي إبدالاً بين أصوات ليست من أبواب كتابه، عقد باباً خاصاً أسماه: "باب إبدال من حروف مختلفة" ذكر فيه واحدةً وثلاثين حالة إبدال بين أصوات اللغة. وإحساسه بتشعب الأمر واتساعه وكثرة تداخل الروايات واللهجات جعله يلحق هذا الباب بكتابه، ولست مبالغاً إذا قلت: إن كتاب ابن السكيت يعد تهذيباً لكتاب أبي الطيب السابق.

على أية حال فإن الإبدال السماعي يظل ميداناً رحباً، يمكن أن ننهل منه ما يعزز أنظارنا اللغوية لتفسير كثير من قضايا الإبدال في منظور الاقتصاد اللغوي، ولكن مكانه كتب اللغة والمعاجم لا الصرف والأصوات، يقول الأشموني (٩٢٩هـ) ناقلاً عن ابن مالك (٦٧٢هـ)[2]:

"قال في شرح الكافية: وهذا النوع من الإبدال (السماعي الشاذ) جدير بأن يذكر في كتب اللغة، لا في كتب التصريف، وإلا لزم أن نذكر العين، لأن إبدالها من الهمزة المتحركة مطرد في لغة تميم.

---

(1) **الكتاب**، سيبويه، ٤/٤٥٤

(2) انظر **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ج٤/ ٤٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اثنا عشر حرفاً هي هجاء قولنا:(طال يوم أنجدته) وزاد عليها :السين، والصاد، والشين، والزاي، والعين، والفاء، واللام"[١]. يقول ابن عصفور[٢]:

"حروف الإبدال: فمن ذلك حروف البدل لغير إدغام، وهي الحروف التي يجمعها قولك، "أجد طويت منهلا" فهذه الحروف تبدل من غير إدغام، فإذا كان البدل لأجل إدغام لم يكن مختصاً بهذه الحروف، بل جائز في كل حرف يدغم في مقاربه أن يبدل حرفاً من جنس مقاربة الذي يدغم فيه".

وبعد أن عرض ابن عصفور لإبدال هذه الحروف، أضاف باباً عنوانه: "ما لم يذكره سيبويه من حروف الإبدال" ذكر فيه إبدال الحروف الآتية: السين، الصاد، الشين، الزاي، العين، الفاء، الكاف. واعتذر ابن عصفور لسيبويه في ذلك لقلة وقوع الإبدال فيها[٣].

ووافق أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ابن عصفور في تعقيبه على الكتابين السابقين في تقريب المقرب، والمبدع الملخص من الممتع[٤].

ويحدثنا الشيخ خالد الأزهري(٩٠٥هـ) عن أقسام الإبدال في اللغة، بشيء من التفصيل والتقسيم، فيقول[٥]:

"الأحرف التي تبدل من غيرها أربعة أقسام: ما يبدل إبدالاً شائعاً للإدغام وهو جميع الحروف إلا الألف، وما يبدل إبدالاً نادراً وهو ستة أحرف وهي:الحاء والخاء، والعين والمهملة والقاف والضاد والذال المعجمتان. وما يبدل إبدالاً شائعاً لغير إدغام وهو قسمان: ما هو

---

(١) انظر : **الممتع في التصريف**، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ج١/ ٣١٩-٤١٥، **والمقرب** ،لابن عصفور، ج٢/ ١٥٩-١٨٢،.

(٢) **الممتع في التصريف**، ج١/٣١٩.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**. ٣١٩/١

(٤) انظر : **المبدع الملخص من الممتع** ٨٤-٩٦، **وتقريب المقرب**، ١٢٢-١٢٦، لأبي حيان الأندلسي.

(٥) **شرح التصريح على التوضيح**، خالد الأزهري، ج٢، ٣٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضروري في التصريف، وهو اثنان وعشرون حرفاً يجمعها هجاء قولك: (لجد صرف شكس آمن طي ثوب عزته). وما هو ضروري في التصريف وهو تسعة يجمعها هجاء قولك :هدأت موطياً."

إن أول ما يردّ على هذا التقسيم الذي قدمه الأزهري هو ما أثبته الشيخ ياسين العليمي في حاشيته على شرح الأزهري، يقول(1):

"لا يخفى أن هذه الحروف التسعة (هدأت موطياً) بعض الاثنين وعشرين المتقدمة فيلزم أن يكون إبدالها ضرورياً وغير ضروري وذلك تناقض".

ولكن بالرغم من هذا المأخذ الذي يسجله الشيخ ياسين، تبقى إشارة الأزهري إلى الحروف التسعة قائمة؛ لما نصَّ عليها النحاة والصرفيون، إذ ترد هذه الأحرف عند ذكرهم لحروف الإبدال. وأكد ابن الجزري (٨٣٣هـ) ومكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) من علماء القراءات، أن حروف الإبدال لا تعدو أن تكون اثني عشر حرفاً، يجمعها قولك: طال يوم أنجدته (2).

ويحدثنا الأشموني عن ابن مالك(٦٧٢هـ) أنه حصر حروف هذا الإبدال في قولنا: (هدأت موطياً)، وأطلق عليه اسم: البدل الشائع، فهي عنده تسعة، ولكن الأشموني يورد آراء أخرى تخالف رأي ابن مالك، فيقول (3):

"عدَّ كثير من أهل التصريف حروف الإبدال اثني عشر حرفاً، وجمعوها في تراكيب كثيرة منها :طال يوم أنجدته. وأسقط بعضهم اللام وعدَّها أحد عشر، وزاد بعضهم الصاد والزاي. وعدّها الزمخشري ثلاثة عشر، وجمعها في: استنجده يوم طال، قال ابن الحاجب: وهو

---

(1) **شرح التصريح على التوضيح**، الأزهري : ج٢/ ٣٦٧.

(2) انظر: **التمهيد في علم التجويد**، ابن الجزري، ص١٠١، **والرعاية**، مكي بن أبي طالب القيسي، ص١٢٢.

(3) انظر: **شرح الأشموني** ج٤/ ٤٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم؛ لأنه أسقط الصاد والزاي وهما من حروف الإبدال.. وزاد السين وليست من حروف الإبدال... والذي ذكره سيبويه أحد عشر حرفاً ثمانية من حروف الزيادة، وهما سوى اللام والسين، وثلاثة من غيرها وهي الدال والطاء والجيم".

وجعل السيوطي حروف الإبدال تسعة، مخالفاً من سبقه في حرف واحد هو الهاء، وجمعها في قولنا: (طويت دائماً) [١]، ويلحظ أنه كرر الألف مرتين ولم يذكر الهاء ألبتة، في الوقت الذي يجعلها كثير من النحاة والصرفيين أول حروف الإبدال. ولكن السيوطي في موضع آخر يورد رأياً مختلفاً، فيقول[٢]:

"قال القالي في أماليه، بعد أن سرد جملة من ألفاظ الإبدال: اللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال، وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو، وإنما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفاً يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته)".

وذكر ابن مالك (٦٧٢هـ)[٣]، ووافقه عليه أبو حيان الأندلسي[٤]أن من الإبدال إبدالاً تتكافأ فيه الأصوات، ولا يدل قولهم "متكافئ" على أنه الإبدال المرتضى، بل إن بعض ما ذكر فيه يعد من الشاذ الذي لا ينظر إليه، فقد ذكروا منه إبدال الهاء من الحاء، والكاف من القاف،... ووصف إبدال هذه الأصوات بالقليل النادر[٥].

وبعد عرض وجهات النظر المختلفة في حروف الإبدال في العربية، فإن الإجماع يكاد ينحصر على الأحرف التي نجدها في هجاء قولنا:(هدأت موطئاً)، يقول ابن عقيل (٧٦٩هـ)[٦]:

---

(١) **الهمع**، السيوطي، ج٣/٤٢٦.
(٢) **المزهر**، السيوطي، ج١/ ٤٧٥.
(٣) **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، ابن مالك، ص٣١٧.
(٤) انظر: **ارتشاف الضرب**، أبو حيان الأندلسي، ج١،١٥٨
(٥) **الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية**، الأسنوي ٧٧٢هـ ، ص٤٢٩.
(٦) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج٤/ ٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"أحرف الإبدال "هدأت موطيا"... هذا الباب عقده المصنف لبيان الحروف التي تتبدل من غيرها إبدالا شائعا، وهي تسعة أحرف جمعها المصنف... في قوله: "هدأت موطيا". وأما غير هذه الحروف فإبدالها من غيرها شاذ أو قليل، فلم يتعرض المصنف له." فهذه الأصوات تمثل ما يجري من إبدال في المستوى الفصيح.

وهذا الرأي الذي مال إليه الباحث يقوم على أساس التقارب المخرجي والتعالق الوصفي بين الأصوات المبدلة والأصوات المبدل منها.

ولما كانت الأصوات العربية تتوزع على مخارج خاصة في جهاز النطق، ولكل مخرج أصواته، ويجري الإبدال القياسي (المقعد) بين أصوات المخارج المتقاربة وفق شروط سياقية خاصة، فقد رأى الباحث ضرورة تقسيم أصوات اللغة إلى مجموعات وفق مخارجها لبيان حقيقة ما جرى بينها من إبدال. وقبل عرض هذه المخارج الصوتية تجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين القدماء لم يكن بأقل من الخلاف بين المحدثين في تحديد ووصف بعضها[1]، ويبدو الخلاف بادئ ذي بدء في عدد هذه المخارج، يقول ياسر الملاح[2]: "وقد قلص المحدثون عدد المخارج إلى عشرة ومعروف أنها كانت عند القدماء تتراوح بين ١٥، ١٧ مخرجا".

وبعد أن استعرض الباحث ما صنفه عدد من العلماء في وصف مخارج الأصوات وأصوات كل مخرج، يكاد الإجماع ينعقد على التصور الذي نجده في الجدول رقم الآتي [3]:-

---

(١) انظر : **الأصوات اللغوية**، كمال بشر، ص٨٩-٩٠، **واللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، ص٧٩، **والأصوات اللغوية**، ياسر الملاح، ص٩٣- **وعلم الأصوات**، مالمبرج، ، ص١١٠-١١١.

(٢) **الأصوات اللغوية**، ياسر الملاح، ص٩٢.

(٣) استأنس الباحث بما وجده عند بعض علماء الأصوات في ذكر هذه المخارج، وهم : إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية** : ص ٤٤-١٠٤، عبد الرحمن أيوب، **أصوات اللغة** : ص١٩٨، عبد الصبور شاهين في دراسته لكتاب: **علم الأصوات**: مالمبرج ص١١٠-١١١، أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**: ص٣٢٠، كمال بشر، **الأصوات اللغوية**: ص٨٩-٩٠، تمام حسان ، **اللغة العربية معناها ومبناها**: ص٧٩، بسام بركة، **علم الأصوات العام**: ص١٢٧، وياسر الملاح : **الأصوات اللغوية**: ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول رقم(٢)

جدول مخارج الأصوات

التسلسل	المخرج	الأصوات	المجموعة المخرجية (*)
٠١	شفوي	ب، م	بعد الفموية
٠٢	أسناني	ف	
٠٣	أسناني (بين أسناني)	ذ، ث، ظ، ز، س، ص، ض،	الفموية الأمامية
٠٤	أسناني لثوي	د، ت، ط	
٠٥	لثوي	ل، ر، ن	
٠٦	غاري (الحنك الصلب)	ج، ش، ي	الفموية الوسطى
٠٧	طبقي (الحنك الرخو)	ك، و	
٠٨	لهوي	ق	الفموية الخلفية
٠٩	طبقي لهوي	غ، خ	
١٠	حلقي	ع، ح	قبل الفموية
١١	حنجري	ء، هـ	

سبق القول إنه إذا أخذنا بمجموع الآراء في حروف الإبدال بناء على تقارب المخـــارج بين أصوات العربية، فإن هجاء قولنا: هدأت موطيا، هو ما يمثل الإبدال القياسي في العربية.

وبعد استقراء ما أصَّله علماء الصرف عن إبدال هذه الحروف[١]، وبعد النظر في الصوت المبدل ومخرجه وصفاته، والصوت المبدل منه ومخرجه وصفاته، فإن الإبدال يجـــري بين الأصوات المتقاربة في المخرج كمـــا يجـري بيــن المجموعــات المخرجيــة المتقاربــة أيضا[٢]،يقول عبد الصبور شاهين[٣]:

(*) **المجموعة المخرجية** : مصطلح أقصد به ضم الأصوات في مجموعة بناءً على موقعها المخرجي من الفم.

(١) انظر : **الحديث عن الإبدال**، من غير إدغام في كتاب سيبويه ج٤/٢٣٧. وانظر ما ذكره ابـــن الســراج فـــي **الأصول** ٣/٢٥٠-٢٧٦، والصيمري، في **التبصرة والتذكرة**٢/٨١٢-٨٧١، وابـــن يعيـــش فـــي **شرح المفصل** ١٠/٧، وابنُ عصفور في **المقرب** ٢/١٥٩-١٨٢، **والممتع** ج١/٣١٩-٤١٥، وأبو حيان الأندلســـي فـــي **المبدع** ٨٤-٩٦، **وتقريب المقرب** ١٢٢-١٢٦، وابن الجزري في **التمهيد**، ص١٠١، ومكي القيسي في **الرعاية** ص١٢٢، وعبد القاهر الجرجاني في **المفتاح في الصرف**، ص٩٢، وما بعدها.

(٢) يحدثنا سيبويه عن الإبدال بين الأصوات الآتية:(ء: ي، و)، (ا:و،ي)، (هـــ:ت،ء،ي)، (ي:و، ا،ء)، (ن:ء،ا)، (و:ي،ا،ء)(ت:و،ي،د،س)، (د:ت)، (ط:ت)، (ن:م،و)، (ج:ي)، وهذه الحروف المبدلة هي حروف الإبدال عنـده وهي أحد عشر حرفاً. انظر: **الكتاب**، سيبويه ٤/ ٢٣٧-.٢٤٢

(٣) **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، ص١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ومن الحقائق المسلمة أن ظاهرة الإبدال بصفة عامة، لا تحدث إلا على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة، وأن الغاية منه تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليات النطق المتتابعة".

ويبدو الاقتصاد اللغوي في الإبدال في تناول المتكلم لصوت يصدر من المخرج ذاته أو من أقرب المخارج إليه، وهو بانتقاله القريب يمارس اقتصاداً لغوياً، وفّر فيه جهداً نطقياً، فالنطق حركة، والحركة بين المتقاربين أسهل بكثير منها بين المتباعدين، إذ يسهل على اللسان أن ينتقل من الشفتين إلى اللثة أو العكس، ولكنه يجد صعوبة في انتقاله من الحنجرة إلى اللثة. وهذا لا يعني بحال أن الصوت الشفوي أو اللثوي لا يلتقي مع الصوت الحنجري. وإنما القصد أن الصوت إذا استدعى السياق تغيره، فإنه يتغير بأقرب الأصوات إليه مخرجاً وصفة.

ثم إن الأصوات ذات المجموعة المخرجية الفموية الأمامية: (الأسنانية والأسنانية اللثوية واللثوية) والأصوات ذات المجموعة المخرجية بعد الفموية(الشفوية والشفوية الأسنانية)، هي أكثر الأصوات جرياناً في الإبدال، ولعل ذلك يعود إلى الأسباب الآتية :-

أولاً: نسبة شيوع الأصوات في اللغة إن الصوت كلما كان شائعاً، كان التصرف فيه بالإبدال أو الحذف أكثر... وبعد الإطلاع على مسطرة الباحثين التي صنفها علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين نجد الأصوات الآتية المرصودة في الجدول (٣) هي أكثر أصوات العربية شيوعاً، وهي[١]:

الجدول رقم (٣)

الأصوات الشائعة في العربية

الصوت	نسبة شيوعه	الصوت	نسبة شيوعه	الصوت	نسبة شيوعه	الصوت	نسبة شيوعه
ر	%٥,٩٠١	و	%٥,٨٨٨	ن	%٥,٧٣٥	م	%٥,٢٧٤
ل	%٥,٢١٢	ب	%٥,٠٦٧	د	%٤,١٢٨	ف	%٤,١١٥

(١) انظر **دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس**، علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين، جدول رقم:١ ص٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا ربطنا هذه الأصوات مع ما أطلق عليه القدماء الحروف المذلقة، وجدنا بينهما صلة شديدة يقول القيسي عنها[1]:

"... هي أخف الحروف على اللسان وأخفها انشراحاً وأكثرها امتزاجاً بغيرها،وهي ستة أحرف: ثلاثة تخرج من أسلة اللسان، إلى مقدم الغار الأعلى وهن: الراء، والنون، واللام".

وإذا تأملنا في هذه الأصوات التي ذكرها القيسي وجدناها من الأصوات الأكثر شيوعاً التي ذكرها الباحثان علي حلمي وعبد الصبور شاهين، فمن بين أكثر ثمانية أصوات شيوعاً في العربية، نجد الستة المذلقة التي أشار إليها القيسي، وحسبنا ما أورده القيسي عنها تعليلاً لهذا التلاقي بينهما.

يرى الباحث أن ما سمّوه الحروف "المذلقة" هي من أكثر الحروف إبدالاً، إذ تتوزع هذه الأحرف على المخارج الشفوية الأسنانية واللثوية، أو هي من مجموعة الأصوات الفموية الأمامية أو ما بعد الفموية. فهذه الأصوات لما كثر استعمالها وازدادت نسبة شيوعها تصرف بها العرب بالإبدال؛ لما فيها من خفة وسهولة نطقية؛ إذ لا تستدعي جهداً نطقياً كبيراً، ولذلك كانت أكثر الأصوات شيوعاً وسهولة وإبدالا، وما إبدالها إلا دلالة على الاقتصاد اللغوي فيها. وقد تنبه القدماء إلى شيوع هذه الأصوات أكثر من غيرها، حتى جعلوها ميزة لكلام العرب[2]، مما يؤكد أن كثرة الاستخدام عامل رئيس في جريان الإبدال.

ثانياً :- <u>عدد أصوات المخرج:</u>

مرّ بنا أن الأصوات الأسنانية هي أكثر المخارج عدداً، إذ تبلغ سبعة أصوات، ثم يليها

---

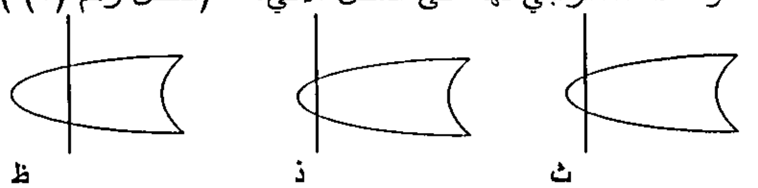
(١) **الرعاية**، مكي القيسي، ص١٣٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشفوية واللثوية والغارية، التي يبلغ عدد أصوات كل منها ثلاثة. ولا يخفى أن كثرة أصوات المخرج تزيد من حالات الإبدال فيه، والسبب في ذلك أن الفروق بين خصائص هذه الأصوات قليلة جداً، فإذا نظرنا إلى الصوتين الأماميين (التاء والدال) وجدنا أنه لا فرق بينهما سوى الجهر والهمس، وأنهما متفقان في الشدة والترقيق. وكذلك(الثاء والذال) و(الزاي والسين) وكذلك (الدال والضاد)، سوى أن الضاد مفخمة والدال مرققة، وكلاهما مجهور شديد ولا فرق بين الصاد والضاد سوى أن الضاد شديد والصاد رخو، وكلاهما مفخم، وكذلك لا فرق بين الدال والذال سوى في الشدة والرخاوة، وكلاهما مجهور مرقق.

إن مثل هذا التقارب في الصفات بين هذه الأصوات يعني في الحقيقة أننا نكاد ننطق صوتاً واحداً، إلا أننا نغير صفة واحدة من الصفات النطقية كأن نفخم أو نرقق، أو نجهر و نهمس... لينتج هذا التنوع من الصوامت المختلفة. وقد مارست العربية هذا الفعل مع الأصوات الأسنانية أكثر من غيرها؛ لأن هذا المخرج يكون اللسان فيه أقرب ما يكون إلى وضعه الطبيعي، أي وضع راحته، مما يجعلها أكثر سهولة، وأكثر اقتصاداً في الجهد في المبذول في أثناء النطق بها، وحرية تحريك اللسان في هذا المخرج أكثر من غيره. وليس أدل على ذلك من تأمل حركة اللسان في نطق الراء واللام والنون، وكلها أصوات لثوية، ولكن أحدها أدخل من الآخر نحو ظهر اللسان من حيث المخرج. وتبدو سعة هذا المخرج وحرية تحريك اللسان في نطق (الثاء والذال والظاء) مثلاً، إذ يتقدم ذلق اللسان بين الأسنان القواطع، ولكن مقدار تقدمه يختلف من صوت إلى آخر، فإذا أخذنا بالاعتبار الفوارق الوصفية بين الأصوات الثلاثة، كان الوصف المخرجي لها على الشكل الآتي:- (الشكل رقم (١))



All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا أخذنا بمفهوم الاقتصاد اللغوي الذي سبق عرضه، تبين لنا أن هذه الحركات النطقية تتم باستغلال المتكلم لما لديه من إمكانات نطقية استغلالا مثاليا، بوساطة ما يملك من وسائل نطقية لإنتاج أصواته بصورة صحيحة ميسرة. أما مظاهر الاقتصاد اللغوي في مسائل الإبدال القياسي فتتمثل فيما يلي:

أولا: إبدال التاء طاء

تبدل تاء الافتعال (في وزن افتعل ومشتقاته) طاء إذا كانت فاء الفعل صوتا مطبقا، ويعلل الصيمري، ذلك بقوله[1]:

"هذه الحروف (يقصد المطبقة) مطبقة مستعلية، والتاء ليس فيها إطباق ولا استعلاء، فأبدلوا من مخرجها حرفا فيه إطباق واستعلاء وهو (الطاء) ليشاكل ما قبله".

ولعل أكثر ما يستوقفني في قول الصيمري قوله: "من مخرجها وقوله: "ليشاكل ما قبله"، إذ يجد المتأمل في هذين القولين ما يغنيه في التعرف على سر هذا الإبدال، إذ أدرك الصيمري أن المسألة من باب المماثلة بين صوتين بدا التنافر بينهما حال تجاورهما، وهو تنافر في الصفة لا المخرج، إذ الضاد والتاء صوتان من الأصوات الفموية الأمامية، فليس قرب المخرج وحده هو الذي أدى إلى حدوث الإبدال، بل تفاوت الصفة هو الذي أدى إلى ذلك.

فقولنا (ضرب) إذا بني على وزن افتعل، كان الأصل فيه: اضترب، فماثلت التاء الضاد في الإطباق والاستعلاء، فأبدلت بصوت توفر فيه أمران: أحدهما أن يكون من مخرج التاء نفسها، والثاني: أن يكون فيه إطباق واستعلاء يماثل الضاد، وبذلك أبدلت التاء طاء.

ونستنتج مما سبق أن ثمة تنافرا في السياق عندما جاورت التاء الضاد في مثل اضترب التي أصبحت اضطرب فالتاء تخلو من صفتي الإطباق والاستعلاء هذا من جهة، ومن جهة

---

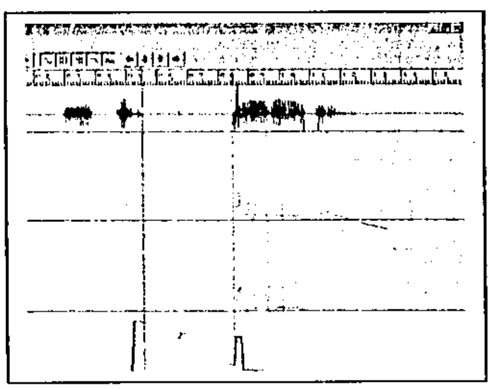
[1] **التبصرة والتذكرة**، الصيمري ج٢/ ٨٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

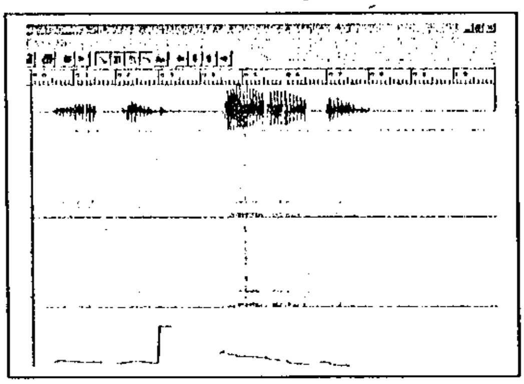
أخرى نجد أن الصوت المطبق أو المستعلي أقوى وأكثر تأثيراً من الصوت المرقق أو المستفل. وهذا ما نستخلصه من النتيجة التي آلت إليها الكلمة إذ صارت: "اضطرب". وبيان فارق القوة بين التفخيم والترقيق يتضح من تعريف المصطلح نفسه، فتفخيم الحرف: هو غلظ يدخل على صوت الحرف يمتلئ الفم بصداه. وترقيق الحرف: هو نحول يدخل على صوت الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه.[1] إن حقيقة ما تم في هذا الإبدال هو اقتصاد لغوي في عمليتين من النطق المتتابع يبدو بينهما بعد وفارق وصفي، فحدث تقارب بينهما عن طريق الإبدال بالتخلص من الفارق الوصفي المنفر أولاً، وإحداث المماثلة الوصفية التي أملاها أقواهما ثانياً. يبدو الاقتصاد اللغوي في إيثار الغربية ألا تجمع بين مفخم ومرقق في صيغة الافتعال. ويبدو أن هذا الصنيع سمة مشتركة بين العربية وأخواتها السامية[2].

أما الصورة الطيفية للسياقات الصوتية للكلمتين اضترب، اضطرب فتبدو على النحو الآتي :

اضتَرَبَ



اضطَرَبَ



إن تسجيلات الصور الطيفية لهاتين الكلمتين تفضي إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في الجدول الآتي :

(١) انظر : **حق التلاوة**، حسن شيخ عثمان، ص١٣٠ وانظر **الإضاءة في بيان أصول القراءة**، علي محمد الضباع، ص٣٨.

(٢) انظر : **فقه اللغات السامية**، كارل بروكلمان، ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجدول رقم(٤)

تحليل اضطرب قبل الإبدال وبعده

الحدث الصوتي	اضترب		اضطرب	
	الزمن	التردد	الزمن	التردد
نطق الكلمة	٠,٩٨١/ث	—	٠,٧٥٧/ث	—
نطق الفتحة بعد الصوت الانفجاري	(ت)٠,١٢٣/ث	١٢٦-٣٧٣ذ/ث	(ط)٠,١١٢/ث	١٢٩-١٥٠ذ/ث
حبس الصوت الانفجاري (ت،ط)	(ت)٠,٢٨٩/ث	—	(ط)٠,١٤٤/ث	—

يبدو من معطيات هذا الجدول الاقتصاد اللغوي الذي حققه الإبدال في هذه الكلمة من حيث المدة المستنفدة في نطق الكلمتين، كما تدل قراءة كل منهما. ويبدو الاقتصاد في تردد حركة الصوت الانفجاري المبدل، إذا قيس بتردد حركته بعد الإبدال ، فقد بلغ تردد فتحة التاء قبل الإبدال ١٢٦-٣٧٣ذ/ث. ولكن هذا التردد انخفض كثيراً بعد الإبدال ليصبح ١٠٩-١٥٠ذ/ث.

والعلة في ذلك تكشف عنها القراءة الثالثة في الجدول؛ فقد استغرق حبس الصوت الانفجاري التاء (قبل الإبدال) ٠,٢٨٩/ث، في حين استغرق حبس الطاء (بعد الإبدال): ٠,٠٨٢/ث. وكلما زادت مدة الحبس للصوت الانفجاري كان ضغط الهواء أكبر والانفجار أشد والتردد أعلى. ولما تم الإبدال صار إلى اختزال كل هذه المقادير المرتفعة من المدة و التردد.

وإذا نظرنا إلى الصور الطيفية للكلمتين بدا لنا واضحاً طول الحبس في التاء مقارنة بالطاء، كما نلحظ أن جهر الفتحة الخاصة بالصوت المبدل والمبدل منه مختلفة، علماً أن التاء والطاء مهموسان، ففتحة التاء قبل الإبدال أقل جهراً منها بعد إبدال التاء طاء، وذلك لأن الصوت المطبق أقوى من المنفتح، كما أن المكون الموجي الثاني لفتحة الطاء أكثر وضوحاً منه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في فتحة التاء، لأن الأصوات الحلقية والمطبقة تعمل على تقريب المكونات الموجية بعضها من بعض، حتى تكاد تتلامس في صور سياقاتها الصوتية.

تتفاوت الأصوات المهموسة في درجة همسها؛ فالتاء أشد همساً من الطاء، لذلك كان أثر التاء في درجة جهر الفتحة بعدها أشد من أثر الطاء فيها، فبدا جهر الفتحة بعد التاء أقل منه بعد الطاء.

وثمة فرق آخر يضاف إلى ما سبق، وهو أن الطاء والتاء وإن كان كلاهما صوتاً انفجارياًن فإن انفجارية التاء أشد من انفجارية الطاء. ولهذا كان تردد الفتحة بعد التاء عالياً كما تدل قراءة الجدول إذ بلغت ١٢٦-٣٧٣ذ/ث ، في حين بلغت مع الطاء ١٢٩-١٥٠ذ/ث.

إن مقادير القياس في الزمن والتردد في أصوات الكلمتين، وما يطرأ عليها من تغيرات بأثر من أصوات مجاورة، يعد اقتصاداً لغوياً تتغير فيه الصفة الصوتية لصامت أو صائت متأثر بغيره. ثم إن للاقتصاد اللغوي في هذا الإبدال (إبدال التاء طاء) بعداً فسيولوجياً يتمثل في تجاور الضاد المطبقة مع التاء المنفتحة، مما يجعل الانتقال من الإطباق حيث يرتفع ظهر اللسان إلى منطقة الطبق (الحنك الرخو)، إلى الانفتاح عند نطق التاء بشكل متتالٍ يجعل نطق هذا السياق ثقيلاً، فصاروا إلى إبدال التاء صوتاً مطبقاً قريباً من الضاد في صفة الإطباق، وقريباً من التاء في مخرجه وهمسه، وعلى ذلك فإن اختيار الطاء ذو بعد اقتصادي؛ لأن فيه من الصوتين المتنافرين (الضاد والتاء) شيئاً من صفاتهما، فكان له فيهما نصيب.

ثانياً: إبدال التاء دالاً

يظهر الاقتصاد اللغوي في إبدال التاء دالاً في صيغة افتعل ومشتقاتها، أي أن التاء في صيغة افتعل ومشتقاتها تبدل دالاً، إذا كانت مسبوقة بالزاي أو الدال أو الذال. ويبدو الاقتصاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغوي في التخلص من التنافر بين همس التاء وجهر الزاي والدال والذال، وهو إبدال يكشف عن قوة الجهر الذي أثر في الهمس لما أبدل المهموس مجهوراً.

نلحظ أن التاء تبدل مرة طاء، ومرة دالاً، والذي يحكم ذلك هو أخذ الصفة التي يقتضيها السياق الصوتي لها، فإن جاورت صوتاً مفخماً أبدلت إلى أقرب الأصوات المفخمة إليها وهو الطاء، وإن جاورت مجهوراً أبدلت على أقرب الأصوات المجهورة إليها وهو الدال، وفي الحالتين تتغير التاء لأنها أضعف، إذ المفخم أقوى من المرقق، والمجهور أقوى من المهموس.

إذا كان إبدال التاء فيما سبق يذكرنا بما أطلق عليه علماء الأصوات: قانون الأقوى، الذي نسبوه إلى العالم الفرنسي (جرامونت)[1]، فإن الحقيقة الموضوعية تجعلنا ننظر إلى ما قاله السيوطي من قبل [2]: "متى اجتمع سببان قوي وضعيف عمل بالقوي وألغي الضعيف إجماعاً". على أنها مقولة ذات منطق يجدر بنا الاهتداء بها في تفسير ما يجري بين أصوات اللغة من تأثر وتأثير، واتخاذها أساساً في تخريج هذه الظاهرة. ويبدو الإبدال في هذه السياقات من باب المماثلة أيضاً، فقد انتقل السياق من اجتماع المهموس والمجهور إلى المجهور والمجهور. وقد أبدلت التاء دالاً، ومن اجتماع الإطباق والانفتاح إلى الإطباق والإطباق إذ أبدلت التاء طاء.

وبذلك نجد الاقتصاد اللغوي قد استثمر المماثلة الصوتية المسؤولة عن الإبدال في هذه السياقات وسيلة لغوية، احتيج إليها إذ كان السياق يتضمن مخالفة بين الصوامت بلغت حدّ التنافر.

ولسائل أن يسأل: ما بال التاء لم تبدل دالاً مع أصوات مجهورة أخرى سبقتها؟ فثمة أصوات مجهورة أخرى كثيرة تأتي مع التاء في صيغة افتعل. نحو: ابتدع، ارتقب، اعتلى،

---

(١) انظر **علم الأصوات**، برتيل مالمبرج، ص ٢٥٨، **ودراسة الصوت اللغوي**، أحمد مختار عمر، ص٣٧١.

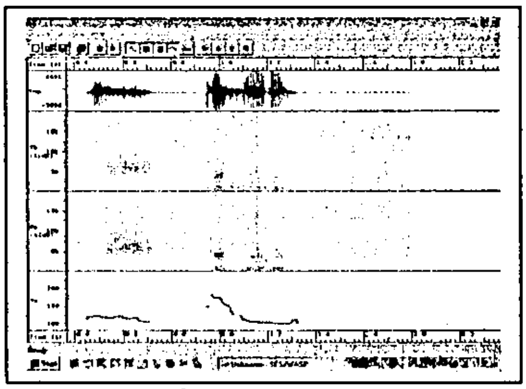
(٢) **الاتقان في علوم القرآن**، السيوطي، ج١، ٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

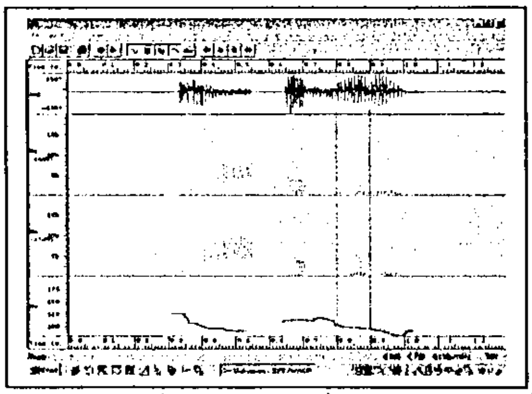
اغتنى، اقتنى، اكتوى، التوى، امتثل، أنثى، فلم لم تبدل التاء دالا وقد سبقت بصوت مجهور في هذه الكلمات كلها والتاء كما هو معلوم صوت مهموس؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل تفضي إلى أنه بالإضافة إلى اجتماع الجهر والهمس في السياق الصوتي، فإن التقارب المخرجي بين التاء من جهة، والدال والذال والزاي من جهة أخرى أدى إلى هذا التغاير. وعليه لما كانت الدال والذال والزاي مجهورة، وأقرب الأصوات إلى التاء مخرجا، فإن مجاورتهن للتاء تؤثر فيها، فتبدل التاء إلى أقرب الأصوات جهرا وأقربها مخرجا وهي الدال. أما الصورة الطيفية للسياقات الصوتية للكلمتين ازتهر، ازدهر فتبدو على النحو الآتي:

ازتهر



ازدهر



يكشف التحليل الطيفي لأصوات الكلمتين (قبل الإبدال وبعده) عن اقتصاد لغوي يتجلى في معطيات رقمية للزمن المستنفد في إنتاج أصواتهما، وفي تردد كل صوت كذلك. وهذا واضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (٥)

جدول تحليل ازدهر قبل الإبدال وبعده

الحدث الصوتي	ازتهر		ازدهر	
	الزمن	التردد	الزمن	التردد
نطق الكلمة	٠,٨٨٣/ث	—	٠,٧٢٠/ث	—
نطق الكسرة	٠,٠٩٠/ث	١١٣-١٢٠ ذ/ث	٠,٠٩٧/ث	١٠٠-١٢٥ ذ/ث
نطق الزاي	٠,٢٠٧/ث	١٠٤-١٢٠ ذ/ث	٠,١٥٧/ث	٩١-٩٧ ذ/ث
فتحة الدال	—	—	٠,٠٦٠/ث	١١٢-١١٣ ذ/ث
فتحة التاء	٠,١٠٣/ث	١٤٧-١٨٠ ذ/ث	—	—
حبس الدال	—	—	٠,٩٢/ث	—
حبس التاء	٠,١٤١/ث	—	—	—

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو من هذا الجدول أن (ازتهر) أطول زمناً في النطق من (ازدهر)؛ إذ تزيد عنها بما يعادل (٠,٠٥٥/ث). ومرد ذلك إلى تفاوت الزمن الذي استغرقه نطق الصوت الوقفي في كليهما، إذ تبلغ مدة حبس التاء: (٠,١٤١/ث) في حين بلغت مدة حبس الدال (٠,٠٩٢/ث) مما جعل (ازتهر) تستهلك وقتاً أطول في النطق من حيث طول الزمن.

ونجد (ازدهر) بعد الإبدال أكثر اقتصاداً منها قبل أن تبدل. وثمة قيمة أخرى مبنية على تفاوت الزمن في حبس الصوت الوقفي، إذ نجد اختلاف مدة حبس الصوتين الوقفيين قد أثر في زمن وتردد الفتحة بعدهما، فقد بلغ الزمن لنطق فتحة الدال في ازدهر (بعد الإبدال) ٠,٠٦٠/ث، في حين بلغ الزمن لنطق هذه الفتحة في ازتهر (قبل الإبدال) ٠,١٠٣/ث، أي بفارق ٠,٠٤٣/ث، تم توفيره في ازدهر.

أما من حيث التردد، فإن هذه الفتحة في ازدهر أقل تردداً منها في ازتهر؛ فقد بلغ تردد فتحة دال ازدهر (بعد الإبدال) (١١٢–١١٣ ذ/ث). أما في ازتهر قبل الإبدال فقد بلغ ترددها (١٤٧–١٨٠ ذ/ث). وهذا اقتصاد لغوي آخر يضاف إلى ما سبق.

ويقال مثل ذلك في نطق الصوت الصفيري المهموس الذي نجده في (ازدهر) أقصر مدة وأقل تردداً منه في (ازتهر)، كما هو مبين في الأرقام السابقة.

كل هذه المعطيات تجعل من الإبدال ضرورة اقتضاها الاقتصاد اللغوي الذي أدى إلى اختزال في المدة الزمنية المستنفدة في إنتاج الأصوات واختزال قيمة ترددها.

وإذا نظرنا في الرسمين الطيفيين للكلمة قبل إبدالها وبعده، حيث تظهر الظلال الخافتة لهمزة الوصل في الفعل (ازتهر) قبل إبدال التاء دالاً فيه، في حين أنها بعد الإبدال في (ازدهر) تبدو أكثر سواداً. وضعف تركيز ظلال الكسرة في (ازتهر) يدل على قلة جهرها بالقياس إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ازدهر). وهذا الضعف سببه مجاورة هذه الكسرة للصوت المهموس: التاء، وإن كان بينهما فاصل، وقوة جهر الكسرة في (ازدهر) سببه تضافر الجهر في الكسرة والدال والزاي.

إن هذه الفروقات وإن بدت يسيرة في مقاديرها الرقمية والكمية، إلا أنها هي المسؤولة عن كل التغييرات الصوتية التي تحفل بها الظواهر اللغوية في المستوى الصوتي.

ثالثا: إبدال النون ميماً

يقول الصيمري[1]: " تبدل الميم من النون الساكنة إذا كان بعدها الباء، في نحو العنبر وشنباء، تجعل النون في اللفظ ميماً. وإنما وجب ذلك لأن النون غنة في الخيشوم، وليس لها تصرف في الفم إلا أن تتكلف إخراجها من الفم وتبينها مع حروف الحلق، والباء حرف شديد، لازم لموضعه، فبعد ما بين النون والباء، وكانت الميم متوسطة بينهما مشابهة للباء، لأنها من مخرجها ومشابهة للنون لما فيها من الغنة، فأبدلت من النون لذلك".

يقول إبراهيم أنيس [2]: "إذا جاورت النون الباء مجاورة مباشرة لاحظنا أن النون تتأثر بالباء، وتقلب إلى صوت أنفي شبيه بالباء في المخرج، وهذا الصوت هو الميم. أي أن النون تفقد مخرجها، ولكن لا تفقد صفتها الأنفية وذلك في: أنبئهم، من بعد".

إن هذا الإبدال يكشف عن الاقتصاد اللغوي المتمثل في بذل أدنى جهد ممكن في العمليات النطقية المتتابعة. يظهر ذلك جلياً إذا نظرنا في المخارج الصوتية في سياق الإبدال الصوتي للباء والميم والنون. فمجاورة النون للباء تشكل صعوبة نطقية تكمن في الانتقال بأعضاء النطق من هيئتها التي تكون عليها في نطق النون، إلى الهيئة التي ينبغي أن تكون عليها في نطق الباء. إذ يتم نطق النون بإقفال مجرى الهواء في الفم عن طريق ارتفاع أسلة اللسان

---

(1) **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ص٨٦٠.

(2) **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتصالها باللثة، ويكون الحنك اللين منخفضاً، وتتذبذب معها الأوتار الصوتية لأنها مجـــهورة، وبإقفال مجرى الهواء في الفم يمر الهواء في التجويف الأنفي حراً طليقاً دون حبس. أما البــاء فتنطبق الشفتان معها، ويرتفع الحنك اللين، فيقفل مجرى التجويف الأنفي وتتذبذب معه الأوتـار الصوتية، وبعد انحباس الهواء في التجويف الفموي تنفصل الشفتان لتخرج الباء صوتاً انفجاريـاً مجهوراً.

يجري الهواء في الأنف مع النون حراً طليقاً، ويكون مجراه مقفلاً مع الباء، والمسـؤول عن ذلك هو الحنك اللين الذي ينخفض مع النون ليفتح مجرى التجويف الأنفي، ويرتفع مع البـاء ليقفله. ثم إنَّ تيار الهواء ينتقل من التجويف الفموي إلى التجويف الأنفي مع النون فـي حركـة ارتدادية، إذ يرتد إلى الوراء عندما يحتجز بأسلة اللسان مع اللثة، ولا يجد ملاذاً سوى العـودة إلى الوراء ليخرج من التجويف الأنفي، في حين يحتبس الهواء خلف الشفتين عند نطق الباء، ثم يضغط ولا يجد ملاذاً يمر من خلاله حتى تأذن الشفتان بالانفراج فيخرج الهواء.

الغاية من هذا العرض هو: النظر إلى ارتفاع الحنك اللين وانخفاضه من جهة، وحركـة تيار الهواء من جهة أخرى عند نطق (النون والباء). وتبدو هاتان المسألتان متنـاقضتين فـي حركة الجهاز النطقي، مما يسبب صعوبة بالغة عند الانتقال من نطق النون إلى نطق الباء؛ لذلك مارست اللغة اقتصاداً لغوياً سهّل على المتكلم عمليته النطقية في هذا السياق الصوتـي، وذلـك بإبدال النون إلى أقرب الأصوات صفة من الباء وهي الميم، يقول ابن عقيل[1]:"لما كان النطـق بالنون الساكنة قبل الباء عسراً وجب قلب النون ميماً ...".

فإن قيل ما بالنا لم نجر إبدالاً إذا جاءت النون بعد الباء، كما في (لـم يلعـبْ نـادر)؟ فالجواب: إن تيار الهواء لم يتعرض إلى انعكاس مسيرة حركته كما هو الحال عند نطق النون.

---

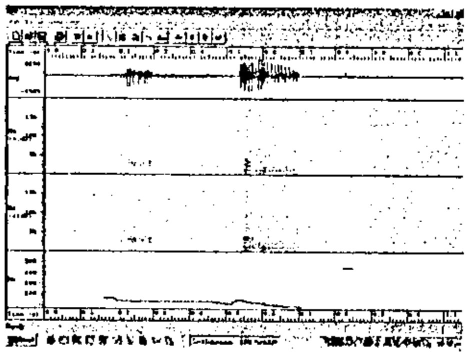
[1] **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج٤/ ٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

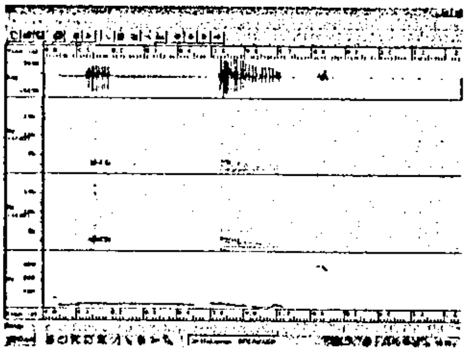
وثمة مسألة جديرة بالذكر في هذا الإبدال وهي أن النون والميم صوتان محببان في اللغة، يجد فيهما الذوق العربي لذة لا يجدها في غيرهما، وذلك لما فيهما من إيقاع مميز توفره الغنة. فكلاهما صوت أغن، تتيح الغنة فيهما سعة يتصرف بها العربي في إطالة نطق الصوت وتلحينه، لذلك آثرت اللغة حفظ الغنة التي كانت مهددة بالزوال لولا الميم.

أما صورة الكلمتين الطيفية فتبدو على النحو الآتي:

من بعد



ممبعد



إذا نظرنا في التحليل الطيفي لإدغام النون في الباء بعد إبدال النون ميما وقارناه بالتحليل الطيفي من غير إحداث في هذا الإبدال تكشفت لنا بعض النتائج الرقمية، التي يمكن في ضوئها معرفة ما تم من اقتصاد لغوي في هذه الظاهرة. والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (٦)

جدول تحليل (من بعد) قبل الإدغام وبعده

الحدث الصوتي	من بعد		ممبعد	
	الزمن	التردد	الزمن	التردد
نطق الكلمة	٠,٦٩٠/ث	—	٠,٨١٧/ث	—
نطق كسرة الميم	٠,٠٧٥/ث	١١٤-١١٦ ذ/ث	٠,٠٧٢/ث	١١٤-١١٦ ذ/ث
نطق النون	٠,٢٢٥/ث	١٠٦-١١٤ ذ/ث	—	—
نطق الميم مدغمة	—	—	٠,٢٤٢/ث	١١١-١١١٥ ذ/ث
فتحة الباء	٠,٠٥٥/ث	١١٠-١٢٣ ذ/ث	٠,٠٦٩/ث	١١٠-١٢٠ ذ/ث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أول ما يستدعي الانتباه وفي المعطيات الرقمية من هذا الجدول هي الزيادة الملحوظة في الزمن، ونسبة التردد في حال الإدغام. وهذا يؤكد الفكرة التي مرّت بنا سابقا، وهي أن السياق الصوتي في الإدغام ينتقل من بسيط إلى مركب، ومن خفيف إلى ثقيل من الناحية الفيزيائية. وإذا كان المتقدمون قد جعلوا الخفة غاية الإدغام، فإن ما قيل عن الانتقال من بسيط إلى مركب لا يعارض قولهم، لأن الخفة المشار إليها عندهم تعني وفق هذه الرؤية خفة بناء هيكلية السياق وإعادة ترتيب بنيته المقطعية.

وعند مقابلة هذه الأرقام مع الصورة الطبقية للأصوات في الكلمتين، نلحظ طول الصوت الأنفي، إذ يعد الصوت الأنفي من أطوال الأصوات اللغوية؛ فقد بلغ المدة المستنفدة في نطق النون في الكلمة الأولى ٠,٢٢٥/ث. وبلغت مدة نطق الميم مدغمة ٠,٢٤٢/ث. وهذه المدة طويلة في معايير علم الأصوات التجريبي، وزيادة الميم في الكلمة الثانية طبيعية لما يكتنفها من إدغام،وهذا أحد أسباب زيادة الكلمة الثانية (ممبعد) عن الأولى (من بعد).

ثمة سبب ثان لزيادة ترددات الكلمة وهي مدغمة، عنها غير مدغمة يظهر في انقطاع الصوت ووقفه في سياق الإدغام واتصاله في غير الإدغام. وأقصد بذلك أنه عندما نطقت الكلمة بالنون (من بعد) لم يظهر انقطاع في الذبذبات الصوتية كما تظهر الشاشة الأولى والرابعة، وبقي التردد مستمراً بدءاً من أول نطق الكلمة حتى نطق الدال الذي يظهر بعده انقطاع في كلا الصوتين. ثم بعد هذا الانقطاع يظهر دفقة من الهواء ذات تردد عال هي قلقلة الدال، وقد بلغ ترددها في (من بعد) : (٢٧٣) ذ/ث. وفي ممبعد (٤٠٠) ذ/ث.

إن الدلالات الرقمية في الجدول السابق وإن دلت على زيادة في الزمن وعلو التردد في الإدغام، فإن الاقتصاد اللغوي يتمثل في العملية الفسيولوجية وما تمت تقويته من حركات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عضوية لإنتاج أصوات الكلمة، فقد عمل اللسان من وجه واحد أو موضع واحد كما قال القدماء عند إبدال النون ميماً وإدغامها في الميم.

ويلحظ من الصورة الطيفية أن معدل تردد الصوت الأنفي يكاد يكون على نسق متقارب؛ إذ تجده أشبه ما يكون بالخط الأفقي، وهذا ما تؤكده القراءة الرقمية لتردد النون (١٠٦-١١٤ذ/ث)، وتردد الميم (١١١-١١٥ذ/ث)، بالرغم من طول مدة الصوت التي تخص كلاً منهما، كما يلحظ تقارب تردد الصوتين الأنفيين أيضاً.

<u>ثانياً: الاقتصاد اللغوي في ظاهرة الإدغام</u>

<u>مفهومه وغايته:</u>

الإدغام من وجهة نظر اللغويين هو الإدخال لغة، وهو رفعك اللسان ووضعك إياه بالحرفين دفعة واحدة، بعد إدخال أحدهما في الآخر اصطلاحاً[١].

وذهب فريق إلى أن ارتفاع اللسان بالحرفين دفعة واحدة من غير توقف ولا فصل بحركة ولا روم، هو المقصود بالإدغام، وليس إدخال حرف في حرف كما ذهب الآخرون، بل الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما طلباً للتخفيف[٢]، وقد وصفوه بأنه اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً[٣].

ووقف فريق آخر موقفاً وسطاً، ويمثل هذا الفريق الدنوشري(١٠٢٥هـ) في حاشيته على شرح التصريح يقول[٤]:

"وتعبيرهم في هذا المقام "بالإدخال" مجاز، إذ ليست حقيقة الإدخال متحققة، ولكن لما

---

(١) انظر : <u>ارتشاف الضرب</u>، أبو حيان الأندلسي، ج١/ ١٦٣، <u>وهمع الهوامع</u> ج٣/ ٤٤٢، <u>شرح التصريح على التوضيح</u>. الأزهري، ج٢/ ٣٩٨

(٢) انظر : <u>النشر في القراءات العشر</u>، ابن الجزري، ج١، ٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) <u>المصدر نفسه</u> : ج١/ ٢٥٦.

(٤) انظر : <u>شرح التصريح على التوضيح</u>، الأزهري، ج٢/ ٣٩٨، الحاشية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خفي اللسان عند المتحرك خفاء الداخل في المدخول فيه عبر عنه بالإدخال وإطلاقهم الإدغام على إدخال حرف في حرف إطلاق لغوي، فالتسمية بالإدخال ليست اصطلاحا بل هي لغة".

ولعل الاجتهاد المحض في فهم ما قاله سيبويه من مفهوم الإدغام هو منشأ هذا الخلاف، فقد عرف سيبويه الإدغام بقوله [١]:

"والإدغام يدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد".

لقد كرر سيبويه كلمة (يدخل) في التعريف مرتين، الأمر الذي دعا الكثيرين إلى القول بالإدخال، وما قاله سيبويه عن قلب الأول وصيرورته مع الآخر من موضع واحد دعا بعضهم إلى نكران التداخل كما مر سابقا.

ووقف فريق ثالث موقفا يكاد يوفق بين المفهومين السابقين المتخالفين، يمثله ابن السراج الذي يقول[٢]: "وهو (الإدغام) وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة، ويشتد الحرف، ألا ترى أن كل حرف شديد يقوم في العروض والوزن مقام حرفين، الأول منهما ساكن".

فالخلاف كما أرى قد تأتي من كلمة (إدخال). ولذلك تحرز بعضهم عن ذكرها كالصيمري الذي يعرفه بأنه[٣] :

"جعل حرفيْن بمنزلة حرف واحد، ليرفع اللسان بهما رفعة واحدة طلبا للتخفيف".

---

(١) **الكتاب** ، سيبويه، ج٤/ ١٠٤.

(٢) **الأصول في النحو**، ابن السراج، ج٣/ ٤٠٥.

(٣) **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج٢/ ٩٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجدر الإشارة إلى أن من المحدثين من ذهب إلى التفريق بين المدغم وغير المدغم وفقاً للطول والقصر في نطق الصوت، يقول عبد الصبور شاهين [١]:

"ولا فرق في الحالتين بين نطق قدِم وقدَّم، سوى قصر مدة حبس الهواء في الكلمة الأولى، وطولها وتوتر اللسان في المخرج في الكلمة الثانية. فإذا نظرنا في نطق الصامت المضعف إلى طبيعة العملية النطقية ووحدتها قلنا: إنه صامت طويل، يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة، هذا من الناحية الصوتية. وأما إذا نظرنا إلى أصله من الناحية الصرفية، أي من حيث جواز تقسيمه إلى صامتين قصيرين، قلنا : إنه صامت مكرر".

ورأي عبد الصبور شاهين هذا يتأسى برأي ابن الجزري الذي مر بنا "اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"، والكاف في هذا التعريف ذات أهمية قصوى، فليس الإدغام نطق الثاني مشدداً، وإنما هو نطق صوت كالثاني مشدداً، مما يدل على أن ثمة فارقاً في الحالين لا سيما وأنه يقول: "اللفظ بحرفين حرفاً" أي حرفاً واحداً، وبذلك يكون ابن الجزري صاحب قصب السبق في رؤية الإدغام على الوجهة التي قالها كثير من المحدثين أمثال شاهين وغيره، حيث لا يتم نطق صوتين صوتاً واحداً إلا بإطالة النفس في النطق، وأن التلفظ في الإدغام يجعل نطق الحرفين حرفاً واحداً.

أما ما ذهب إليه إبراهيم أنيس في تعريف الإدغام بأنه[٢]: "فناء الصوت الأول في الثاني، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني"، فإن الباحث يتحفظ على كلمة (فناء) في هذا التعريف، إذ كيف تجتمع هذه الكلمة مع قوله: "بحيث ينطق بالصوتين" فما دام لدينا صوتان ... فإن الأول لم يفن.

---

(١) **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، ص٢٠٧.

(٢) **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، ص١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الإدغام اقتصاد عبّر عنه القدماء بارتفاع اللسان بالصوتين (المدغم والمدغم فيه) رفعة واحدة، كما يوضع بهما وضعاً واحداً. وفي هذا اقتصاد في العمليات النطقية التي توحد الجهد الأدائي المبذول في إنتاج سياق الإدغام الصوتي.

وليس ضربة لازب أن يقود توحيد الجهد في الإدغام إلى سهولة ويسر، فقولنا:(سَدَدَ) أسهل من قولنا (سَدَّ). ولكن العمليات النطقية في الثانية أقل منها في الأولى(*) .وما قيل عن الخفة في الإدغام يفهم من الناحية الفسيولوجية لنطق السياق الصوتي، لا من المتغيرات الفيزيائية للصوامت والصوائت؛ لأن هذه المعطيات تتضاعف في الإدغام عما كانت عليه قبله.

ويرى الباحث أن ظاهرة الإدغام في اللغة يمكن حملها على ظاهرة توالي الأمثال أو توالي أشباه الأمثال إن صَحَّ التعبير، فاللغة ذات سعي دؤوب إلى التخلص من الأمثال إن توالت، ولها في ذلك طرقٌ وأساليب يمكن عدّ الإدغام من بينها. ولذلك فقد كان القدماء على طريقة مستقيمة عندما أجمعوا على أن الغاية المثلى من الإدغام في اللغة هي: التخفيف. وبهذا التخفيف تم الاقتصاد اللغوي، وقام المتكلم بعملية نطقية واحدة بعد أن كانتا عمليتين، عبَّر عنها القدماء بأن يرتفع اللسان رفعة واحدة، أو ينبو اللسان معها نبوة واحدة (**).

ليس من نافلة القول إن الإدغام الذي يحقق اقتصاداً لغوياً، يحمل قيمة وظيفية أيضاً، تتمثل في إيقاع النبر، ففي قوله تعالى(1) :"اضرب بعصاك" صار إدغام الباء بمثلها بعد سقوط الحركة مقطعاً مبنوراً، ولا يخلو هذا النبر من تكثيف دلالي، فيه القوة والتأكيد. وفي قوله

(*) سيتضح هذه الفكرة في تحليل الصورة الطيفية لإدغام التاء في الطاء في قراءة أبي عمرو "قالت طائفة"

(**) التعبير الأخير " ينبو معها اللسان ....." نجده عند الزجاجي في كتابه الجمل، ص٣٧٨ وابن جني في الخصائص ، ج٢/ ٢٢٧

(1) البقرة ٦٠/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى[1] :" ومن يرتد منكم عن دينه .... " قيل إن الفك لغة الحجاز، ولكنْ ثمة بعد دلالي مستفاد من فك الإدغام في الآية الكريمة، فمجيئها غير مدغمة يشير إلى أن أقل الردة كالتمادي فيها، فلا يستصغرنَّ أحدكم شيئاً يعلم أنه يخرجه من دينه، لأن صغيرها ككبيرها، وقليلها ككثيرها، وفي ذلك تعظيم لشأن تمسك المسلم بدينه.

ربما كان إدغام التاء في التاء من أكثر السياقات الصوتية وروداً في إدغام المتماثلين، نحو تتناجوا، تتلظى، تتثاقلون، تتلهى، حتى وصل الأمر إلى بدء المقطع بصامتين في سبيل تحقيق الإدغام، كما هو الحال في تاءات البزي(٢٥٠هـ). فإن قيل لم هذا العناء مع هذا الإدغام ولِمَ نتجشم هذه الصعوبة بالإتيان بصامتين أول المقطع؟

أرى أن ما أثر عن البزي رحمه الله كان في التاءات ولم يكن في غيرها، وذلك أنه لما كان توالي التاءين من أشد ما يقع على أذن العربي ثقلاً، فكأنهم نفروا من تواليها حتى مع بيان الحركة معها، فأدغموهما بعد إسقاط الحركة، ولم يأبهوا أنهما بداية المقطع الذي اطرد فيه البدء بصامت فحركة. وأزعم أن هذا الصنيع رفعة ذوقية، ودقة حسية حققت اقتصاداً لغوياً عن طريق الإدغام، حتى لو سارت فيه اللغة من السهل إلى الصعب، إذ إن نطق التاءين غير مدغمتين أسهل من نطقهما مدغمتين، ولكن ليس من الضروري أن يتساوى الاقتصاد اللغوي مع الميل نحو السهولة.

وإذا كانت اللغة تحقق اقتصاداً لغوياً في الإدغام بما وفرته من عمليات نطقية، وبما حققته من سهولة وخفّة، حيث صار الصوتان بمنزلة الصوت الواحد ونبا معهما اللسان نبوة واحدة، وعمل من وجه واحد..... فإنَّ ثمة اقتصاداً لغوياً آخر صحب بعض سياقات الإدغام

---

(1) المائدة ٥/٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصوتية يتمثل في الحذف، وأقصد بالحذف هنا حذف الحركة التي تفصل بين صامتين متماثلين.

يقول السيرافي (٣٦٨هـ)[١]:

"الباء تدغم في مثلها، قرأ أبو عمرو: "لذهبْ بِسمعهم"، و"الرعْبْ بما" وقد جمع بين ساكنين في قوله "الرعب بما" وهذا مذهب أبي عمرو".

يستدل من هذا النص أن حركة الباء الأولى قد سقطت وأدغمت الباء مع الباء، حتى إن هذه القراءة قد أجازت الجمع بين الساكنين: الباء الأولى بعد إسقاط حركتها، والباء الثانية قبل الوصول إلى حركتها. ويحدثنا المتقدمون عن سياق صوتي يحمل على الاقتصاد اللغوي فيما يحققه الإدغام من خفّة، يتصل بتوالي أصوات السياق إذا زاد عددها، يقول سيبويه [٢]:

"فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين، أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعداً".

وزاد الصيمري في تفسير ما قاله سيبويه فقال[٣]: "لثقل توالي الحركات نحو: جَعَلَ لكَ، وفَعَل لَبيد، وسَرَق قميصك فإذا أدغمت كان حسناً، وإن لم تدغم جاز، وهو الأصل، وإنما يدغم طلباً للتخفيف بالتسكين".

ولكن الذهن ينصرف إلى حقيقة ما يذكره النحاة من الغاية المرجوة من الإدغام كظاهرة شاعت لدى العرب حتى صارت ميزة كلامهم، فهل غاية الإدغام حقيقة هي التخفيف؟ وأي تخفيف يتحقق به؟ وكيف توصل إلى هذا التخفيف؟

ظني أن المتقدمين ما أرادوا بالتخفيف ما تعنيه كلمة التخفيف عادة، فليس التخفيف في الإدغام رديف الخفة النطقية، والسهولة الأدائية. وإنما عنوا بالتخفيف: تخفيف اللفظة من حيث بنيتها،

---

(١) **إدغام القراء**، السيرافي ص٣

(٢) **الكتاب** ، سيبويه ، ج٤/ ٤٣٧.

(٣) **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج٢/ ٩٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإعادة هيكلتها المقطعية التي لا شك أنها بالإدغام أخف أو أقل منها بدونه. ومن هـذه الوجهـة فقط يرد قولهم: الغاية من الإدغام التخفيف، وهذا الرأي الذي يميل إليه الباحث مرده إلى الكلفـة النطقية المتزايدة في سياق الإدغام الصوتي، فنطقك بالإدغام يجعل اللسان مرتفعا بـالصوتين ــ كما قال المتقدمون أنفسهم ــ رفعة واحدة، وينبو اللسان مع الصوتين نبوة واحدة، وهـو بـهذا الرفع والنبو لا ريب يبذل جهدا أزيد من لو نبا بواحد.

إذن فنطقنا بـ مدّ، أكثر جهدا من نطقنا بـ (مَدَدَ)، ولكن المتقدمين جعلوا (مدّ) أخـف لأن هيكل بنيتها المقطعية أخف من (مَدَدَ)، وهذا ما تثبته التجارب المخبرية أيضاً. وليـس أدل على ما يقال في هذا المقام مما يقوله الصيمري عن منعهم إدغام الهمز بالهمز،يقول [1]: "واعلم أن الهمزة لا تدغم في مثلها إلا أن تكون عيناً مضاعفة، وذلك نحو فعَّال وفُعَّل، وما أشبهها ممـا عينه همزة نحو: سؤال ورؤاس. وأما إذا التقى همزتان في غير موضع العين فلا إدغام فيـهما، لأن لهما باباً في التخفيف هو أولى بهما من الإدغام".

فهذا القول اعتراف بأن الإدغام يحوي جهدا أكبر ويتطلب مزيدا من البذل، ولذلك لمـا كانت الهمزة منفردة ثقلت عليهم، فما ظنك باثنتين من موضع نطق واحد في سياق الإدغام؟!

لقد حظي باب الإدغام باهتمام خاص من النحاة واللغويين من جهة ومن القراءة من جهة أخرى، ولهم فيه تقسيمات مختلفة له: فقد قسموه إلى كبير وصغير، وذكروا شـروطه وأسـبابه وموانعه، وحددوا وجوبه وجوازه[2]. ولاستجلاء مظاهر الاقتصاد اللغوي في أسباب الإدغـام،

---

(1) **التبصرة والتذكرة**، الصيمري ج٢/ ٩٣٧-٩٣٨.

(2) انظر : تفصيل ذلك كله في كتاب : **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، ج١/ ٢٧٤-٢٩٤ وج٢/ ٣-٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجدر التعرف على أسبابه، حيث تبدو هذه المظاهر جلية. يقول ابن الجزري في حديثه عن أسباب الإدغام [1]:

"والأكثرون على الاكتفاء بالتماثل والتقارب، فالتماثل أن يتفقا مخرجا وصفة كالباء في الباء والتاء في التاء وسائر المتماثلين ..... والتقارب أن يتقاربا مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة".

وعملا بما قاله ابن الجزري فإن الباحث سينتهج تقسيم الإدغام إلى متماثل ومتقارب في عرض مظاهر الاقتصاد اللغوي، وإن كان السيوطي رحمه الله قد علق على هذا التقسيم بقوله[2]: "وهذا التقسيم إنما هو بالنظر إلى الأصل وإلا فلا إدغام إلا إدغام مثل في مثله، ألا ترى أن المتقارب يقلب من جنس الحرف الأخير فيؤول إلى أنه إدغام مثل في مثل".

إدغام المتماثلين :

في هذا الإدغام يلتقي حرفان من جنس واحد في كلمة أو كلمتين نحو: مر وقل لهم[3]، يقول المبرد[4]: "اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحدا، فسكن الأول منهما، فهو مدغم في الثاني، وتأويل قولنا مدغم، أنه لا حركه تفصل بينهما وذلك قولك : قطع".

وقد أباح علماء اللغة إدغام الصوامت المتماثلة دون استثناء، فإذا سكن الأول أدغم في الثاني، سواء أكانا في كلمة واحدة أو كلمتين. ويمتنع هذا الإدغام إذا تحرك أول المثلين وسكن ثانيهما نحو: ظللت، ولكن تحرك أول المتماثلين أو المتقاربين لا يحول دون إجراء الإدغام إن

(1) انظر **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، ج1/ 278، وعرف ابن الجزري السبب الثالث للإدغام التجانس: أن يتفقا مخرجا ويختلفا صفة كالذال في الثاء، والثاء في الظاء، والتاء في الدال، ولكنه لم يعرضه.

(2) **همع الهوامع**، السيوطي، ج3/ 442.

(3) انظر : **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج2/ 933.

(4) **المقتضب**، المبرد، ج1/ 197.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هم أرادوه، إذ يسقطون الحركة حركة أول المثلين(المتقاربين) ويجرون الإدغام، وسمي مثل هذا الإدغام بالإدغام الكبير لكثرة وقوعه. وقيل لشموله أسباب الإدغام من متجانس ومتقارب ومتماثل. أما إن كان أول المثلين (المتقاربين) ساكناً أصلاً فالإدغام صغير[1].

ولا يستثنى من الإدغام بمثيله سوى الهمزة سواء أكانت في كلمة واحدة أم كلمتين، فإنها لا تدغم إلا إذا وقعت عيناً. والسبب في ذلك يبدو من غاية الإدغام نفسه، فغايته التخفيف. أما إدغام الهمز في غير ما أشير إليه فإنه غاية الثقل. وإذا كانت الهمزة وحدها ثقيلة صعبة تصرف بها العرب بالتسهيل والحذف والإبدال، فكيف بإدغامها في مثيلتها، كما مر بنا في قول الصيمري آنفاً.

تختلف نسبة إدغام المثلين بين أصوات اللغة، فهو نادر في أصوات الحلق، وكثير في الأصوات الفموية، وكلما ابتعدنا عن الحلق زادت نسبة حدوثه. ومثل هذا يؤكد ما توصل إليه سيبويه، وقاله علماء اللغة من بعده، من أنّ أصوات الحلق ليست أصلاً في الإدغام، يقول سيبويه معللاً ذلك [2]: "لأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها".

وإذا ولينا وجهنا شطر القراء، وجدناهم يتحدثون عن إدغام المتماثلين ويستشهدون له ويحصون مواضعه. ويجد المتأمل في ما لدى القراء أن إدغام المتماثلين في تسعة عشر صوتاً هي: (الباء، التاء، الثاء، الحاء، الذال، الراء، السين، الشين العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو، والياء)، بحيث يدغم كل صوت في مثله إذا تحققت شروط الإدغام، مع الإشارة إلى تفاوت نسب وقوع الإدغام المتماثل بين هذه الأصوات.

---

(١) **النشر في القراءات العشر**، ج١/ ٢٧٤-٢٧٥، بتصرف.

(٢) **الكتاب**، سيبويه، ج٤/ ٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عدَّ ابن الجزري ثمانية عشر موضعاً وردت فيه العين مدغمة[1]، وعد للهاء خمسة وتسعين موضعاً[2].

وتكشف لنا الأصوات التي حددها القراء في الإدغام المتماثل عن انعدامه في الأصوات المطبقة: (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء). ولا أكاد أجد قارئاً نسب إليه إدغام صوت من هذه الأصوات في مثيله؛ ومرد ذلك إلى نقض غاية الإدغام، تماماً كما هو الحال مع الهمزة، إذ يبطل التخفيف، ونصير إلى ثقل وصعوبة نطقية ينضغط فيها ظهر اللسان في منطقة الطبق (الحنك الرخو) نحو: لم يربط طارق، هذا بالإضافة إلى ما في هذه الأصوات من تفخيم والتفخيم يستدعي جهداً عضلياً زائداً. يقول الدكتور سمير استيتية[3]:

"فالتفخيم والإطباق وهما ظاهرتان ناتجتان عن جهد عضلي، إضافي زائد على الجهد الذي تحتاج إليه النظائر غير المطبقة وغير المفخمة، تعملان على زيادة الوضوح السمعي للأصوات التي تتميز بإحدى هاتين الظاهرتين".

صحيح أن القراءات القرآنية لم تشمل كل ما يرد في اللغة من أمثلة الإدغام، سواء أكان متماثلاً أم متقارباً، إلا أنها تقدم تصوراً يعزز ما توصل إليه علماء اللغة من نتائج، ففي الوقت الذي يحدثنا النحاة عن إدغام الزاي بالزاي لم تذكر القراءات ولو مثالاً واحداً لذلك. وهذا لا يعيبها بشيء؛ فهذه القراءات ملتزمة بنص الوحي نقلاً ورواية وثبتاً وليس اجتهاداً وتصرفاً.

إدغام المتقاربين

يقول ابن يعيش[4]:

---

(1) انظر : النشر، ابن الجزري، ج1/280، وإتحاف فضلاء البشر، البناء، ص32.
(2) انظر : النشر، ابن الجزري، ج1/ 284.
(3) الأصوات اللغوية، د. سمير استيتيه، ص174.
(4) شرح مفصل الزمخشري، لابن يعيش، ج10، 132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"اعلم أن الحروف المتقاربة تجري مجرى الحروف المتماثلة في الإدغام؛..... لأن إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذي رفعته عنه، ولذلك شبّه بمشي المقيد".

إن ما قيل عن الاقتصاد اللغوي في إدغام المثلين يقال أيضاً عن إدغام المتقاربين، ولكن تبقى مجموعة من المسائل المتصلة بتفسير أسباب هذا التقارب.

لم يأل علماء اللغة والقراء جهداً في رصد ما بين أصوات اللغة المتقاربة مخرجاً أو صفة أو مخرجاً وصفة، وأزعم أن النحاة ما استفادوا من القرّاء درساً كالذي استفادوه منهم في باب الإدغام. ولعل أشهر ما يذكر في هذا المقام رسالتي أبي سيعد السيرافي: "إدغام القراء"[1]. و"ما ذكره الكوفيون من الإدغام [2]". ويبدو أن السيرافي لما فرغ من شرح كتاب سيبويه ألحق بهذا الشرح هاتين الرسالتين: خصص الأولى لِمَا خالفت القراء فيه سيبويه، والثانية: لما ذكره الكوفيون من الإدغام. والذي يعنينا في هذا المقام المستقصي لجوانب الاقتصاد اللغوي في إدغام الأصوات المتقاربة، هو رصد الأصوات التي يقع فيها الإدغام عند القراء والنحاة، وتوخى الباحث اتفاق كل فريق على ما لديه من أصوات تذكر في باب الإدغام ما أمكن، فالنحاة مختلفون في تحديد أصوات إدغام المتقاربين، حتى وصل الأمر عند بعض النحاة إلى اعتماد ما لدى القراء من إدغام غير آبه بما ذكره النحاة في كتبهم واعتمدوه، ومن هؤلاء أبو حيان الأندلسي الذي يقول[3]:

---

(1) "**إدغام القراء**" السيرافي، تحقيق محمد علي عبد الكريم الرديني، الناشر، دار أسامة، طبع/، مطبعة الرازي، منشورات محمد أسامه الكرم. دمشق ، مكتبة عنبر، ط٢/ ١٩٨٦.

(2) "**ما ذكره الكوفيون من الإدغام**"، السيرافي، تحقيق : صبيح التميمي، دار البيان العربي، جدة،ص٧، ١، ١٩٨٥. ويبدو أن تأليفه لرسالة (إدغام القراء) جاء بعد فراغه من رسالة(ما ذكره الكوفيون من الإدغام) لقوله في الأخيرة "وسأذكر بعض ذلك في باب القراءات إن شاء الله". انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، ص٧

(3) **ارتشاف الضرب**، أبو حيان الأندلسي، ج١/ ٣٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والذي نذهب إليه أن ما صحت الرواية به من إثبات القراء وجب المصير إليه، وإن خالف أقوال البصريين ورواياتهم، وقد استقرأ هذا اللسان البصريون والكوفيون فوجب المصير إلى ما استقرأوه، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ".

وارتأى الباحث أن يرصد الإدغام بين صوامت العربية المتقابلة في جدولة خاصة يذكر فيها الصوت المدغم ومخرجه وصفاته، والصوت المدغم فيه ومخرجه وصفاته، كما اتفق عليه نخبة من علماء اللغة واستشهدوا له[1]، بيد أن الباحث توخى ما اطرد ذكره دون غيره، والجدول التالي يوضح مواطن الإدغام:

جدول رقم (٧)

جدول إدغام المتقاربين

المدغم	مخرجه	صفاته	المدغم فيه	مخرجه	صفاته
ب	شفوي	مرقق، مجهور، شديد	م	شفوي	أغن، مجهور، مرقق
			ف	شفوي أسناني	مرقق، مهموس، رخو
ت	أسناني لثوي	مرقق، مهموس، شديد	ط	أسناني لثوي	مفخم، مهموس، شديد
			د	أسناني لثوي	مرقق، مجهور، شديد
			ث	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ظ	أسناني	مفخم، مجهور، رخو
			ذ	أسناني	مرقق، مجهور، رخو
			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو، صفيري
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو، صفيري
			ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو، صفيري
			ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو
			ض	أسناني	مفخم، مجهور، شديد
ج	غاري	مركب، مجهور	ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو
خ	طبقي لهوي	مفخم، مهموس، رخو	غ	طبقي لهوي	مفخم، مجهور، رخو
د	أسناني لثوي	مرقق، مجهور، شديد	ط	أسناني لثوي	مفخم، مهموس، شديد
			ت	أسناني لثوي	مرقق،مهموس،شديد
			ث	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ظ	أسناني	مفخم، مجهور، رخو
			ذ	أسناني	مرقق، مجهور، رخو
			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو، صفيري
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو، صفيري
			ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو، صفيري
			ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو

---

(١) هؤلاء النخبة هم : سيبويه (الكتاب)، ابن السراج (الأصول)، الصيمري، (التبصرة والتذكرة)، ابن يعيش (شرح مفصل الزمخشري) الرضي (شرح شافية ابن الحاجب، ابن مالك (تسهيل الفوائد). ابن جني (سر صناعة الإعراب)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

			ض	أسناني	مفخم، مجهور، شديد
ذ	أسناني	مرقق، مجهور، رخو	ت	أسناني لثوي	مرقق، مهموس، شديد
			ط	أسناني لثوي	مفخم، مهموس، شديد
			د	أسناني لثوي	مرقق، مجهور، شديد
			ث	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ظ	أسناني	مفخم، مجهور، رخو
			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ز	أسناني	مرقق، مجهور،رخو
			ص	أسناني	مفخم، مهموس،رخو
			ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو
			ض	أسناني	مفخم، مجهور، شديد
ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو، صفيري	ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو، صفيري
			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو، صفيري
س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو، صفيري	ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو، صفيري
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو، صفيري
ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو، صفيري	س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو، صفيري
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو، صفيري
ط	أسناني لثوي	مفخم، مهموس، شديد	ت	أسناني لثوي	مرقق، مهموس، شديد
			د	أسناني لثوي	مرقق، مجهور، شديد
			ث	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ظ	أسناني	مفخم، مجهور، رخو
			ذ	أسناني	مرقق، مجهور، رخو
			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو، صفيري
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو، صفيري
			ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو، صفيري
			ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو
			ض	أسناني	مفخم، مجهور، شديد
ظ	أسناني	مفخم، مجهور، رخو	ت	أسناني لثوي	مرقق، مهموس، شديد
			د	أسناني لثوي	مرقق، مجهور، شديد
			ط	أسناني لثوي	مفخم، مهموس، شديد
			ث	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ذ	أسناني	مرقق، مجهور، رخو
			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو
			ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو
			ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو
			ض	أسناني	مفخم، مجهور، شديد
ع	حلقي	مرقق، لا مهموس ولا مجهور، رخو	ح	حلقي	مرقق، مهموس، رخو
غ	طبقي لهوي	مفخم، مجهور، رخو	خ	طبقي لهوي	مفخم، مهموس، رخو
ق	لهوي	مفخم، مهموس، شديد	ك	طبقي	مرقق، مهموس، شديد
ك	طبقي	مرقق، مهموس، شديد	ق	لهوي	مفخم، مهموس، شديد
ل	لثوي	مجهور ،جانبي، متوسط	ر	لثوي	مجهور، مكرر، متوسط
			ن	لثوي	أغن، متوسط
			د	أسناني لثوي	مرقق، مجهور، شديد
			ت	أسناني لثوي	مرقق، مهموس، شديد
			ص	أسناني	مفخم، مهموس، رخو
			ط	أسناني لثوي	مفخم، مهموس، شديد
			ز	أسناني	مرقق، مجهور، رخو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

			س	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ظ	أسناني	مفخم، مجهور، رخو
			ث	أسناني	مرقق، مهموس، رخو
			ذ	أسناني	مرقق، مجهور، رخو
			ض	أسناني	مفخم، مجهور، شديد
			ش	غاري	مرقق، مهموس، رخو
ن	لثوي	أغن، متوسط	ر	لثوي	مجهور، مكرر، متوسط
			م	شفوي	أغن، مرقق،مجهور
			و	طبقي	مجهور، مرقق
			ي	غاري	مجهور، مرقق
هـ	حنجري	مرقق، مهموس، رخو	ح	حلقي	مرقق، مهموس، رخو

وبعد إنعام النظر في ما روى النحاة والقراء من إدغام تتكشف لنا الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولي: لم يذكر النحاة صوتاً يدغم في الهمزة، ولم يذكروا صوتاً تدغم الهمزة فيه، باستثناء إدغام الهمزة في الهمز؛ وذلك لما سبقت الإشارة إليه من أن إدغام الهمز يقود إلى صعوبة وثقل، ولما كان الإدغام بذل مزيد من الجهد في الأداء، آثر العرب حذف الهمزة أو تسهيلها على إدغامها.

وقد مر بنا أن الأخذ بالخفة والسهولة وبذل الجهد الأدنى، يعد أولوية من أولويات الاقتصاد اللغوي ، فكان تعامل اللغة مع الهمزة في باب الإدغام تطبيقاً جلياً لهذه الأولوية كما مر بنا عند الحديث عن غاية الإدغام.

ويلحظ أن الإدغام يتم عادة بتأثر الصوت الأول بالصوت الثاني، بمعنى أن التأثير خلفي فيها، فيدغم الأول في الثاني، يقول سيبويه [1]: "لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر". ومرد ذلك في ظني هو أن المتكلم يكون أضعف ما يكون في نشاطه النطقي على المقطع الأخير من كلامه، وأقوى ما يكون في نشاطه النطقي على المقطع الأول من كلامه. فلما كان قسم كبير ـ ولعله الأغلب ـ من الإدغام يتم بين صوتين الأول منهما هو الأخير من المقطع في

---

[1] الكتاب، سيبويه، ج٤/ ٤٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمة الأولى، والثاني هو الأول من المقطع في الكلمة الثانية، فإن النشاط النطقي سيكون ضعيفاً على الأول، قوياً على الثاني، فأثر الثاني في الأول، فصار الأول مدغماً، وصار الثاني مدغماً فيه، واطرد الباب على وتيرة واحدة، ليدغم الأول في الثاني حتى في الكلمة الواحدة.

الحقيقة الثانية:

من الأصوات ما يدغم في غيره، ولا يدغم غيره فيه، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة القدماء، وأشاروا إليها، وهذه الحروف هي: (الضاد، والميم، والشين، والفاء، والراء، الواو، والياء). يقول ابن يعيش[1]: "يعرض مانع يمنع من الإدغام .... فمن ذلك : الضاد والميم والراء والفاء والشين ويجمعها :"ضم شفر" ....فهذه الحروف لا تدغم في مقاربها ويدغم مقاربها فيها.....".

ويقول الرضي الاستراباذي [2]: "لم تدغم حروف (ضويِ مشفر) فيما ليس فيه صفة المدغم، وجاز إدغام الواو والياء من هذه الحروف أحدهما في الآخر.......".

أما السبب في أنها لا تدغم في مقاربها ويدغم مقاربها فيها فيعود إلى أن هذه الحروف فيها زيادة في الصفة الصوتية، ولذلك لا تدغم فيما هو أنقص منها، يقول ابن يعيش[3]: "وذلك لأن هذه الحروف فيها زيادة على مقاربها في الصوت، فإدغامها يؤدي إلى الإجحاف بها، وإبطال ما لها من الفضل على مقاربها، فالميم فيها غنة ليست في الباء، فإذا أدغمتها في الباء، فأنت تقلبها إلى الباء، وتستهلك ما فيها من زيادة الصوت والغنة، وفي الشين تفش واسترخاء في الفم ليس في الجيم، وفي الفاء تأفيف، والتأفيف هو الصوت الذي يخرج من الفم عقيب النطق بالفاء ليس في الباء، وفي الراء تكرير ليس في اللام، وفي الضاد استطالة ليست لشيء من

---

(1) **شرح مفصل الزمخشري**، ابن يعيش، ج١٠/١٣٣.

(2) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي، ج٣/٢٧٠.

(3) **شرح مفصل الزمخشري**، ابن يعيش، ج١٠/ ١٣٣، ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحروف، فلم يدغموها في مقاربها شحاً على أصواتها لئلا تذهب، وأدغم فيها مقاربها إذ لم يكن في ذلك نقص ولا إجحاف...".

ولكن على الرغم مما قاله النحاة عن هذه الحروف، فإن القراء يروون إدغام بعضها، يقول السيرافي[١]:

"باب (الراء في اللام) : وحكى بكر أبو بن مجاهد رحمه الله عن أبي عمرو بن العلاء أنه يدغم الراء في اللام، ساكنة كانت الراء أو متحركة، فالساكنة قوله عز وجل :"فاغفر لنا". "واستغفر لهم". ....والمتحركة قوله :"وسخّر لكم". و إلى أرذل العمر لكيلا"..... وكان الفراء يجيز إدغام الراء في اللام ويرويه... قال: كان أبو عمرو يروي عن العرب إدغام الراء في اللام، وقد أجازه الكسائي أيضاً. ومما يحتج به لأبي عمرو وغيره ممن أدغم الراء في اللام، أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً، ولفظ اللام أسهل، وأخف من أن تأتي بـ"راء" فيها تكرير وبعدها لام، وهي مقاربة للراء، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من مخرج واحد، فطلب التخفيف بذلك".

فالنحاة لا يعنيهم كل ما قيل في اللغة بقدر ما يعنيهم ما اطّرد ذكره. ومع ذلك فإنّ إدغام الراء في اللام وجه قويّ وحجة مقنعة ساقه السيرافي، وقرأ به أبو عمرو، وأجازه الكسائي والفراء، فإدغامها يحقق اقتصاداً لغوياً يوفر القيام بمزيد من الحركات النطقية شبه المتتابعة.

أما الشين فقد منع النحاة إدغامها في غيرها لئلا يذهب ما فيها من التفشي[٢].ويحدثنا السيرافي عن خلاف بين القراء، والنحاة في إدغامها، فيقول[٣]:

---

(١) **إدغام القراء**، السيرافي، ص٣٨-٣٩، وانظر **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج٢/ ٩٥٠-٩٥١.
(٢) انظر: **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج٢/ ٩٥٢.
(٣) **إدغام القراء**، السيرافي، ص٤٤-٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والذي عليه النحويون البصريون أن السين لا تدغم في الشين، ولا الشين في السين، باب الشين: (الشين في السين): وقد روي عن أبي عمرو إدغام كل واحدة منهما في الأخرى، كقوله: "إلى ذي العرش سبيلاً"، وأظنه ذهب إلى أنهما متواخيان في التفشي والصوت فكأنهما من مخرج واحد، وإن تباعد مخرجاهما، كما أن حروف المد واللين على تباعد مخارجها متواخية في قلب بعضها إلى بعض وبدل بعضها من بعض..".

وقد أجاز ابن الجزري الإدغام بينهما بعد أن ذكر ما دار من خلاف في رواية الإدغام والإظهار، وساق حجة القائلين بإظهار الشين من أجل زيادة الشين بالتفشي، ثم عقب قائلاً[1]:

"قلت : ولا يمنع الإدغام من أجل صفير السين فحصل التكافؤ، والوجهان صحيحان قرأت بهما، وبهما آخذ، والله أعلم".

وإذا جمعنا بين ما قاله السيرافي وابن الجزري تبين صحة إدغام الشين في السين، وأن القول بمنعه لما في الشين من تفش لا يحول دون الإدغام. ويبدو الاقتصاد اللغوي في سياق إدغام الشين في السين في توحد موضع النطق عند إدغامهما، بالإضافة إلى توحد الصفة الصوتية لصوتين اختص كل منهما بصفة قوية، فاقتصد في نطقهما عن طريق إدغام أحدهما في الآخر، وذلك لما يشكله تواليهما من ثقل نطقي وصعوبة أدائية نلحظها عند نطق السين متبوعة بشين، أو الشين متبوعة بسين. ومرد هذه الصعوبة إلى تقارب الصوتين والتقائهما في جملة من الصفات، فكلاهما مهموس، مرقق، رخو، ناهيك عن قرب مخرجهما، هذا بالإضافة إلى اجتماع ما في الشين من تفش وما في السين من صفير، مما ساعد على بذل مزيد من الجهد بسبب قوة الصوتين، فكان لابد من الاستئثار بأحدهما، وتم ذلك عن طريق الإدغام الذي يعد تخفيفاً من

(١) **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، ج١/٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث إعادة هيكلة البنية المقطعية للسياق الصوتي الذي توالى فيه صوتان متشابهان في جملة من الصفات اختص كل منهما في صفة مميزة.

أما الضاد فقد أجاز ابن الجزري إدغامها في الشين، يقول [١]: "الضاد تدغم في الشين في موضع واحد :"لبعض شأنهم" وقال الداني : وبالإدغام قرأت وبلغني عن ابن مجاهد أنه كان لا يمكن من إدغامها إلا حاذقاً...". وروى السيرافي إدغامها في الشين، ثم أبدى رأيه في إجازتها، يقول[٢]: "وإدغام الضاد في الشين عندي ليس بالمنكر، لأنها مقاربة للشين في المخرج، والشين أشد استطالة من الضاد، وفي الشين تفشٍ ليس في الضاد، على أن سيبويه قد حكى (اطّجع) بإدغام الضاد في الطاء، فدل ذلك في جواز إدغامها في الشين، لأن الشين أقوى منها وأفشى....".

ومما يجدر ذكره في هذا المقام، أن الضاد صوت يحتاج إلى مجهود عضلي ليس باليسير، فنطقه صعب. وهذا يقوي ما ذهب إليه السيرافي من جواز إدغامه في الشين، إذ إن وروده في سياق صوتي قبل الشين فرصة للتخلص منها. وهذا المسلك اللغوي خاص مع بعض الأصوات ذات الصعوبة النطقية كالضاد، فأحدث الاقتصاد اللغوي موازنة في نطق هذا السياق تمثلت بالمفاضلة بين نطق بالشين مدغمة بمثلها، أو نطق الضاد والشين بعدها. وقد سبق القول إلى اعتماد الاقتصاد اللغوي حفظ التوازن بين معطيات السياق الصوتي، والأخذ بأمثل الوسائل المتاحة، فآثرت اللغة الإدغام الذي وصل به المتكلم إلى توحد النطق بالمخرج.

(١) **النشر** ، ابن الجزري ج١/٢٩٣.
(٢) **إدغام القراء**، السيرافي، ص٤٦-٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفاء فقد روى السيرافي إدغامها في الباء،ولكنه علق عليه بالضعف، يقول [1]: "وما روي عن الكسائي من إدغامها (الفاء) في الباء في :"نخسف بهم الأرض" ضعيف عندهم (يقصد النحاة)، شاذ، وهو شيء تفرد به الكسائي".

لقد منع النحاة إدغام الفاء في الباء لما في الفاء من تفشٍ يزول بالإدغام، ولكنهم أجازوا إدغام الباء في الفاء، لتقاربهما في المخرج، كقولك: اذهب فانظر[2]. ولكن أليست الباء صوتاً شديداً، والفاء صوتاً رخواً؟ ثم أليست الباء مجهورة والفاء مهموسة؟ والشدة والجهر كما هو معروف أقوى من الرخاوة والهمس، وهل تفشي الفاء حصانة لها وشدة الباء وجهرها أضعف من أن تحصنها؟ وماذا عن قراءة الكسائي أحد القراء السبعة؟ ثم أليس قرب مخرج الباء من الفاء كقرب مخرج الفاء من الباء؟ فلم جاز الإدغام مع أحدهما وامتنع مع الأخرى؟

لقد ذهب مكي بن أبي طالب القيسي عند الحديث عن قراءة الكسائي لقوله تعالى: " نحسف بهم"[3] بإدغام الفاء في الباء [4]:

"وعلة إدغامه من أن الفاء والباء اشتركا في المخرج من الشفة، واشتركا في منع إدغام لام التعريف فيهما، والباء حرف قوي للشدة التي فيها، والجهر، والفاء أضعف من الباء، للهمس والرخاوة فيها، فإذا أدغمت نقلت الحرف إلى ما هو أقوى منه ....".

ويرى الباحث أن الباء لمّا كانت صوتاً قوياً بسبب ما من شدة وجهر، فإن إدغام الفاء فيها يستدعي أن تقلب الفاء باءً. وبذلك تزداد الباء قوة. وهذه القوة المتزايدة تستدعي بذل مجهود نطقي كبير، لذلك لم أجد النحاة يتحدثون عن صوت يدغم في الباء غيرها، ولم يكونوا ليمنعوا

---

(1) **إدغام القراء**، السيرافي ص٤٨، وانظر **شرح مفصل الزمخشري**، ابن يعيش، ج١٠، ١٤٧.

(2) **شرح مفصل الزمخشري**، ابن يعيش، ج١٤٧،١٠.

(3) **سبأ** ٩/٣٤

(4) **الكشف عن وجوه القراءات السبع**، مكي بن أبي طالب القيسي، ج١٥٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك إذ كان كل صامت يدغم في مثله. ومن هنا آثروا ألا يكون لديهم سياق صوتي حصيلته باء مشددة إذا صارت إلى الإدغام، فجعلوا ما قاله الكسائي شاذاً، وحملوا أنفسهم على تقوية الفاء على الباء، وهي منها أضعف.

والذي أخلص إليه أن معطيات السياق الصوتي الذي ترد فيه الفاء فالباء لا يشوب الإدغام فيه شائبة، وما من مانع يمنع إدغام الفاء في الباء. وما قيل من صعوبة نطقية وبذل مزيد من الجهد له اعتباره الذي يؤخذ به على سبيل تفضيل الإظهار على الإدغام، دون تشذيذ قراءة الكسائي، لا سيما أن الباء تدغم في مثلها ولا اعتراض على ذلك. وربما كان مما يقوّي وجهة النظر السابقة، ما يقال في إدغام الميم في الباء، ففي الوقت الذي روى القراء إدغام الميم في الباء، حصر النحاة إدغامها في مثلها، قال ابن يعيش [(١)]:

"الميم تدغم في مثلها.... ولا تدغم في غيرها، لأن فيها غنة يذهبها الإدغام. وقد روي عن أبي عمرو إدغام الميم في الباء إذا تحرك ما قبل الميم، مثل قوله تعالى: "وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً". و "لكيلا يعلم بعد علم شيئاً". و "وهو أعلم بالشاكرين."وأصحاب أبي عمرو لا يأتون بباء مشددة. ولو كان فيه إدغام لصار في اللفظ باء مشددة، لأن الحرف إذا أدغم في مقاربه قلب إلى لفظه ثم أدغم، قال مجاهد: يترجمون عنه بإدغام وليس بإدغام، إنما هو إخفاء، والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت. وعلى هذا الأصل ينبغي أن يحمل كل موضع يذكر القراء، أنه مدغم والقياس يمنع منه على الإخفاء، مثل "شهر رمضان". وما أشبه ذلك من حرف مدغم قبله ساكن صحيح فاعرفه".

وذكر السيرافي في هذه المسألة، وأشار إلى أن نطق الباء لا يكون مشدداً يقول [(٢)]:

---

(١) **شرح مفصل الزمخشري**، ابن يعيش، ج١٠/١٤٦-١٤٧.

(٢) **إدغام القراء**، السيرافي، ص٥، ٦،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فإذا سألت أصحابه (أبي عمرو) عن اللفظ بما ترجموا عنه من إدغام ذلك لم يأتوا بباء مشددة؟ وقد سألت أبا بكر بن مجاهد رحمه الله عنه فذكر: أنهم يترجمون عنه بإدغام أو نحو هذا من اللفظ".

وحمل السيرافي رأيه في هذه المسألة على أحد وجهين، يقول [1]:

"إما أن يكون أخفى الحركة على ما يعتقده كثير من البصريين ويتأوله أبو بكر بن مجاهد، وذلك أنه حُكي عن اليزيدي عن أبي عمرو تسكين "ينصركم ويأمركم" وذكر قتيبة أن سيبويه ونحويّي البصرة ينكرونه، وينفون أن يكون محفوظاً عن أبي عمرو، ويحكون أن أبا عمرو كان يميله إلى التخفيف، يختلس الكسرة والضمة إذا توالت الحركات، فيرى من يسمعه ممن لا يضبط سمعه ما خفيت حركته أنه أسكن ولم يسكن، قال أبو بكر ولا أحسب القول إلا ما قال، [و] إما أن يكون على التسكين الذي حكى عنه في قوله "ينصركم" و "يأمركم" حكاه عنه اليزيدي. وقد حكي عن الكسائي أيضاً، فيما كان مثل "يأمركم" ثلاث لغات : الإشباع، والتخفيف والجزم....."[*].

والذي أراه أن الميم تدغم في الباء انطلاقاً من معطيات السياق الصوتي الذي يثبت تقاربهما في المخرج، فكلاهما صوت شفوي، ويشتركان في صفة الجهر. وما قيل عن أصحاب أبي عمرو أنهم إن قرءوا لم يأتوا بباء مشددة، فصحيح أيضاً، ولكنه لا يدل على نفي الإدغام، وذلك أن إدغام أبي عمرو وأصحابه للميم في الباء في حقيقته إدغام لحقه ضرب من التخفيف، وهذا أحد تجليات الاقتصاد اللغوي في سياقات الإدغام الصوتية.

---

[1] **إدغام القراء** ص٧، ٨، ٩، وانظر **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج٢/ ٩٦١-٩٦٢.

[*] عرّف محقق رسالة السيرافي، "**إدغام القراء**" (قتيبة) المذكور في النص بأنه : قتيبة بن أحمد بن شريح أبو حفص البخاري، صاحب التفسير الكبير، روى عن سعيد بن مسعود المروزي، ت (٣١٦هـ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعلة في ذلك هي صعوبة نطق الباء مدغمة لما فيها من الشدة والجهر، والغاية من الإدغام هي التخفيف لا التثقيل.

وقد مرّ بنا أن إدغام الباء في الباء لا يجيزه النحاة إلا في باب إدغام المتماثلين، ولذلك منعوه مع الفاء، وأنكروه مع الميم. والعلة واحدة هي صعوبة نطق الباء مدغمة، في الوقت الذي نيطت الخفة بالإدغام.

الحقيقة الثالثة:

ثمة أصوات تدغم في غيرها ويدغم غيرها فيها، لما بينهما من تقارب، وبعد الاطلاع على ما أصّله النحاة في باب الإدغام، فإن الإجماع يكاد ينعقد على الإدغام بين الأصوات[1]: (التاء، والدال، والطاء)، (الثاء، والذال، والظاء).

يدغم كل صوت من أصوات كل مجموعة في أصوات مجموعته كما يدغم في أصوات المجموعة الأخرى. وقد جعل سيبويه مخرج أصوات المجموعة الأولى من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وجعل مخرج المجموعة الثانية من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا[2]. فالتقارب المخرجي بين كل صوت وسائر الأصوات الأخرى في المجموعتين واضح جلي. ويتم بين أصوات هاتين المجموعتين ــ بالإضافة إلى الإدغام المتماثل ــ ثمانٍ وأربعون حالة إدغام، مما يؤكد أصالة حروف الفم في الإدغام، يقول سيبويه[3]:

---

(١) اعتمد الباحث في رصد الإدغام بين الأصوات المتقاربة لدى علماء اللغة والنحاة ما اتفقوا على إدغامه، وهؤلاء النخبة هم: سيبويه في كتابه، الرضي في شرح شافية ابن الحاجب، وابن يعيش، في شرح مفصل الزمخشري، والصيمري في التبصرة والتذكرة. وابن جني في سر الصناعة.

(٢) الكتاب، سيبويه ج٤/٤٣٣، ويرى الباحث أن سيبويه لما تحدث عن مخارج الأصوات في العربية توخى ما يجري بينها من إدغام، فحرص على أن يجعل كل ما جرى الإدغام بينه في مجموعة واحدة، قدر توخي ما يجري بينها من إدغام.

(٣) المصدر نفسه، ج٤/٤٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف". ويقول [1]: "لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام."

والكثرة التي يشير إليها سيبويه ليست كثرة ورود هذه الأصوات في اللغة، وإنما هي كثرة أصوات المخرج الفموي الواحد، فقد جعل (التاء، والدال، والطاء) من مخرج واحد، و(الثاء، والذال، والظاء) كذلك. وهذا بتصوري سبب وجيه لتفسير كثرة الإدغام بين هذه الأصوات، لأن المخرج الواحد إذا كثرت أصواته التي ينتجها تضاءلت الفروق بينها، ولا يميز الصوت سوى صفة واحدة عن نظيره مما يجعل تأثرها بعضها ببعض قوياً، بالإضافة لما بينهما من تقارب شديد.

وليست الكثرة كثرة شيوع في اللغة، لأن الثاء، والذال والظاء والتاء والطاء من أقل الأصوات شيوعاً في اللغة [2].

ويتمثل الاقتصاد اللغوي في الإدغام بين هذه الأصوات في توحد العملية النطقية، وكذلك في توحد الصفة الصوتية، ففي إدغام التاء في الطاء، كما في قوله تعالى :"قالتْ طائفة" و"همت طائفتان" [3]. تدغم التاء في الطاء، ومسوغ ذلك أن الصوتين مهموسان شديدان، ليس بينهما فارق سوى الإطباق في الطاء، والانفتاح في التاء. وهذا التقارب يجعل من نطق الصوتين سياقاً صوتياً متنافراً، شبهه ابن يعيش وغيره بمشي المقيد، فينزع إلى الإدغام. وتم هذا الإدغام بالتآلف بين التاء والطاء، فدخلت التاء في الطاء استناداً إلى موضعية النشاط النطقي. ناهيك عما

---

(1) **الكتاب**، سيبويه ج٤/ ٤٤٩.

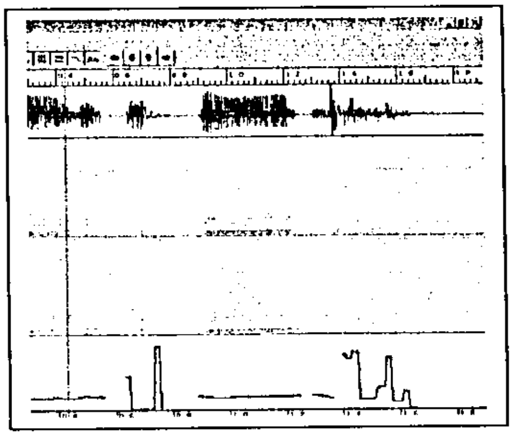
(2) انظر : **دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر**، علي حلمي موسى، وعبد الصبور شاهين، ص ودلت هذه الدارسة على أن الظاء أقل الأصوات شيوعاً إذ بلغت نسبة شيوعها (٠,٨٢٠%)، أما الذال (١,٧٧٧%)، والثاء (٢,٠٩٣%)، والتاء (٢,٨٢٥%)، والطاء (٢,٩٥٧%)، والدال (٤,١٢٨%)، علماً أن نسبة شويع أعلى صوت هي (٥,٩٠١%)، وهو صوت الراء.

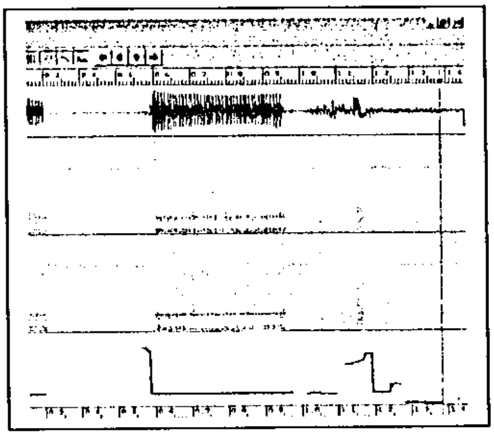
(3) **سورة آل عمران** : ٣/٧٢، ١٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحصنت به الطاء من إطباق، وتم التآلف بميل التاء نحو الطاء بما ألحق بها من حمل على الإطباق، ثم تحويلها إلى طاء كالتي تليها، ثم نطقها مع التالية من موضع واحد.

أما الصورة الطيفية للسياقات الصوتية في الكلمتين قالت طائفة و قالطّائفة فتبدو على النحو الآتي : قالت طائفة قالطّائفة





وعند مقابلة الصورة الطيفية لأصوات السياقين قبل الإدغام وبعده، تتجلي لنا الحقائق القياسية المذكورة في الجدول الآتي:

جدول رقم (٨)

جدول تحليل "قالت طائفة" قبل الإدغام وبعده

الحدث الصوتي	قالت طائفة		قالطّائفة	
	المدة الزمنية	التردد	المدة الزمنية	التردد
نطق الكلمة	٠,٧٢٠/ث	—	١,٣٥٦/ث	—
حبس الصوت الانفجاري	(ت) ٠,١٢٠/ث	—	(ط)٠,٢٦١/ث	—
حركة الطاء (الفتحة الطويلة)	٠,١٧٠/ث	١١٦-١٢٦ذ/ث	٠,٤١٠/ث	١١٠-٣٤٤ذ/ث

إن هذين السياقين الصوتيين دليلان على ما يستدعيه الإدغام من مضاعفة جهد نطقي، ويبدو ذلك في زيادة المدة لنطق الصوت وزيادة التردد في الحركات، حتى إن مدة حبس

١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا نظرنا إلى صورة الكلمة قبل الإدغام، وقارناها بحالها بعد الإدغام وجدنـــا فرقـــاً يتصل بنطق التاء تحديداً، فقد رافق نطقها دفقة هواء ذات تردد عال يصل إلـــى(٤٢٠ذ/ث). ولا نقع على مثل هذا الحال في (قالطّائفه) لسقوط التاء فيها. ولعل ما تستأثر به التاء من مرافقة هذه الدفقة ذات التردد العالي كفاها مؤونة القلقلة، لأنها بما رافقها أصبحت ذات وضوح سمعي جلي.

الحقيقة الرابعة:

الأصوات الأسنانية الصفيرية (الصاد، والسين، والزاي) يدغم بعضها في بعض، ويدغـم فيها أصوات المجموعتين: (الدال، والتاء، والطاء)، (الذال، والثاء، والظـــاء)، ولا تدغـم فـــي غيرها. وهذه الأصوات قريبة المخرج مما يدغم فيها، وهي تضاف إلى النتيجة القائلة إن أصـــل الإدغام هو في حروف الفم. ولمّا كانت هذه الأصوات ذات قوة صفيرية لم تدغم في غيرهـــا، إذ حالت قوة صفيرها دون إدخالها في سواها. وهذا يفسر لنا سبب الإدغام فيها دون أن تدغم هـــي في سواها. ولكنها تبادلت الإدغام مع أخواتها الصفيريات عندما كانت هذه الصفة مشتركة بيـــن هذه الأصوات.

إذاً فأي حالة إدغام بين أي صوتين متقاربين في العربية يكشف عن اقتصاد لغوي يتمثل في توحيد نطق الصوتين، بحيث ينطقان من موضع واحد، كما يتمثل الاقتصاد اللغـــوي فيمـــا يجري بين الصوتين المتقاربين عند إدغامهما من فقدان أحدهما شيئاً من صفاتـــــه أو اكتســـاب أحدهما صفة جديدة. ومرد ذلك إلى تأثير أحدهما في الآخر، ويعد هذا الفقدان والاكتساب خطوة من خطى المماثلة ليدخل أحدهما في الآخر، وليصبح السياق ذا صفة صوتية واحدة، بعد أن كان ذا صفتين غالبا ما يكون التنافر بينهما قائماً.

ولما كان الاقتصاد اللغوي يؤدي إلى الموازنة وحفظ الاتزان فـــي معطيـــات الســـياق الصوتي، فإنّ تأثير الصوت في الصوت الذي يقاربه يحتكم إلى مبدأ الصوت الأقوى، حيث يؤثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوي في الضعيف، والقوة والضعف يحكمهما السياق الصوتي الذي ترد فيه الأصوات، فقد يدغم المجهور في المهموس إن توافر للمهموس تفوق بوجود عناصر أخرى، كما هو الحال في إدغام الدال في السين والصاد، إذ تفوقت السين والصاد المهموستين بما فيهما من صفير على الدال المجهورة، فماثلتهما الدال لتدغم فيهما. كما في قوله تعالى: "يكاد سنا برقه"[1].

الحقيقة الخامسة:

يدغم الصوت الخلفي الذي موضع نطقه الحنجرة أو الحلق أو اللهاة أو الطبق في أحد أصوات هذه المجموعة (الحنجرية، الحلقية، اللهوية، الطبقية). فإذا أدغم أحدها في غيره من المجموعة الخلفية نفسها أدغم غيره فيه. فالغين تدغم في الخاء، والخاء تدغم في الغين، والهاء في الحاء، والحاء في الهاء، وكذلك القاف والكاف، والعين والحاء (على رأي من يدغم العين في الحاء).

لقد تم الاقتصاد اللغوي في إدغام الغين في الخاء بتوحد موضع النطق وبسلب قوة الجهر من الغين لتدخل في الخاء، ثم لتقلب خاءً كالتي بعدها وتدخل فيها لينطقا من موضع واحد. والعكس تماماً عند إدغام الخاء في الغين، حيث تسلب الخاء قوة الهمس لتدخل في الغين، ومن هنا يقتصد في الصفة الصوتية إذا تخالف الصوتان، لتسهيل إجراء الإدغام.

وتجدر الإشارة إلى أن أصوات الحلق ليست أصلية في الإدغام، وإنما أصل الإدغام لحروف الفم كما مرّ سابقاً، وعن ذلك يقول سيبويه[2]:"حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها.. .. ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام".

---

(1) سورة النور : ٢٤/٤٣.

(2) الكتاب، سيبويه ، ج٤/ ٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقيقة السابعة:

ينزع الاقتصاد اللغوي في بعض السياقات الصوتية إلى اقتصاد صفة ينماز فيها الصوت، وغالباً ما تكون صفة مخرجية، كما هو الحال في إدغام النون. فالنون صوت يتميز عن أصوات اللغة ـــ إلا الميم ـــ بأنه صوت أغن، مخرجه الخيشوم، ولكن لما كانت النون من أكثر الأصوات شيوعاً في العربية إذ تبلغ نسبة شيوعها(٥,٧٣٥%)، فإن العربية قد طوعتها للتآلف مع جملة من الأصوات لتدغم فيها، فإن تعذر الإدغام لجأت اللغة إلى تطويعها بظاهرة تقترب من الإدغام كثيراً وإن كانت دونه، وهي إخفاؤها، حتى مع بعض الأصوات التي وصفت بإظهار النون معها، فسيبويه يحدثنا عن إخفائها مع الغين، والخاء، لأنهما أقرب الأصوات الحلقية نحو الفم كما في: منخل ومن غلبك، يقول سيبويه [١]:

"ألا ترى أنه يقول بعض العرب: منخل ومنغل، فيخفي النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم، لقرب هذا المخرج من اللسان". ويقول[٢]:

"وتكون (النون) مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بيّنة، موضعها من الفم، وذلك أن هذه الستة تباعدت عن مخرج النون وليست من قبيلها، فلم تخف هاهنا كما لم تدغم في هذا الموضع، وكما أن حروف اللسان لا تدغم في حروف الحلق، وإنما أخفيت النون في حروف الفم كما أدغمت في اللام وأخواتها...... وبعض العرب يجري الغين والخاء مجرى القاف".

ويحدثنا سيبويه أن إدغام النون بالراء واللام والياء والواو قد يكون بغنة وبلا غنة، أما الميم فالإدغام فيها بغنة لما كانت تشاطر النون مخرجها[٣]، فإن أدغمت النون بغنة مع هذه

---

(١) **الكتاب**، سيبويه ، ج٤/ ٤٥١.

(٢) **المصدر نفسه** ، ج٤/ ٤٥٤.

(٣) **المصدر نفسه** ، ج٤/ ٤٥٢-٤٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصوات وقفت موقفاً وسطاً، إذ أدخلت النون فيما أدغمت فيه وحافظت على الغنة، وإن أدغمت بغير غنة فقد سلبت النون غنتها، ليتوحد المخرج وموضع النطق.

إن إدغام النون ذو سمت خاص، فإدغامها في الواو أو الياء أو الراء أو اللام.... ليس كنطق هذه الأصوات مشددة. بمعنى أنه إذا كانت حصيلة الإدغام أن يقلب الأول إلى الثاني ثم ينطقا من موضع نطق واحد، فإن هذه الحصيلة تختلف في حال نطق الصوت المدغم فيه مشدداً؛ وذلك لما في النون من صفة توسطية وتوسطها قد يأخذ بعداً أشار إليه بعض المحدثين بأنها وسط بين الصوامت والحركات. ولهذا أطلق عليها "أشباه حركات"[١]. فالميم والنون من أوضح الأصوات وأبينها في السمع، والهواء معهما حرّ في مجراه، وهذا يزيد من قربهما من الحركات[٢].

ولكن ما يميز النون من الميم، أن النون تدغم في أصوات تشاركها في صفة التوسط. ولهذا كان إدغامها في غيرها لا يشكل صعوبة نطقية أو ثقلاً صوتياً، وإن استدعى مزيداً من الجهد، بل على العكس من ذلك فقد نصَّ العلماء على ضرورة إدغامها، وجعلوا ذلك حكماً من أحكام تجويد قراءة القرآن الكريم.

إن الاقتصاد اللغوي في كل سياق يجري فيه إدغام بين صوتين متقاربين، هو حفظ للتوازن النطقي في السياق ، وذلك لأن نطق الصوتين بهذا القرب يخل بالبنية التوازنية السياقية. ولهذا نسمع كثيراً لاسيما عند ذوي الأداء السريع اضطراباً نطقياً في سياق يتتابع فيه صوتان بينهما تقارب مخرجي أو وصفي.

---

(١) انظر : **مناهج البحث في اللغة**، تمام حسان، ص١٠٢.

(٢) انظر : **سر صناعة الإعراب**، ابن جني، ج١/٧٥..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كان الاقتصاد اللغوي يسعى إلى تحقيق الغاية عن طريق الاستغلال الأمثل لما في اللغة من إمكانات، لم يدخر جهداً في اللجوء إلى المماثلة بين المتقاربين ثم إجراء الإدغام بينهما لينطقا من موضع نطق واحد في عملية نطقية واحدة، علماً أنّ الجهد المبذول في سياقات الإدغام الصوتية يصل إلى مقدار يكثر عنه قبل إجرائه، ولكن المحصلة أن بذل مزيد من الجهد يتم في سبيل تحقيق الغاية. ولعل مثل هذا الصنيع من أساسيات علم الاقتصاد الذي ينظر إلى تحقيق الغاية مع الأخذ بأمثل الوسائل، فإذا كان (أ) يحقق غاية أفضل من (ب)، يؤخذ به وإن كان (ب) أسهل منه، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة تحسين الاستخدام عن طريق الاستغلال الأمثل لكل ما هو متاح. وأعتقد أن اللغة في ظاهرة الإدغام لم تبرح هذا التصور.

<u>ثالثاً، الحذف الصامتي:</u>

عند استعراض ما درسه النحاة واللغويون من حذف يقع في صوامت العربية بغية تحقيق الاقتصاد اللغوي، نجد هذه الظاهرة غير سارية على جميع الصوامت اللغوية، بل تكاد تنحصر في بضعة صوامت إن هي وردت في سياقات خاصة.

ويرى الباحث أن الوقوف على الاقتصاد اللغوي في الحذف الصامتي يبدو من خلال التعرف على طبيعة الصوامت التي تحذف، ولم اختصت هذه الصوامت بالحذف دون غيرها؟

وأزعم أن ما حذفته العربية من صوامت في سياقاتها الصوتية لا يبرح سببه أن يكون أحد أمرين: الأول: <u>ارتفاع الكلفة الأدائية لإنتاج الصامت</u>، وأعني بالكلفة الأدائية : مقدار الجهد المبذول في نطق الصامت، إذ يستدعي نطق بعض الصوامت جهداً أكثر من غيرها. ويتمثل هذا السبب في ظاهرة الهمز وتوالي الأمثال، والتقاء الساكنين في العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني:- كثرة الاستعمال، وأقصد بها وقوع الصامت في السلسلة الكلامية وكثرة تردده في النطق. ويبدو هذا السبب في صوت النون في الفعل كان وتصرفاته أكثر من غيره[1]. ومعلوم أن كثرة الاستعمال تبيح التصرف. ولا يعترض على ما قيل بأن الراء أكثر من النون إذا بلغت نسبة ترددها(٥,٩٠١%)[2]، لأن النون بالإضافة إلى ارتفاع نسبة ترددها تمتاز بقابليتها للامتزاج والتآلف مع ما يليها من أصوات، وبذلك تحظى النون بمرونة لا تكاد نجدها في صوت آخر. وهذه المرونة تبدو في حركة تنقل النون من لثوية إلى حنكية طبقية إلى لهوية، وفق طبيعة الصوت الذي يليها.

ولما كان الفعل "كان" وتصرفاته من أكثر الأفعال دوراناً في اللغة، فقد تضافر في هذا السياق فعل يكثر دورانه وصوت يكثر استعماله، لاسيما أن هذا الصوت قد وقع طرفاً، فاقتصد في نطق هذا الفعل عن طريق الحذف، وصار هذا الفعل عرضة للتصرف أكثر من غيره. ولا يخل الاقتصاد اللغوي في حذف النون من هذا الفعل من قيمة دلالية يحكمها الإطار السياقي الذي ترد فيه، ففي قوله تعالى[3]: "ولم أك بغياً" تعبير عن شدة حياء السيدة مريم عليها السلام التي مرت على ما قالت مقتصدة في نطقه. وفي قوله تعالى[4]: "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً" تعبير عن انتفاء كينونته قبل أن يخلق ثم تجلت قدرة الله بخلقه..

وفي المقابل نجد ذكر النون في هذا الفعل تدلل على الكمال والوجود، يقول تعالى[5]: "يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها

---

(1) بلغت نسبة تردد النون في الجذور الثلاثية في معجم تاج العروس ٥,٧٣٥ % وهو أكثر الحروف تردداً بعد الراء، انظر: دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس،علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين، ص ٧٥

(2) المرجع السابق نفسه، ص٧٥

(3) مريم ٢٠/١٩

(4) مريم ٩/١٩

(5) لقمان ١٦/٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدثنا كتب المتقدمين أن الهمزة لصعوبتها لم يكن لها رسم في الخط. يقول مكي بن أبي طالب القيسي[1]:

"وإنما لم يكن لها صورة كسائر الحروف، لأن الهمزة حرف ثقيل،... فلما لم تثبت الهمزة في كلام العرب على لفظ واحد، كما ثبتت كل الحروف وغيرت هذا التغير المذكور دون سائر الحروف لم يكن لها صورة في الخط غير مختلفة كما لم تثبت هي في اللفظ على سنة واحدة". ويقول في موضع آخر عنها [2]:-

"فيجب على القارئ أن ... لا يتعسف في شدة إخراجها إذا نطق بها، لكن يخرجها بلطافة ورفق، لأنها حرف بعد مخرجه، فصعب اللفظ به لصعوبته، لذلك لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل كلمة...فقد قال أبو بكر بن عياش (١٩٤هـ) صاحب عاصم (١٢٨هـ)، كان إمامنا يهمز "مؤصدة" فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها يريد أنه كان يتعسف في اللفظ بالهمز ويتكلف شدة النبر فيقع النبر فيقع لفظة بها".

وعبر كثير من اللغويين عن حذف الهمزة من أجل الوصول إلى الخفة، وجعلوا كثيراً من التغيرات في السياقات الصوتية يعزى إليها، وجعلوا الثقل سبباً كافياً لتسويغ كثير من هذه التغيرات. وهذا السبب شديد الصلة بالاقتصاد اللغوي الذي أخذت به اللغة في تعاملها مع الهمزة التي يستدعي نطقها جهداً كبيراً، ولذلك كله تعامل معها العرب بطرق شتى أشهرها الحذف أو التسهيل الذي ينسب إلى قبائل الحجاز[3]. وإذا عرفنا أن التسهيل وجه فصيح في اللغة، بل هو صفة أشهر الذين أخذت عنهم اللغة وبه قرئ القرآن الكريم.

---

(١) **الرعاية**، مكي بن أبي طالب القيسي، ص ٩٥-٩٦.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٤٥.

(٣) **الكتاب**، سيبويه، ج٤، ص ٥٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله" عبر بحذف النون عن شدة صغرها، وبذكرها عن إثبات وجودها في مكان مستعص، وبين هذا وذاك قدرة الخالق على الإتيان بها. وبذلك يكون الاقتصاد اللغوي في هذه الظاهرة ذا قيمة دلالية بالإضافة إلى قيمته الأدائية.

أما ما قيل عن ارتفاع الكلفة الأدائية للسياق الصوتي في العملية النطقية، فإنه يتجلى في الظواهر الآتية:

*- حذف الهمزة

تعد الهمزة من أصعب الأصوات اللغوية نطقاً، لما تتطلبه من جهد عند النطق بها، يقول سيبويه [١]:

"واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها (يقصد إبدالها) لأنه بَعُد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج بأحقها، وهي أبعد الحروف مخرجاً، مثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوع".

وتبدو الصعوبة النطقية في الهمزة في التشبيه الذي ذكره سيبويه فنطقها كالتهوع[٢].

يقول السيوطي[٣]:

"اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقاً وأبعدها مخرجاً، تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف، وكانت قريش أكثرهم تخفيفاً، وأحكام الهمز كثيرة، أحدها: النقل لحركته إلى الساكن قبله فيسقط نحو (قد أفلح) بفتح الدال... وثانيها: الإبدال نحو(وأمر أهلك)... وثالثهما: التسهيل وبين حركتها وذلك في (قل أؤنبئكم)... رابعها:الإسقاط بلا نقل... ."

---

(١) **الكتاب**، سيبويه، ج٣/ ٥٤٨ وانظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٧٢

(٢) **التهوع**: أقرب ما يكون إلى التقيؤ.

(٣) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، ج١/٢١٤-٢١٥. وانظر **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، ص٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)[١]: "اعلم أن ورشاً كان يسهل الهمزة المفردة سواء سكنت أو تحركت إذا كانت في موضع الفاء من الفعل...".

وتحدثنا كتب الدراسات التاريخية المقارنية أن تسهيل الهمز قد دخل في تطور بعض اللغات السامية أيضاً، يقول بروكلمان[٢]:

"وفي العربية القديمة تبقى الهمزة المحققة بين حركتين، غير أنه تركت في لغة مكة التي وضع الخط على أساس النطق فيها وعوض عنها بعد الكسرة القصيرة والطويلة بالياء، وبعد الضمة القصيرة والطويلة بالواو".

نخلص من ذلك كله إلى أن صوت الهمزة صوت صعب يستدعي جهداً نطقياً، وقد أثبتت الدراسات المخبرية هذا الوصف، يقول أحمد مختار عمر [٣]:

"وإذا كانت التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة قد أظهرتها بصور متنوعة، وصوتاً غير مستقر لا يأخذ، شكلاً معيناً محدداً، وصوتاً شبيهاً بالعلة في بعض السياقات".

لا جرم أن السهولة ذات مظاهر كثيرة في العربية وليس ضرب الهمز وتسهيله مثلاً إلا من باب التمثيل لا الحصر، ولقد أفاض علماء العربية في تراثنا اللغوي من الحديث عن أهمية السهولة وقيمتها في حسن التأليف وتلاؤم الحروف.يقول الرماني (٣٨٦هـ)[٤]:

---

(١) **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمر والداني، ص ٣٧.

(٢) **فقه اللغات السامية**، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، ص ٤٢.

(٣) **دراسة الصورة اللغوي**، أحمد مختار، عالم الكتب، ١٩٩١، ص ٣٤٦.

(٤) **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم**، للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، والنص من الرسالة الثانية : النكت في إعجاز القرآن الرماني، ص ٩٥-٩٦، وقد أشار علماء العربية لا سيما البلاغيون منهم إلى أهمية تلاؤم الحروف وأثرها في السهولة، انظر **سر الفصاحة**، ابن سنان الخفاجي، ص ٥٤، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"التلاؤم نقيض التنافر... والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف... وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ...وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال".

وهذا النص يوضح حقيقة استخدام بعض الظواهر في اللغة كالإدغام والإبدال، فهي من مظاهر الاقتصاد في اللغة، كما يوضح قول الرماني أن تقارب المخارج كتباعدها في الصعوبة النطقية. ولذا يميل المتكلم إلى الاعتدال ليحقق التلاؤم الذي هو أسهل له وللسامع.

*- الحذف لتوالي الأمثال

يعد التخلص من توالي الأمثال من مظاهر الاقتصاد اللغوي الذي تبدو فيه رفعة الذائقة اللغوية العربية ضمن سعيها الدؤوب نحو التخلص من الأمثال المتتالية. وقد مرّ بنا تشبيه الخليل للأمثال المتتالية بالمشي المقيد، فهو بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين[1]. وكل ذلك يشكل صعوبة على اللسان، ولهذا وصف سيبويه التضعيف بالثقل واختلاف الحروف بالخفة، يقول[2]:

"اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد، ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو: ضربب ... وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا إليه...".

ومما يجدر ذكره أن الهمزة بما فيها من ثقل تلجأ اللغة إليها وتأخذ بها، إذا كانت سبيلاً للتخلص من أمثال متتالية، وذلك في نحو : قؤول، مؤونة.

---

(1) انظر : **النكت في إعجاز القرآن**، الرماني، ص٩٥-٩٦.

(2) **الكتاب**، سيبويه، ٤/٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيبويه [1]: "وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهــون الواويــن، فيهمزون نحو: مؤول ومؤونة".

ولذلك أرى أن توالي الأمثال أشد عليهم من الهمز على ثقله، ويبدو الاقتصاد اللغوي في هذه الظاهرة في حذف أحد المثلين المتتاليين، حتى لو كانا لا يشكلان ســياقاً صوتيــاً صعبــاً، والمتأمل في هذه الظاهرة يجد اللغة لم تقتصر على الحذف فقط في التعامل معها، فقد تلجأ اللغــة إلى الإدغام أو الإبدال، أو الفصل بين المتتاليين... ولكن هل من فارق دلالي في ســياق صــح وروده في اللغة بمتتاليين متماثلين مرة، وبالاكتفاء بأحدهما مرة أخرى؟

أرى أن ثمة ملمحاً دلالياً في الاقتصاد اللغوي عند البحث عن الفرق بين (تتنزل وتنزل) وما كان على مثلها. وهو ملمح مستوحى من البنية الإيقاعية التــي يــرد عليــها الفعــل فــي الصورتين، إذ تتسم الأولى منها بالتدرج والتسلسل والتتابع المتعاقب، في حين تنحو الثانية إلــى والكلية والاندفاع جملة واحدة.

ويرد بعض الباحثين المحدثين مثل هذه الظاهرة إلى البنية المقطعية في العربية، فتوالــي الصوتين المتتاليتين، في حقيقته يمثل توالي مقطعين متماثلين، يقول بروكلمان [2]:

"إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جداً، الواحد بعد الآخــر فــي أول الكلمة، فإنه يكتفى بواحد منهما، بسبب الارتباط الذهني بينهما".

ولكن الذي يستدرك على بروكلمان أن مثل هذا المسلك اللغوي في التعامل مع الأمثــال المتتالية لا يقتصر على أول الكلمة، بل حيثما توالت الأمثال، فإن تواليــها مســتكره، وتســعى

---

(١) **الكتاب**، سيبويه٤/٣٣١.

(٢) **فقه اللغات السامية**، كارل بروكلمان، ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية إلى التخلص منه. ومن هذا القبيل أيضاً، ما تلجأ إليه اللغة من حذف للمثل عند توكيد الأفعال الخمسة بنون التوكيد، يقول ابن هشام (٧٦١هـ)[١]:

"كقوله تعالى :" ولا يصدُّنَّك عن آيات الله". أو لتسمعن" مثله، غير أن نون الرفع حذفت تخفيفاً لتوالي الأمثال..."

ويشير رمضان عبد التواب إلى استكراه توالي الأمثال في العربية، وأن تخلص اللغة من الأمثال المتتالية لا يقتصر على بدايات الكلم، يقول[٢]: "ويحدث ذلك (توالي الأمثال) في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها". وعقد رمضان عبد التواب دراسة لهذه الظاهرة أحصى فيها ستة عشر موضعاً من مواضع توالي الأمثال في العربية، بين فيها كيفية تعامل اللغة في التخلص منها.

ولكن بروكلمان يشير إلى مسألة في غاية الأهمية تتصل بالبعد السيكولوجي للغة، عندما أشار إلى الارتباط الذهني بين الأمثال المتتالية. والباحث يتفق مع هذه الرؤية، إذ يستند الاقتصاد اللغوي إلى مراجعة ذهنية تسعى إلى تنظيم العمليات الذهنية تنظيماً مضبوطاً، في موقف وسط لا تميل فيه اللغة إلى طرف مبتعد عن آخر.

فإن زادت المماثلة إلى حد تجاوز ما تقرره اللغة من انسجام وملاءمة، فعلت اللغة التخالف بين المتماثلات. وإن زادت هوة التخالف عن الحد المقرر أيضاً لجأت اللغة إلى المماثلة. وما توالى الأمثال إلا ضرب من ضروب المماثلة المتجاوز حد سماح اللغة، إذ شكلت هذه الأمثال المتتالية سياقات صوتية صعبة عمل فيها اللسان من وجه واحد، وارتد إلى مكانه الذي كان فيه، فما كان من اللغة إلا أن خالفت بين هذه المماثلة المقيدة، بحذف أحد المتتاليات.

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الانصاري، ص٥١

(٢) **بحوث ومقالات في اللغة**، رمضان عبد التواب، ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كان الباحث يرى أن الحذف هاهنا ضرب من المخالفة، فإن هذه الرؤية خاصة في سياقها المشار إليه، فقد يكون الحذف ضرباً من المماثلة في سياق آخر، أي أن الحذف إذا أدى إلى التخلص من سياق زادت فيه المماثلة عن حدها كان ضرباً من المخالفة. وإن أدى إلى التخلص من سياق اتسعت فيه المخالفة عن حدها المسموح كان ضرباً من المماثلة. وبذلك تكون العملية التي يؤديها الحذف هي المسؤولة عن اتصافه بالحكم الذي نصدره عليه، كما يمكننا حمل الإبدال والقلب والإدغام، على هذا التصنيف أيضاً.

نجد في اللهجات العربية القديمة والحديثة ما يدل على كراهية توالي الأمثال، فيسقط أحد المثلين، كقولهم في إجّاصة: إجاصة..

وهذا التحول وإن عيب عند بعضهم، فإنه إن دل على شيء إنما يدل على ميل اللغة نحو الاقتصاد، عن طريق التخلص من صوتين متتاليين يصدران من مخرج واحد، ولهما الصفات نفسها فتحذف أحدهما[١] دون أن تخل ببنية الكلمة أو توقع في لبس. ويمكننا القول إن حذف أحد المتماثلين هو عدم إتمام نطق صوت ما وجد المتكلم أنه غير ضروري. ويكون المتكلم بذلك قد وصل إلى الاقتصاد اللغوي باختياره الأمثل، لتحقيق غايته وتوفير جهده، عن طريق وسيلة الحذف، يقول برتيل مالمبرج [٢]:

"عندما ينطق الإنسان أصوات اللغة يميل إلى أن يحصل على الحد الأقصى من التأثير بالحد الأدنى من الجهد. وهذا هو السبب في أننا نحرص ونحن نجمع الأصوات على الاقتصاد بقدر الإمكان، في الحركات المخرجية التي ليست ضرورية للتأثير الصوتي المطلوب".

---

(١) انظر: **شرح الفصيح في اللغة**، أبو منصور الجبّان، ص٢٥٥

(٢) **علم الأصوات**، برتيل مالمبرج، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن جنوح العربية نحو التخلص من الأمثال إذا توالت ذو جذور ممتـــدة تســري علـــى العربية وأخواتها الساميات، ويطلع المتأمل في كيفية التعامل مع هذه الظاهرة في اللغات السامية على تشكيلة متنوعة من الكيفيات المختلفة في التعامل مع هذه الظاهرة(*). يقول بروكلمان(١):

"يدغم أحياناً المقطع ذو الأصوات الصامتة المتماثلة في أول الكلمة وآخرها مع المقطـــع السابق له والمنتهي بحركة، وأحياناً يعوض في اللغات السامية فقدان المقطع في الحالة الأولـــى بتضعيف الصوت الصامت. وإذا وقعت العين واللام في مقطع واحد، فلا يحدث الحذف إلا فـــي مقطع واحد، فلا يحدث الحذف إلا في الآرامية، والعربية نحو:أحسستُ ـــ أحست".

*- الحذف لالتقاء الساكنين

تجمع الأنظار اللغوية على أنه لا يلتقي في العربية ساكنان، وأضحى منع التقاء الساكنين قولاً مأثوراً وعبارة مسلمة في الدرس اللغوي.

واستثنى اللغويون والنحاة من هذه الظاهرة حالتين اثنتين هما: الوقف، وما أطلقوا عليـــه باب شابة ودابة. وهاتان الحالتان هما ما يقصدونه بالحد في قولهم : لا يلتقي ساكنان على غـــير حدهما. ومنعهم لالتقاء الساكنين بقدر ما يدل على أن الصوامت لا تتلقي متتابعـــة فـــي مقطـــع واحد، مثلما يؤكد أهمية الحركة في السياقات الصوتية العربية، وقيمتها في السلســـلة الكلاميـــة، فكأن المتكلم دون تلك العلامات القصيرة والطويلة لا يقوى على الحركة أو التحريك. وهذا يشير إلى ما وفق إليه المتقدمون عندما أطلقوا مصطلح الحركة. وأزعم أن العملية النطقية برمتـــها لا

(*) يقترح الباحث في هذا المقام دراسة مقارنة بين العربية وأخواتها الساميات تبين مثالية العربية في التعامل مع هذه الظاهرة إذا قيست بأخواتها ولعلها توسم بـــ" **توالي الأمثال بين العربية وأخواتها السامية**"، ولو كان المقـــام يتسع لكان في الحديث إفاضة.

(١) **فقه اللغات السامية**، بروكلمان، ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتم دون الاستعانة بهذه الحركات، فالحركة هي الماء الذي تحيا به الصوامت. وكل صامت منطوق لا يستغني عن الحركة لإتمام نطقه سواء أكان في سلسلة كلامية أم منفرداً.

ويرى الباحث أن ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين هي في حقيقتها من باب توالي الأمثال في اللغة، وسعي العربية الدؤوب إلى التخلص من هذه الظاهرة، والمثلان المتتاليان في هذا المقام هما الساكنان من حيث سكونهما، لأن الأول ماثل الثاني في سكونه، دون النظر إلى طبيعة وماهية كل منهما، وكذلك الحال فيما يدعى بتلاقي الحركات أيضاً.

وتجدر الإشارة إلى الحقيقة الافتراضية ذات البعد التعليمي عند الحديث عن التقاء الساكنين، وانتقال اللغة إلى مرحلة التخلص منهما. فما قولنا في جملة نحو: "لم يكن الذين" أن الفعل (يكن) بني على الكسر لالتقائه بالساكن بعده(لام التعريف)؛ فكسر الأول. هذا القول ليس إلا قولاً افتراضياً تعليمياً، فالفعل لم يبن على السكون ثم الكسر، لأن الساكنين لا يلتقيان أصلاً. ولذلك أرى أن الأسلم في هذا المقام، أن يقال: وحرك الفعل بالكسر منعاً لالتقاء الساكنين.

وليس الحذف هو الوسيلة الوحيدة التي تلجأ إليها اللغة في التخلص من هذه الظاهرة، فقد تحدث اللغة حركة بين الساكنين لمنع التقائهما، أو تقصر الحركة، أو تلجأ إلى الإبدال... ويبدو أن الصامتين المتتابعين إذا اختلفا في جنسهما واتفقا في سكونهما كان ذلك في العربية أصعب وأعقد من اتفاقهما في جنسهما مع تحركهما، وإن كان كلاهما مستكرهاً.

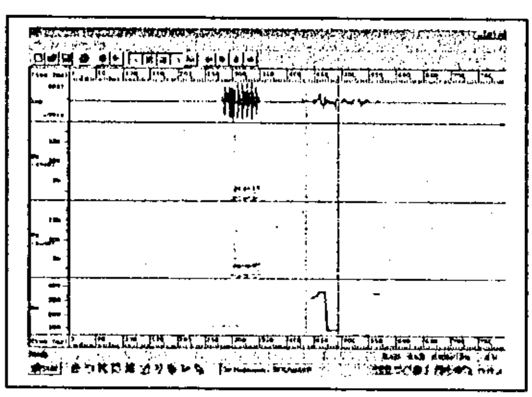
يرى الباحث أنه من الإنصاف أن يعرج على ما وصف بالتقاء الساكنين على حدهما، لمعرفة حقيقة السياق الصوتي في كل حد قيل إن الساكنين قد التقيا فيه. فما أطلق عليه باب شابة ودابة ليس من باب التقاء الساكنين، فالألف ليس حرفاً ساكناً كما ظن الكثيرون منهم، بل هو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حركة طويلة. وقد وعى القدماء أنفسهم هذه الحقيقة، فكانوا يرون أن الحركات القصيرة كالفتحة والضمة والكسرة هي أبعاض الحركات الطويلة كالألف والواو والياء.يقول ابن جني[1]:

"اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة. ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه".

وفي موضع آخر يصرح ابن جني أن الألف في شابة ودابة وكذلك الواو في نحو : تمود الثوب والياء في يطيب بكر، تجد فيهن طولاً وتماماً، وامتداداً واستطالة[2]. فإذا كان الحال كذلك فإن حقيقة ما التقى في باب شابة ودابة هو حركة طويلة وصوت ساكن. أما التقاء الساكنين في الوقف نحو: بَكْرْ، فخذْ فإن التجارب المخبرية تكشف لنا أن حقيقة الالتقاء ساعد في قبولها نفس الهواء المتدفق من انفجار الكاف كما في بكر، أو جريان النفس مع الصوت المهموس كما في فخذ. ويبدو هذا الحال جلياً في الصورة الطيفية لكلمة بَكْرْ، حيث تبدو دفقة الهواء الناتجة عن انفجار الكاف بين الخطين الرأسيين في الشكل التالي:



(1) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1/ ٣٣-٣٤.

(2) المصدر نفسه، ج1، / ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تدل معطيات تحليل الصورة الطيفية لكلمة (بكر) على أن مدة نطـــق فتحـــة البـــاء قـــد بلغت(٠,٠٩٠/ث). بتردد مقداره (١١١-١١٦ذ/ث). وبلغت مدة حبس الكاف (٠,٠٨٦/ث). أمـــا دفقة الهواء المشار إليها بين الخطين فبلغت مدتها(٠,٥٨/ث) بتردد عال مقداره(٨١-٣٦٣ذ/ث).

إن ارتفاع تردد دفقة الهواء في الشكل السابق ساعد عليه توالي صوتين انفجاريين همـــا: الباء والكاف. ولكن يبدو جليا أن جهر الفتحة "فتحة الباء" أوضح من جهر هذه الدفقـــة. وتكفـــي نظرة واحدة إلى شدة التظليل في رسم الفتحة ومقارنتها برسم الدفقة في الشكل السابق للاســتدلال على ذلك، حتى أن المكونات الموجية لهذه الدفقة لم تتضح في حين، بدا المكون الموجـــي الأول والثاني واضحين أيما وضوح.

ويخلص الباحث إلى أن القول بالتقاء الساكنين وتخلص اللغة منه قول مفترض، أي أنـــه يفترض بناء سياقيا لو لم يجر عليه تغير ما كالحذف أو إحداث حركة ســـيلتقي فيـــه ســـاكنان، ويشكل التقاؤهما صعوبة نطقية، فتلجأ اللغة إلى توفير الجهد المبذول بممارسة الاقتصاد اللغـــوي المتمثل في بعض أشكاله بالحذف، فيحذف الصامت الأول منهما، أو يحرك.

ومثل هذه الافتراضات ما نجده عند توكيد الأمر أو المضـــارع المجـــزوم بـــالنون، إذ تفترض اللغة أن السياق دون إحداث تغير ما سيفضي إلى محظور وهو التقاء الســـاكنين، لذلـــك يفتح آخر المضارع والأمر إذا تأكدا بالنون.

ومن هذا الباب أيضا الاقتصاد اللغوي في طول الحركة في سياق منع التقاء الساكنين في نحو: قل وبع، فالمحذوف في الحقيقة هو الحركة الطويلة، إذ أصل الفعلين قول وبيع،كما تنطـــق العامة، ثم قصرت هذه الحركة أي أن:

q̇ūl ⟶ q̇ul   bī' ⟶ bi'

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك الحال في قولنا: لم يدعُ ولم يرمِ ولم يخشَ، فلم يلتق ساكنان، بل جرى تقصير الحركة الطويلة عندما جزم الفعل.

أما ما يقال عن حذف التنوين إذا تلته لام التعريف فإن الأمر يحتاج إلى تفصيل، فقد تحدث اللغة حركة بين التنوين واللام، وغالباً ما تكون تلك الحركة كسرة. واختيار الكسرة سنة لغوية ذات أصول سامية، نجدها أول المقطع في بداية الكلمة أيضاً كما في قولنا : اضرب. ويبدو إحداث هذه الكسرة بين التنوين واللام كما في قوله تعالى "ولا الليل سابقٌ النهارَ" ويتضح السياق الصوتي بالكتابة الصوتية على النحو الآتي :-

sā bi q̇un nin na hā ra / الوصل , sā bi q̇un + an na hā ra / الفصل

وعند مقابلة السياقين في الفصل والوصل نجد ثمة تغيراً مقطعياً قد حدث، إذ انتقل المقطع المتوسط المغلق(q̇un) إلى المقطع القصير المفتوح(q̆u)، وتشكل مقطع جديد متوسط مغلق هو المقطع(**nin**) ،كما تغيرت الحركة(**a**) الفتحة القصيرة ـــ همزة الوصل ـــ في المقطع الأول من الكلمة الثانية إلى كسرة، ويمكن إجمال ما حدث كما يلي :-

(q̇un + an) ⟶ (q̇u + nan) ⟶ (q̆u + nin)

أما سبب تغير الفتحة إلى كسرة (سواء أكانت اللام شمسية أم قمرية)، فهو أنه لما كان التنوين نوناً ساكنة فإن الكسرة أقرب إلى النون من الفتحة؛ إذ الكسرة أمامية والفتحة خلفية. فكان انتقال اللسان من النون إلى الكسرة أقرب وأيسر نطقاً من انتقاله إلى الفتحة، وكذلك الحال مع الضمة. ويبدو تلمس قرب النون الساكنة مع الحركات إذا حاولنا أن ننطق النون ساكنة، ثم نأتي بالحركة بعدها، فنجد التقارب بينها وبين الكسرة والتباعد بينها وبين الفتحة والضمة، وهي مع الضمة أبعد. ولا يخفى أن الأخذ بالقريب وإيثاره على البعيد ضرب من ضروب الاقتصاد اللغوي الذي يمثله التنوين مع اللام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الآية قراءة أخرى وهي: "ولا الليل سابقُ النهارَ"[١]. بنصب كلمة النهار، يقول أبو حيان الأندلسي عنها[٢]: "حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذفوه في (ولا الليل سابقُ النهارَ) في قراءة من نصب، وفي قوله [٣]:ولا "ذاكر اللهَ إلا قليلاً"، وفي قراءة "قل هو الله أحدُ الله الصمد". بغير تنوين وهذا كثير في لسانهم."

وعد الجرمي (٢٢٥هـ) حذف التنوين لالتقاء الساكنين لغة لبعض العرب،[٤].وأجمع النحاة على جواز حذفه؛ لأنه لا يجوز التقاء الساكنين في العربية. يقول ابن الأنباري(٥٧٧هـ)[٥]:

"قوله (ولا الليل سابقُ النهارَ) بنصب النهار، وتقديره: سابقٌ النهارَ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين للإضافة، ولهذا كان النهار منصوباً، كقول الشاعر:

يذهلُ الشيخَ عن بنيهِ وتبدي عن خِدامِ العقيلةُ العذراءُ

أراد عن خدام العقيلة، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ...أراد بشاشةً الوجهُ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين".

وعدّ ابن جني حذف التنوين لالتقاء الساكنين من العامل مع المحافظة على عمله من باب الفصيح الذي يتكلم باللغة وغيره أقوى في القياس منه، يقول [٦]: "حدثنا أبو علي ــ رحمه الله ــ عن أبي بكر عن أبي العباس أن عمارة كان يقرأ "ولا الليل سابقُ النهارَ" بالنصب، قال أبو العباس فقلت له ما أردت؟ فقال سابقٌ النهارَ، فقلت له: فهلا قلته؟ فقال : لو قلته لكان أوزن،

(١) يس ٤٠/٣٦.
(٢) شرح أبي حيان على ألفية ابن مالك، صص٣٠٣.
(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي، انظر ديوانه ص ٥٤. ومعجم شواهد النحو الشعرية، د.حنا حداد ص٥٥٢
(٤) انظر همع الهوامع، السيوطي، ٣٧٢/٣
(٥) البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، ٢٤٥/٢.
(٦) الخصائص، ابن جني، ج١/ ١٢٦، وانظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج١/ ٥٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقوله أوزن أي أقوى وأمكن في النفس، أفلا تراه كيف جنح إلى لغة وغيرها أقوى في نفسه منها".

ويرى الباحث أن هذه الآية ذات خصوصية ولا يغض من وجه قراءتها على نحو ما قرأ به عمارة ما علق به ابن جني وغيره[1]، وذلك أننا لو تأملنا السياق الصوتي للآية الكريمة لوجدنا اجتماع ثلاث نونات فيها، التنوين والنونان المشددتان في كلمة النهار. وهذا الاجتماع هو من قبيل توالي الأمثال الذي سبق الحديث عنه، وقد شكل اجتماعهن صعوبة نطقية، تخلصت اللغة منها بما مارسته من اقتصاد لغوي، تمثل بحذف النون الأولى (نون التنوين) ووصل المقطع الأخير في الكلمة الأولى بالمقطع الأول في الكلمة الثانية، فبعد حذف التنوين سقطت همزة الوصل ثم اتصلت النون الأولى من النون المشددة بالقاف المضمومة لتشكل مقطعاً متوسطاً.

وانطلاقاً من كل ما سبق، فإنه لا يخفى ما يوفره حذف أحد الساكنين من اقتصاد لغوي يفضي إلى السهولة واليسر، لأن محاولة النطق بسياق صوتي فيه ساكنان متتابعان في أثناء الوصل يشكل سياقاً صوتياً يصعب على اللسان الإتيان به. ولا أغالي إن قلت إنه يشكل إعاقة نطقية تتعثر معها العملية الأدائية، الأمر الذي يدل على أهمية الحركة بين الصوامت من جهة ودقة طرق مصطلح الحركة من جهة أخرى، وهو ما سنتبينه في الفصل القادم إن شاء الله. وبالتخلص من سياق التقاء الصامتين المفترض حقق المتكلم اقتصاداً لغويا في نطقه؛ لأنه بذلك وازن بين استخدامه للصامت والحركة، دون إجحاف بحق أحدهما، ولم يحتج مجهوداً كبيراً في نطق سياق مقيد، ولم يتكلف جهداً عظيماً.

---

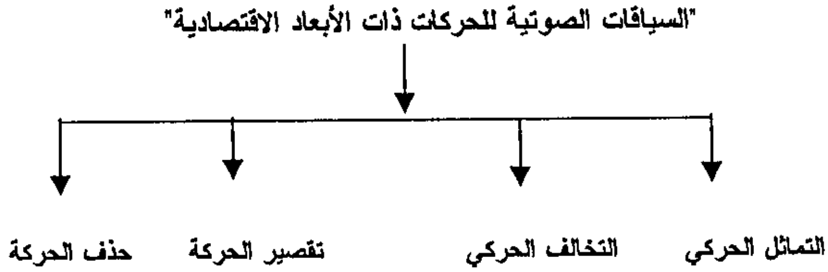
(1) انظر التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ٢/١٠٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية للحركات وأشباه الحركات في العربية :-

أولاً: الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية للحركات في العربية

يمكن استجلاء الاقتصاد اللغوي في حركات العربية باستكناه ما في إنتاج الحركات من مسائل ذات أبعاد اقتصادية. ويبدو لي أن تتبع هذه الأبعاد يكشف عن جملة من الظواهر التي يمكن تمثيلها على النحو الآتي :-



أ- الاقتصاد اللغوي في ظاهرة التماثل الحركي

يبدو التماثل الحركي في مظاهر مختلفة أهمها الإمالة و الإتباع.

١٠ **الإمالة:**

يقول السيوطي[١]: "قال الداني: الفتح والإمالة لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس". فما حقيقة الإمالة التي تحدث عنها السيوطي؟ يقول ابن الجزري[٢]:

"والفتح هنا عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر يقال له التفخيم وربما قيل له النصب......والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء".

---

(١) **الإتقان في علوم القرآن**، السيوطي، ج١/ ١٩٨.

(٢) **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري ج٢/ ص٢٩،وانظر **الأصول في النحو**، ابن السراج، وإليه ذهب ابن عصفور في **المقرب**، ص٣٢٠، وأبو حيان الأندلسي في **ارتشاف الضرب**، ج١/ ٢٣٨، وابن مالك في **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، ص ٣٢٥. وكذلك العلامة الدمياطي"البناء" **في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** ،ص١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرفها ابن الحاجب ووافقه الرضي فقال[1]:

"الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء... وإنما لم يقل: ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، لأن الإمالة على ثلاثة أنواع: إمالة فتحة قبل الألف إلى الكسرة، فيميل الألف نحو الياء، وإمالة فتحة قبل الهاء إلى الكسرة، كما في رحمة، وإمالة فتحة قبل الراء إليها...فإمالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة، ويلزم من إمالة فتحة الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء، لأن الألف المحض لا يكون إلا بعد الفتح المحض."

وعرفها المبرد بقوله[2]: "هذا باب الإمالة وهو أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعلة تدعو إليه...". ولم يقل وبالفتحة نحو الكسرة."

ولكن العرف اللغوي الحديث يعد الإمالة ظاهرة من ظواهر المماثلة، وتعني المماثلة أن صوتاً من الأصوات في كلمة أو ما يشبه الكلمة، أثّر في صوت آخر في نفس الكلمة، فجعل نطقه قريباً من نطقه، أي أنه جعل نطقه مماثلاً لنطقه[3].

والثابت في العرف اللغوي الحديث أيضاً أن الألف نفسها هي الحركة، وهي فتحة طويلة فلا حركة قبلها، علماً بأن من المتقدمين من أدرك حقيقة الألف هذه، كسيبويه وابن جني، ولكن ما معنى أن تنحو بالألف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة؟

يقول الرضي[4]: "أقول ينحى بالفتحة أي: تمال الفتحة نحو الكسرة أي: جانب الكسرة، ونحو الشيء ناحيته وجهته ، و"ينحى" مسند إلى "نحو" ومعناه: يقصد".

---

(1) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي، ج٣/ ص ٤.

(2) **المقتضب**، المبرد، ج٣/ ص ٤٢.

(3) انظر :**علم اللغة العربية**، محمود فهمي حجازي ص٢٢٦

(4) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي، ج٣/ ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجيب ابن الجزري نفسه عن ذلك بقوله[١]: "....فإن الإمالة تصير الحرف بين حرفين بمعنى أن الألف الممالة بين الألف الخالصة والياء، وكذلك الفتحة الممالة بين الفتحة الخالصة والكسرة".

وتبدو مبادئ الاقتصاد اللغوي في الإمالة فيما تحققه هذه الظاهرة، في ما عبر عنه المتقدمون بالمناسبة، وهي رديف الانسجام والتماثل، يقول ابن الجزري[٢]:

"فأما المناسبة فقسم واحد، وهو فيما أميل لسبب موجود في اللفظ، وفيما أميل لإمالة غيره فأرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال،... وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال...".

ويقول الرضى موضحاً سبب الإمالة[٣]:

":وسبب الإمالة إما قصد مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التي قبلها كعماد، أو بعدها كعالم، أو لصوت نطقك بياء قبلها كسيال وشيبان، أو قصد مناسبة فاصلة لفاصلة ممالة، أو قصد مناسبة إمالة لإمالة قبل الفتحة، أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف."

إن هذه المناسبة التي أشار إليها الرضي هي في الحقيقة انسجام في إيقاعات النص، وهذه المناسبة تذكرنا بتحقيق التوازن في السياق الصوتي، كما تحقق السهولة والخفة؛ إذ يعمل اللسان بها من وجه واحد، فالإمالة وخفض اللسان أخف على اللسان من الفتح والارتفاع كما

---

(١) **النشر**، ابن الجزري، ج٢/ ص٣٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ج٢/ ص٣٥.

(٣) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي، ج٣/ ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر ابن الجزري، ولذلك حسنت الإمالة إذا كان في السياق أكثر من ياء أو كسرة، أو إذا اقتربت الياء أو الكسرة من الألف أو الفتحة. يقول المبرد[1]:

"فكل ما كانت الياء أقرب إلى ألفه أو الكسرة فالإمالة له ألزم، والنصب فيه جائز، وكل ما كثرت فيه الياءات أو الكسرات فالإمالة فيه أحسن من النصب".

ومن باب التوازن في السياق الصوتي ما عبر عنه القدماء بالإمالة للإمالة، كالإمالة في قوله تعالى:"والضحى ... ماودعك ربك وما قلى". [2] " يقول الرضي[3]:

"اعلم أن الإمالة في الفواصل هي في الحقيقة إمالة للإمالة أيضاً، وذلك لأنه يمال الضحى لإمالة قلى، لتناسب رؤوس الآي، ويقول في موضع آخر [4]:

"تمال فتحة في كلمة لإمالة مثل تلك الفتحة في نظير تلك الكلمة في الفواصل، كقوله تعالى: "والضحى"، أميل ليزاوج (قلى)، وسهّل ذلك كونه في أواخر الكلام ومواضع الوقف".

وفي مزاوجة "الضحى" لـ "قلى" في الإمالة توزيع إيقاعي تتلاءم فيه فواصل الآي على نسق واحد، كذلك يسهل على اللسان الآيتان باللفظتين ممالتين بيسر وخفة.

وإذا كان ابن الجزري قد عبر عن الإمالة بالانحدار والفتح بالارتفاع، وأن الانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فإن الدرس اللغوي الحديث يجلو هذه الحقيقة بمعطياته الحديثة. يقول محمود فهمي حجازي [5]: "هذا وقد علل سيبويه ظاهرة الإمالة بالتماس الخفة، وهذا الرأي هو السائد في علم اللغة إلى عهد قريب...".

---

(1) **المقتضب**، المبرد، ج٣/ ص٤٢.

(2) **الضحى**، ٩٣/١

(3) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي، ج٣/ ص١٣.

(4) **المصدر نفسه**، ج٣/ص١٤.

(5) **علم اللغة العربية**، محمود فهمي حجازي، ص ٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يعني ميل القراء إلى الإمالة تجاوز الحد المرسوم في هذه الظاهرة، فلا بد من مراعاة الاقتصاد في الإمالة أيضاً. يقول علي محمد الضباع [1]:

"الفتح: عبارة عن فتح القارئ فاه بلفظ الحرف أي الألف .... وينقسم إلى فتح شديد ومتوسط، فالشديد هو نهاية فتح الفم بالحرف، ويحرم في القرآن وليس من لغة العرب. والإمالة ...تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالص، ولا إشباع مبالغ فيه".

ويحدثنا بروكلمان عن ظاهرة يمكن تصنيفها في نطاق ما بعد الإمالة، يقول[2]:

"في كثير من اللهجات العربية تتحول الفتحة الطويلة (aa) إذا لم تبق بسبب الهمز أو أصوات الحلق إلى(ee) الكسرة الطويلة الممالة، ومنها في شمال أفريقيا الغربي إلى كسرة طويلة خالصة (ii) وذلك بتأثير الكسرة القصيرة الخالصة (i) التي بعدها ... "

ويفهم من نص بروكلمان أن الإمالة مرحلة وسطى في انتقال الحركة الطويلة (aa) إلى (ii) ،بمعنى أنها مرت بالمراحل التالية: aa ←—— ee ←—— ii .ولكن هذا الانتقال محظور في الفصحى كما نوه إليه علماء القراءة والتجويد.

وانطلاقاً مما سبق لا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه بعض الباحثين الذين عدوا الإمالة تحولاً إلى الكسر، يقول حازم علي كمال الدين[3]:

"ويتضح من الأمثلة التي أوردها اللغويون- يعني القدماء، أن الإمالة تعني: تحول الفتحة القصيرة، إلى كسرة قصيرة، وتحول الفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة". إن إمالة الفتحة لا تعني تحويلها إلى كسرة، بل إن الفتحة القصيرة الممالة حركةٌ لها موقعها وشكلها الذي يختلف عن الكسرة القصيرة في سلم درجات الحركات، وكذلك الألف-الفتحة الطويلة.

---

(1) **الإضاءة في بيان أصول القراءة**،علي محمد الضباع، ص ٣٥.

(2) **فقه اللغات السامية**، كارل بروكلمان، ص٦٤

(3) **دراسة في علم الأصوات**، حازم علي كمال الدين، ص١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلحظ من سياقات الإمالة في العربية أنها تغلب إذا كانت الكسرة أو الياء سابقة على الفتحة أو الألف، وأن أغلب السياقات التي تمال فيها الألف هي السياقات التي تقع فيها الألف آخراً، إذ بلغت تسعة سياقات أو تقع الألف قبل الحرف الأخير، وبلغت تسعة سياقات أيضاً، ليكون مجموع ما ترد فيه الإمالة في الطرف ثمانية عشر سياقاً من بين عشرين سياقاً هي مجموع سياقات الإمالة التي ذكرها علماء اللغة[1].

ولظهور الإمالة في الآخر قيمة لحنية، فالإمالة من لحون العرب، وبها يترنمون، لاسيما عند اختتام كلامهم. وعلى هذا أحمل الإمالة في قوله تعالى: " قال يا بشرى هذا غلام"[2] بإمالة بشرى، فقد أمالها لما امتلأت نفسه فرحا بما وجد، ويكفي قوله بشرى تعبيراً عن هذا الفرح، فلذلك أمالها! ومن لحونهم في ختم الكلام ترنمهم بالتنوين، ومثله حروف المد كألف الإطلاق، يقول الزركشي[3]:

"قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين، وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب... قال سيبويه: أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء؛ لأنهم أرادوا مد الصوت."

ولذلك لا يأبه العرب في إمالة الألف إذا كانت لاماً سواء أكانت يائية الأصل أو واوية، يقول القاسم بن محمد المؤدب(٣٠٤هـ)[4]:

"وإذا كانت الألف لام الفعل في الفعل، فإن الإمالة وتركها مطرد في الواو والياء جميعا، وذلك قوله: "والقمر إذا تلاها... والسماء وما بناها، والارض وما طحاها"."

---

(١) للتعرف على هذه المواضع، انظر: **الإمالة في القراءات واللهجات**، عبد الفتاح شلبي.

(٢) **يوسف** ١٢/١٩

(٣) **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، ج١/٩٩

(٤) **دقائق التصريف**، القاسم بن محمد المؤدب، ص٥٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى الباحث أن الاقتصاد اللغوي يبدو في إمالة الألف أو الفتحة الواقعة قبل الهاء كما في كتابيه ورحمه فتاه... في بعدين: أحدهما تحقيق السهولة النطقية وبذل الجهد الأدنى، من خلال التقريب الحاصل بين ما في السياق الصوتي من كسر أو ياء وبين الألف والفتحة. والآخر: تحقيق تلك السهولة والتخلص من التنافر في العملية النطقية، من خلال المخالفة بين الألف والهاء التي بعده، وذلك بإمالة الألف نحو الياء لما بين الألف والهاء من قرب في المخرج والصفة، وكذلك الحال في الفتحة. والأمر نفسه يقال إذا جاءت الهاء قبل الألف نحو يضربها، يكيلها، بيتها، ملهى...

أما إمالة فتحة حرف المضارعة فيرى الباحث أنها جرت أول ما جرت في الفعل المضارع بصيغة يَفْعَل، إذ أميلت الفتحة مع حرف المضارعة الياء، ثم جاء القياس وطرد الباب على وتيرة واحدة، لتحمل بقية حروف المضارعة على الياء. وهذا الصنيع يذكرنا بمبدأ سلامة التخطيط الذي يعد ركيزة من ركائز الاقتصاد اللغوي، وبه تتساوى وتتساوق محدثات الظاهرة على مفرداتها المتشابهة، لتبدو معها قيم الانسجام والتناسق.

إذا كان الاقتصاد اللغوي في ظاهرة الإمالة يحقق الخفة والسهولة النطقية، فإن ذلك يبدو جلياً في إمالة ما كثر استعماله في اللغة، كإمالة: "الناس" التي عزا كثير من المتقدمين والمحدثين سبب إمالتها إلى كثرة الاستعمال، بل جعلوا كثرة الاستعمال سبباً من أسباب الأخذ بهذه الظاهرة، يقول أبو حيان الأندلسي[١]:

"السبب السابع من أسباب الإمالة كثرة الاستعمال، وذلك إمالتهم "الحجاج" علماً في الرفع والنصب وكذلك "العجاج" في الرفع والنصب... وإمالتهم "الناس" في الرفع والنصب، ورويت الإمالة فيه مطلقاً عن أبي عمرو والكسائي".

---

[١] **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، أبو حيان الأندلسي، ج١، ص٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا أردنا التعرف على طبيعة الجهد المبذول في العملية النطقية عند النطق بـــالألف أو الفتحة ممالتين، ومقارنة ذلك بالنطق بهما غير ممالتين، فيجدر التعرف على وضع اللسان فـــي أثناء النطق بالحركات عامة، وبهاتين الحركتين خاصة، فقد لوحظ أن الحركة(a) تنتقـــل عنـــد الإمالة إلى وضع في سلم الحركات موقغيته بين الحركتين (I , a).

ويتضح من هذه الموقعية بين الحركتين (I , a) أن وضع اللسان يتقدم بشكل منخفض مع الإمالة بالنسبة للحنك الأعلى، لأن اتجاه الإمالة يكون من الحركة(a) باتجاه الحركة(I) وهو ما عبر عنه القدماء بالانخفاض مع الإمالة والارتفاع مع الفتح، وجعلوا انخفاض اللسان أسهل عليهم من ارتفاعه.

ولا يفهم من ذلك أن الكسر أخف من الفتح؛ لأن الإمالة تنحية نحو الكسر لا الكسر. فهي حركة وسطى بين الكسر والفتح تحقق التقريب والمماثلة.

وكما أن الأخذ بالإمالة تقريب وخفة، فإن تركها أحياناً يحقق الغاية نفسها، يقـــول ابـــن السراج (٣١٦هـ)[١]:

"ذكر ما يمنع الألف من الإمالة: الحروف المستعلية التي تمنع الإمالة ســـبعة أحـــرف: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء، إذا كان حرف منها قبل الألف، والألـــف تليه، وذلك قولك: قاعد، غائب، خامد، صاعد،... ."

إن منع الإمالة الذي تحدث عنه ابن السراج يكشف عن الطبيعة التنافرية بين أصـــوات الاستعلاء التي تستدعي ارتفاع السان عند النطق بها، والتنحية نحو الكسر والياء التي تســـتدعي انخفاض اللسان وتقدمه.

---

[١] **الأصول في النحو**، ابن السراج، ج٣/ ص ١٦٣-١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا محاولة لتفسير كيفية توظيف كثرة الاستخدام في إحداث هذه الظاهرة، وهو ما سأحاول تفصيل الحديث فيه.

إذا صح أن كثرة المزاولة أو الاستعمال قد جعلت الذهن مطبوعاً بما تم مزاولته، كتكرار أحدهم لكلمة أو جملة في أثناء حديثه، فإن هذا الطابع الذهني يكتسب قوة لما استغله من مساحة ذهنية لدى المتكلم. وهذه القوة تحدث تأثيراً ذا سمة يحددها المؤثر. ويبدو هذا التأثير في إطلاق الطابع الذهني، ثم تكراره إذا تهيأت الظروف اللازمة لإنتاجه، حتى لو لم يكن هذا الطابع الذهني مطلوباً أو مناسباً. بمعنى أن الذي قال: الحمدُ ُلله، نطق بالضم على أصله، ولما كان الضم قد اكتسب سمة الطابع الذهني، بسبب كثرته في كلامه، فإن نطقه بالضم في "الحمد" قد استدعى هذا الطابع، فلما انتقل لينطق حركة اللام في "لله" كان حضور الطابع الذهني ما يزال قوياً، لدرجة أنه أعاد نطقه في مقام تهيأت فيه ظروف النطق بالضم، وهذه الظروف هي ظروف إعداد الحركة للّام في لفظ الجلالة.

وانطلاقاً مما سبق فإن الاتباع الحركي هو أن نتبع الحركة نفسها، لا أن نتبعها حركة أخرى، بمعنى أن الضمة في (الحمُد) تكررت في لام لفظ الجلالة، وليس أن كسرة اللام أتبعت ضمة الدال فصارت مثلها. فتكرار الحركة الأولى يختلف عن تحول الثانية إلى الأولى. ويبدو الاقتصاد اللغوي وفق هذا التصور في استثمار الحركة الواحدة وتوظيفها مرة أخرى، بالإضافة إلى الاستغناء عن اللجوء إلى استخدام حركات مجتلبة، وهو اقتصاد يحقق سرعة أدائية، لأن ما كثُر استعماله لزم فيه السهولة والسرعة.

والقول ذاته يقال عند الذين قالوا: "الحمدِ لله ". إذ جعلت كثرة الاستعمال الكسر طابعاً ذهنيا مميزاً، فلما نطقوا بالحمد، كان الناطق منهم قد تهيأ للنطق بالكسر على أصله في لام لفظ الجلالة لحظة نطقه بالدال. ولقوة هذا الطابع في الذهن وقع تأثيره، فكسرت الدال. وهذا التهيؤ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكرنا بما يردده علماء الأصوات عن النطق المتوازي في الأداء، حيث تتآزر أعضاء النطـــق فيما بينها لإنتاج السياق الصوتي، فعندما تنطق كلمة (أنثى) مثلاً، فإننا لحظة النطق بالنون تكون أعضاء النطق قد تهيأت للنطق بالثاء.

وغني عن القول أن الظروف النطقية قد تهيأت لنطق اللام، عند نطق الدال المكســـورة في قراءة "الحمدِ لله"، فلما أوشك الناطق على تحريك اللام، كان الكسر الذي هو أصل حركة في اللام متسحضراً ، فوافق هذا الأصل ما في الطابع الذهني، حيث الكسر مختاراً، ليكـــون هـــذا الطابع ذا حضور ماثل فينطق به وإن لم يكن المقام مقامه.

وبناء على ذلك لم تتبع ضمة الدال كسرة اللام، بل استدعيت الكسرة لتنطق مرتين، مرَّة بسبب الطابع الذهني لها وتهيؤ ظروف النطق بها، ومرّة على أصلها. ولا غرابة في أن يتبـــع الأول الثاني في قراءة "الحمد لله" لما سبق الحديث عنه من النطق التآزري في إنتاج الأصـــوات اللغوية.

أما أهم مظاهر الاتباع الحركي في العربية فيمكن تصورها في المظاهر الآتية:

- <u>اتباع همزة الوصل</u>

٦٠٦٥٥٨

سبق الحديث عن ميل الإنسان في نطقه إلى بذل الجهد الأدنى، وإيثار الناطق السهولة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. فإذا كانت صوامت العربية قد حرّمت تلاقي بعض أخواتها فلا تجد سيناً وثاءً ولا ضاداً وزاياً، فإن الحركات لا تتلاقى كما هو معلوم، ولكن تعقب الحركة الصامت مـــن أجال أن ينتقل المتكلم إلى صامت آخر متحرك. وهذا التعاقب منه ما يسهل على الجهاز النطقـــي فلا يستدعي مزيداً من الجهد، ومنه ما يصعب عليه ويثقل، كالانتقال من كسر إلى ضم مثلاً، أو من ضم إلى كسر... ولعل خير وسيلة لبيان هذا البعد الفسيولوجي في بحث الاقتصاد اللغوي في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التماثل الحركي ــ ما يقال في إتباع همزة الوصل لحركة عين الفعل، فإذا كان الأصل في همزة الوصل الكسر، فإن هذا الكسر يشكل سياقاً صوتياً صعباً إذا كانت عين الفعل مضمومة.

يقول أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) [١]:

"وذهب البصريون إلى أن الأصل في همزة الوصل أن تكون متحركة مكسورة، وإنما تضم في نحو (أدْخُل) ونحوه لئلا يخرج من كسر إلى ضم، لأن ذلك مستثقل، ولهذا ليس في كلامهم شيء على وزن فِعُل بكسر الفاء وضم العين".

ويتضح هذا الثقل من أن الكسر حركة أمامية متقدمة يتقدم معها اللسان نحو الحنك، والضم حركة خلفية يتراجع معها اللسان عن الحنك، فإذا انتقل المتكلم من كسر إلى ضم كان قد انتقل من حركة متقدمة أمامية إلى حركة خلفية متراجعة، وهذا يستدعي جهداً عضلياً يشكل عبئاً على أعضاء النطق. يقول بدر الدين العيني(٨٥٥هـ)[٢]:

"ومن أجل ثقل الخروج من الكسرة إلى الضمة ومن الضمة إلى الكسرة، لا تجيء لغة على زنة فِعُل بكسر الفاء وضم العين، وفُعِل بضم الفاء وكسر العين إلا اسمان نادران وهما حبُك ودُئِل."

ومن أجل ذلك نزعت اللغة إلى توفير في الجهد المبذول، وإلى تحقيق سهولة نطقية بأن حُركت همزة الوصل بالضم في السياقات التي تكون فيها عين الكلمة مضمومة، يقول ابن جني في قوله تعالى:" والسماء ذات الحُبُك"[٣]:

---

[١] **الإنصاف في مسائل الخلاف**، أبو البركات الأنباري، ج٢، ص٧٣٧.

[٢] **شرح المراح في التصريف**، العيني ص٢٠١

[٣] **المحتسب**، ابن جني ابن جني، ج٢/ ص ٣٣٨، والآية من سورة **الذاريات** ٥١/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وأما (الحِبُك) بكسر الحاء وضم الباء فأحسبه سهواً، وذلك أنه ليس في كلامهم (فِعُــل) أصلاً بكسر الفاء وضم العين، أو لعل الذي قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضم، فكأنـه كسر الحاء يريد (الحِبِك) و أدركه ضم الباء على صورة (الحُبُك)".

وأحسب ابن جني رحمه الله لم يحمل على هاتين القراءتين ومن قرأ بهما إلا لما وجـد فيهما من ثقل وصعوبة، فمن قرأ (الحِبِك) و(الحمدِ لِلِه) بذل مزيداً من الجهد لنطقه بالكسـرتين، ولكنه حقق اقتصاداً لغوياً في إعمال اللسان من وجه واحد، إذ بقي اللسان على وضعية الحركـة التي عمل فيها أولاً، وهي الحركة الأمامية المتقدمة التي ينخفض معها اللسان باتجـاه الحنـك، ليصل إلى سياق صوتي تبدو فيه السهولة النطقية، ووفرة الانتقال إلى حركة أخرى يتخذ معـها اللسان شكلاً جديداً، وهذا ما لم يكن في قراءة من قرأ: الحِبُك.

ومن قبيل هذا الباب ما يقوله أبو حيان الأندلسي في قراءة قوله تعالى: "ولقد اسـتهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون"، يقول[١]:

"وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة بكسر دال (ولقدِ استهزئ) على أصل التقاء السـاكنين، وقرأ باقي السبعة بالضم إتباعاً ومراعاة لضم التاء، إذ الحاجز بينهما ساكن وهو حـاجز غـير حصين".

فالذين قرأوا بالإتباع بذلوا جهداً نطقياً أكثر من الذين قـرأوا بكسـر الـدال. غـير أن الاقتصاد اللغوي يبدو من خلال إعمال اللسان من وجه واحد، واستغلال الحركة الواحدة (الضم) وتوزيعها في سياق الآية الصوتي، وإن كانت بالضم أصعب منها بالكسر. وثمة مداخلـة علـى رأي أبي حيان في ضم دال (لقد) إذ عدّها من باب الاتباع لضمة التاء في (اسـتهزئ). والـذي أراه أن بين دال (لقد) وتاء (استهزئ) فاصلين يحولان دون قيام هذه المتابعة. ولكن هذا لا يعني

---

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، ج٤/٨٥، الآية من سورة **الأنعام** ٦/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطلان الإتباع في هذه القراءة، فالإتباع موجود، ولكن بصورة أخرى، وهي أن الدال تحركت بهمزة الوصل. وهذا يدفعنا لمعرفة حقيقة همزة الوصل في اللغة إذ لا تعدو هذه الهمزة أن تكون حركة خالصة. يقول الدكتور سمير استيتية(١):

"والذي نود أن نؤكده هنا أن همزة الوصل لا تضم ولا تكسر، وذلك بخلاف ما هو مفهوم من قول ابن يعيش "وحكمها أن تكون مكسورة"، الهمزة التي للوصل هي نفسها ضمة أو كسرة، والضمة لا تضم، والكسرة لا تكسر".

ولقائل أن يقول: إن همزة الوصل تسقط في الدرج فكيف يتم الاتباع؟ والجواب عن ذلك يكمن في إعادة النظر في حقيقة همزة الوصل التي تنبئ عن أنها حركة خالصة، فإن وصلت ما قبلها بما بعدها حرك ما قبلها بها فقيل: (منِ ابنك) بكسر نون (من)، و (منَ الرجل) بفتح نون (من) لأن النون اتخذت همزة الوصل "الكسرة" في الجملة الأولى واتخذت همزة الوصل "الفتحة" في الجملة الثانية.

فإن قيل: ما الرأي في فعلتِ البنت؟ لم تفعلِ البنت؟ لِمَ لم تحرك التاء والعين بالفتح على اعتبار همزة الوصل ههنا حركة إذ هي فتحة في أل التعريف؟.

الجواب عن ذلك أنه مع تاء التأنيث لو تحركت بالفتح (همزة أل التعريف) يتوالى أربعة مقاطع، ثلاثة قصيرة حركتها الفتحة، والرابع متوسط حركته الفتح أيضاً، فخولف بين توالي الفتحات بالكسر. بمعنى أنه لو حركت تاء التأنيث بالفتح مع أل التعريف لقيل: فَعَلَتَ البنت، وهذه المقاطع ذات الحركات المتماثلة تجعل من المقطع الأخير ذا ثقل بيّن، فيخالف بينه وبين ما سبقه، فيغير الفتح إلى الكسر. أما الفعل المضارع الصحيح الآخر المجزوم فقد حرك بهمزة الوصل في أل التعريف أي حرك بالفتح، وتذكر كتب اللغة أن من العرب من يقول: لم يذهبَ

---

(١) **الأصوات اللغوية**، د. سمير استيتية، ص ٣٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرجل، فليس الأمر على النصب بلم، وإنما على التحريك بهمزة الوصل التي هي فتحة هـــهنا، وربما كان من ذلك ما يقوله أبو حيان الأندلسي عن قراءة قوله تعالى: "المَ الله". يقول[١]:

"قرأ السبعة: "المَ الله" بفتح الميم وألف الوصل ساقطة، وروى أبو بكر في بعض طرقــه عن عاصم سكون الميم وقطع الألف، والصواب الفتح، قراءة جمهور الناس."

وإذا كان كثير من اللغويين قد عدّ "لم يذهبَ الرجل" من قبيل النصب بلم. فــإن الــذي أميل إليه أن ثمة تطوراً صوتياً طرأ على هذا السياق؛ فقد حركت الباء بالفتح "همزة الوصــل"، ومن حركها بالكسر أحدث مخالفة في المضارع المبدوء بالياء، إذ تتوالى حركات الفتــح فــي مقاطعه، ثم حملت عليه حروف المضارعة الأخرى. وربما كان قريباً من ذلك ما ذهــب إليــه أحمد علم الدين الجندي في قراءة قوله تعالى: "ألم نشرحَ لك صدرك" يقول[٢]:

"والحق أن لم جازمة غير ناصبة (رداً على القائلين بالنصب بلم)، وأن الفتحة على الحاء في الآية إنما جاءت اتباعاً لحركة الراء قبلها، أو لحركة اللام بعدها، ثم إن الحاء من حــروف الحلق، وهي تؤثر الفتح".

ويبدو الاقتصاد اللغوي في هذه القراءة بما آل إليه النطق من الجهد الأدنى، بالإضافــة إلى عمل اللسان من وجه واحد، واستغلال الحركة نفسها في السياق، بالإضافة إلى اختيار الفتـح لتسهيل نطق الصوت الحلقي (ح)، إذ تعد الأصوات الحلقية أصعب من غيرها نطقــاً وتســتلزم جهداً أكبر والفتح أخف الحركات.

إذاً فهمزة الوصل في (استهزئ) هي ضمة تبعت حركة التاء، ثم حركت دال لقد بــهمزة الوصل (الضمة الأولى). ولكن كثيراً ما ينجم الإتباع الحركي عن اقتصاد في الجهد المبذول في

---

(١) **البحر المحيط**، أبو حيان ٣٩٢/٢ وانظر ٣٨٩/٢-٣٩١ والآية من سورة آل عمران ١/٣

(٢) **اللهجات العربية في التراث**، أحمد الجندي، ص ١٧. والآية من سورة: **الانشراح** ١/٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العملية النطقية، لا سيما في السياقات التي يكون الاتباع الحركي مسؤولا عن الخفة والمناسبة وتحقيق الانسجام. يقول أحمد عفيفي[١]:

"والتتابع الحركي ينتج عنه خفة ملحوظة، لأنه يقوم على الاقتصاد في الجهد العضلي، وتلك نظرية لا ينكرها علم اللغة الحديث".

إن الانسجام في إتباع همزة الوصل لحركة عين الفعل المضمومة يحقق انسجاما في بنية الكلمة، وبذلك تكون ظاهرة الاتباع الحركي في اللغة مفضية إلى الانسجام الصوتي في السياق، يقول خليل عطية[٢]:

"والانسجام الصوتي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين هذه الحركات لئلا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح فيما توالى من الحركات".

- <u>اتباع حركة هاء الضمير</u>

ومن باب الاتباع الحركي في العربية ما يلحظ من تحريك هاء الضمير بحركة مماثلة للحركة السابقة له، يقول سيبويه عن كسر هاء الضمير[٣]:

"هذا باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار: اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو، لأنها في الكلام كله هكذا، ... فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة..... فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء .... وذلك قولك : مررت بهي قبل، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبل. وأهل الحجاز يقولون : مررت بهو قبل، ولديهو مال، ويقولون : "فخسفنا بهو وبدارهو الأرض."

---

[١] **<u>ظاهرة التخفيف في النحو العربي</u>**، أحمد عفيفي، ص ١٥١.

[٢] **<u>في البحث الصوتي عند العرب</u>**، خليل عطية، ص ٧١.

[٣] **<u>الكتاب</u>**، سيبويه، ج٤، ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الباحث أن الأصل في هاء الضمير هو الضم بدليل قولنا: هو، هم، ضربه، كتابه بيد أن هذا الضمير إذا سبق بكسرة طويلة أو قصيرة، فإن ضربا من التماثل والانسجام الحركي يتم بين حركته والكسرة التي تسبقه، فيحرك الضمير بالكسر، ليقال: به، إليه، عليه، فيهم... في حين إذا لم يسبق بالكسر بقي على أصله المبني على الضم نحو: منه، له، لولاه... أما ما روي عن قراءة (به وبداره) و(عليه)... فإن تعليل ما تم فيها يمكن تصوره على النحو الآتي:

أصل حركة الضمير الضم في:"هو huwa ويسمع عند الوقف: هو hu إذ يسقط شبه الحركة (w) وتلتقي الحركتان (ua) لتنتج عنهما حركة طويلة هي :(u) وهذا الشكل الأخير هو صورة الضمير في القراءة "به وبداره". بمعنى أن الضمير مر بالمراحل الآتية:

huwa ⟶ hua ⟶ hu ⟶(hū)

وهذه الصورة الأخيرة إذا سبقها كسرة طويلة أو قصيرة عاملها العرب بإحدى طريقتين:

أولاهما إحداث مماثلة بين الكسرة والضمة حيث تماثل الثانية الأولى كما يلي:

bi + hu ⟶ bihī

وقوى من إجراء هذه المماثلة أن الهاء حاجز غير حصين لما فيها من الضعف والخفاء.

وثانيتهما أن تبقى الصيغة على أصلها أي قبل تطورها إلى المماثلة وهذه القراءة شاهد على تلك المرحلة الأصل.

فالخفة كما أشار سيبويه هي المسؤولة عن إتباع حركة الضمير للحركة التي قبلها، وهي خفة تبدو فيها السهولة النطقية وتوفير في الجهد المبذول. ويلحظ في ظاهرة الاتباع الحركي في العربية أنها تسير من الأمام إلى الخلف نحو (الحمد لله)، أو من الخلف أو إلى الأمام نحو (الحمد لله)، (انظر)، به...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيبويه [1]:

"وقال الناس من بكر بن وائل : من أحلامِكِمْ، وبِكِمْ، شبهوها بالهاء لأنها علم إضمار وقد وقعت بعد الكسرة، فأتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر، وهي رديئة جداً، سمعنا أهل هذه اللغة يقولون : قال الحطيئة :

وإنْ قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ مِنَ الدهر رُدّوا فضلَ أحلامِكِمْ رَدّوا ."

مما سبق يتبين أن ظاهرة الاتباع الحركي من قبيل التماثل التام بين الحركات، وفيها من السهولة النطقية ما يجعلها وسيلة مثلى يختارها الناطق لتحقيق غايته، وليس يصحب هذه الظاهرة بذل الجهد الأدنى بالضرورة: فقد مر بنا ثلاث قراءات في قوله تعالى: " الحمد لله" وست قراءات في قوله تعالى: "والسماء ذات الحبك". منها ثلاث قراءات اتباعية في الثانية، (الحَبَك، الحُبُك، الحِبِك)، وقراءتان إتباعيتان في الأولى (الحمدُ لُله، الحمدِ لِله).

ومن مظاهر الإتباع الحركي التي تبدو فيها قيم الاقتصاد اللغوي ما نلحظه من حركات بنائية في اللغة، فهذه المبنيات اتخذت لنفسها حركة ارتضت بها حتى لازمتها. وما كان هذا اللزوم إلا بعد تحقيق المتطلبات اللغوية الاقتصادية، ومن ذلك ما يرويه المرادي(٧٤٩هـ) من لغتين في (منذ)، يقول [2]: "واختلف في (منذ) فقال البصريون بسيطة، وقال الكوفيون مركبة، ثم اختلفوا، فقال الفراء أصلها (من ذو) من الجارة وذو الطائية... والصحيح مذهب البصريين، وفيها لغتان: ضم الميم وهي الفصحى وكسرها وهي لغة سليم".

---

[1] **الكتاب**، سيبويه، ج١٩٧/٤. وانظر **شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف**، أحمد بن علي بن مسعود، الشرح الأول للمولى شمس الدين أحمد، المعروف بديكنقوز، أحد علماء القرن التاسع الهجري، والثاني: **الفلاح شرح المراح**، لشمس الدين أحمد بن سليمان المشهور بان كمال باشا ص٣٨. والبيت للحطيئة، انظر ديوانه بشرح ابن السكيت ص٦٦، وانظر **معجم شواهد النحو الشعرية**، د.حنا حداد، ص٣٣١ شاهد رقم٥٧٤

[2] **الجنى الداني**، المرادي، ص ٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الباحث أن الاقتصاد اللغوي هو المسؤول عمّا جرى في (منذ)؛ فأصلها كما حكى الفراء (مِنْ ذو)، ثم ضمت ميم (من) اتباعاً للضمة الطويلة في (ذو) فصارت: (مُنذو) ثم قصرت الحركة الطويلة (الضمة الطويلة) في (ذو) لتصبح الكلمة (مُنْذُ). وأصاب الكلمة اقتصاد آخر تمثل في سقوط النون لسكونها وإخفائها. ولا شك أن كثرة الاستعمال ساعدت على ذلك لا سيما أن بين النون والذال تقارب في المخرج والصفات مما ساعد على إخفائها وضعفها، وأضيف إلى هذا الاقتصاد اقتصاد آخر تمثل في حذف الصائت القصير(الضمة القصيرة) لتصبح الكلمة (مُذْ).

ويمكن تمثيل ذلك كما يلي :-

(مِنْ ذو ـــ مِنْذو ـــ مُنْذو ـــ مُنْذُ ـــ مُذُ ـــ مُذْ)، ويجوز في ذال (مذ) الضم كما يجوز الكسر، غير أن الضم أعرف كما ذهب النحاة.وربما كان مما يؤيد ما قيل عن العلاقة بين منذ ومذ ما قاله المرادي[1]:

"ومذهب الجمهور أن (مذ) محذوفة النون وأصلها (منذ) واستدلوا على ذلك بأوجه، الأول أن (مذ) إذا صغرت يقال فيها (مُنَيذْ) برد النون، والثاني أن ذال(مذ) يجوز فيها الضم والكسر عند ملاقاة ساكن نحو : (مُذِ) اليوم، و(مُذُ) اليوم، والضم أعرف والثالث أن بني غَنِيّ يضمون ذال (مذ) قبل متحرك باعتبار النون المحذوفة لفظاً لا نية".

وبذلك يظهر الاقتصاد اللغوي في (منذ) بتقصير الحركة الطويلة من (منذو) وحذفها من (منذ)، ودمج الكلمتين:(من ذو) في كلمة واحدة، وضم الميم إتباعاً للضم بعدها، وحذف النون في (مذ). ومما يجدر ذكره أن الاتباع الحركي أكثر ما يكون بين الضمة والكسرة إذ تتبع إحداهما الأخرى، وقد مر بنا نماذج من ذلك كقراءة (الحُبُك) و(الحِبِك).

---

(1) **الجنى الداني**، المرادي، ص٣٠٤، وقوله الضم أعرف يؤيد مرور الكلمة بالمرحلة (مُذُ) مقصرة الحركة، ص٣٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- الاقتصاد اللغوي في ظاهرة التخالف الحركي

كما تتماثل الحركات ويقترب بعضها من بعض ويجانس بعضها بعضا، كذلـــك تتخـــالف فيما بينها، والغاية من كلتا الظاهرتين الوصول إلى الاقتصاد اللغوي بمـــا فيـــه مـــن الســـهولة والانسجام.

ثمة ملمح بين ظاهرتي المماثلة والمخالفة في اللغة يتمثل فيما يلحظ من ضبط وموازنـــة، فإذا تمت مماثلة لغوية وتعدت المماثلة حدها، أجرت اللغة حكم المخالفة لإعادة الموازنة والضبـــط في الظاهرة، فإن تجاوزت المخالفة حدها أعملت اللغة المماثلة لتحقيق الغرض نفسه، وما ذلـــك إلا لأن المبالغة في الظاهرتين تؤدي إلى التنافر الذي لا تتوانى اللغة عن التخلـــص منـــه فـــهما ككفتي ميزان داخل السياق، وبهذا التوازن تصل إلى الاقتصاد اللغوي. يقول برتيل مالمبرج [١]:

"إن الميل إلى المماثلة يمكن أن يوصف بأنه قوة سلبية في حياة اللغات، فهو ميـــل إلـــى تقليل الاختلافات بقدر الإمكان بين الوحدات الأصواتية، وواضح أنه لو أتيـــح لـــهذا الاتجـــاه أن يعمل بحرية فينتهي بالفروق بين الوحدات إلى درجة الصفر، وهي فروق ضرورية للفهم الـــذي يعتمد على الاختلافات. ولئن كان تأثير المماثلة يهدد الفروق المهمة فإن ما يحدث غالبا أن اللغـــة تقاوم هذا التهديد بتثبيت الاختلافات الضرورية أو بتأكيد متزايد لشخصية الوحـــدات الأصواتيـــة وتميزها".

وهذا الذي ذكره مالمبرج هو ما عبر عنه الباحث بالتصاعد في المماثلة والمخالفة حتـــى درجة التقارب أو التباين الشديدين، مما يشكل صعوبة وثقلا في النطق. ولا سبيل للتخلص مـــن ذلك إلا بالأخذ بالمخالفة بين المتماثلين، أو المماثلة بين المتخالفين، لنصل إلى مرحلة متوســـطة

---

(١) **علم الأصوات**، برتيل مالمبرج، ص ١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهما هي مرحلة الاقتصاد اللغوي. معنى ذلك أن الاقتصاد اللغوي فيه من المماثلة بقدر ما فيه من المخالفة، وعليه فهو مرحلة ذات بعد وسطي لا تجنح إلى ظاهرة معينة وتبطل الأخرى.

ولكن المخالفة كظاهرة لغوية ليست وليدة السياقات التماثلية التي تصعدت في تماثلها حتى أصبحت كمشي المقيد، أو كرفع القدم ووضعها في حيز واحد، أو كإعادة الحديث مرتين كما وصفها العيني[١]؛ لأنها بقرب تماثلها أو شدة تخالفها تؤدي إلى التنافر الذي يشكل عبئاً نطقياً وثقلاً لغوياً، وقد عبر السيوطي عن هذين الوجهين بما رواه عن أئمة اللغة، يقول [٢]:

"وقال الشيخ بهاء الدين، في عروس الأفراح: قالوا : التنافر يكون إما لتباعد الحروف جداً أو لتقاربها، فإنها كالطفرة والمشي في القيد......".

ويرى الباحث أن ظاهرة التخالف الحركي في السياقات الصوتية العربية تتخذ عدة اتجاهات أهمها :

أولاً:المراوحة النوعية في الحركات الإعرابية :

أعربت العرب كلامها، فرفعت ونصبت وجزمت، وحذفت ومدت.... واستخدمت لذلك حركات قصاراً وطوالاً، ناهيك عن تقصير الحركة الطويلة، ومد الحركة القصيرة أو حذفها. وهذا الرأي نلتمسه بادي الأمر فيما روي عن محمد بن المستنير (قطرب) (٢١١هـ) الذي يقول فيه [٣]:

"وإنما أعربت العرب كلامها، لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، فكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلنا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام. ألا تراهم

(١) انظر : **شرح المراح في التصريف**، بدر الدين العيني، ص١٤٣.
(٢) **المزهر في علوم اللغة**، السيوطي، ج١/ ١٩٣.
(٣) **الأشباه والنظائر**، السيوطي، ج١/ ٩٢،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا نظرنا إلى تعالق الكلم بعضه ببعض، فإن هذا المنحى التركيبي يجعل من علامة الإعراب، ذات قيمة دلالية يعرف بها الفاعل من المفعول مثلاً...، وإذا نظرنا إلى تعالق الأصوات بعضها ببعض وبنائها المقطعي، فإن هذا المنحى الصوتي يجعل من علامة الإعراب ذات قيمة صوتية في درج الكلام ووصله ووقفه.

إن ما يلحظ في تنوع الحركات الإعرابية وانتقالها من رفع إلى نصب إلى جر، يعد ضرباً من التخالف الحركي الذي يجعل السياق الصوتي منسجماً في إيقاعاته، وسهلاً في أدائه، ومتوازناً بين أجزائه. وهو من السعة التي لو لم يفعلوها لضيقوا على أنفسهم كما قال قطرب، وذلك يبدو بما يحققه هذا التخالف من توفير في الجهد المبذول على الناطق، وتخلصه من الرتابة الصوتية، وإعادة اللسان إلى موضعه لو بقي على حركة واحدة.

ليس من نافلة القول إن الحركات الإعرابية لا تتخالف دائماً، بل قد تتوالى متشابهة كما هو الحال في جواز تتابع حركات بنائية من جنس واحد، فإذا كان الحال كذلك فأين التخالف الحركي في مثل هذه السياقات؟

وللإجابة عن هذا السؤال تجدر الإشارة إلى الوجه الآخر من المسألة الذي لا يقل فاعلية ولا أهمية عن التخالف الحركي، وهو التماثل الحركي. فكما تفعل اللغة وسائلها لتحقيق المخالفة بين الحركات في سياق ما، تشطح في سياق آخر لتحقيق التماثل الحركي، وفيصلها في ذلك طبيعة السياق وخصوصيته التي تملي الأخذ بظاهرة وترك أخرى.

ثانيا: التخالف الحركي بين عين الماضي ومضارعه

يقول ابن درستويه (٣٤٧هـ) [1]: "اعلموا أن كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على فَعَلْتُ بفتح العين، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق، فإنه يجوز في مستقبله

(1) **تصحيح الفصيح**، ابن درستويه، ص ١٠٥، وانظر **المنصف**، شرح تصريف المازني، ابن جني، ص ١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفعُل بضم العين ويفعِل بكسرها، كقولنا: ضرَب: يضرِب، وشكرَ: يشكُر، وليس أحدها أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف ... فإن كان الثاني منه أو الثالث حرفاً من حروف الحلق فإنه يجوز أيضاً فيه الفتح، ولا يمنع من الكسر والضم؛ لأنهما الأصل، وإنما يفتح مع حروف الحلق، لأن حروف الحلق مستعلية، وكره فيها من الحركات ما ليس بمستعمل استثقالاً للجمع بين الصعود والهبوط في حرف".

تعد هذه المخالفة بين حركة عين الماضي ومضارعه ضرباً من الاقتصاد اللغوي الذي يعنى بالتنوع والتوزيع لتحقيق الانسجام، وتوفير الجهد المبذول، وذلك من خلال السهولة النطقية، التي تنأى عن الرتابة الإيقاعية، كإيثارهم الفتح مع حروف الحلق، يقول سيبويه في باب: "ما يكون يفعَل من فعِل فيه مفتوحاً"(١):

"وذلك إذا كانت الهمزة أو الهاء، أو العين أو الحاء، أو الغين أو الخاء لاماً أو عيناً، وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف، وإنما الحركات من الألف والياء والواو".

ويقول الرضي(٢): "وإنما جعلوا ما قبل الحلقي تابعا له في الحركة مع أن حق الحلقي أن يفتح نفسه أو ما قبله كما في يدمع؛ لثقل الحلقي وخفة الفتحة، ومناسبتها له".

وهذا الذي أسلفه المتقدمون هو عينه ما يقرره علم اللغة الحديث في تسويغ فتح عين الفعل إذا كانت عينه أو لامه صوتاً حلقياً. يقول الطيب البكوش في تفسير هذه الظاهرة (٣):

---

(١) **الكتاب**، سيبويه، ١٠١/٤. وانظر **المقرب**، ابن عصفور، ج٢/ ٥٩.

(٢) **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي الاستراباذي، ج٤/٤٠

(٣) **التصريف العربي**، الطيب البكوش، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ويمكن تفسير هذه الظاهرة بالعلاقة بين جرس الفتحة ومخرج حروف الحلــق: فنطــق حروف الحلق يصحبه انفتاح في الفم يسّهل عملية انقباض الحلق، والحركة التي تتصف بالانفتاح هي الفتحة، ومن هذه الصفة أخذت اسمها".

لقد مر بنا أن ما سمّوه حروف الحلق حروف مستعلية كما قال ابن درستويه، ومعنـــى الاستعلاء كما يقول ابن جني: "أن تتصعد في الحنك الأعلى"[1]. وهذا لا يناقض اســتفالها فـــي الحلق كما أخبر سيبويه، وهو ما عبر عنه الطيب البكوش بانقبـــاض الحلــق، ويرافــق هــذا الاستعلاء في أسفل الحلق (الانقباض الحلقي) – انفتاح في الفم، فالأمر يبدو كحركة الملقــط، إذا انقبض من جهة انفرج من أخرى، ولتسهيل الأداء النطقي اختيرت الفتحة بنت الألـــف حركــة للحرف الحلقي؛ لما بين الفتحة وأصوات الحلق من تقارب مخرجي وتوافق في صفة الانفتاح.

وفد كفانا الطيب البكوش مؤونة تتبع أفعال العربية من حيث تغير حركة عين الفعل فــي المضارع عنها في الماضي، وذلك بما قدمه من دراسة إحصائية لخصها في جدول يوضح تغير حركة عين الفعل في الماضي والمضارع.

"الجدول رقم(٩)"

الماضي		المضارع						
حركة العين	التواتر	ضمة	فتحة	كسرة	ض ف ك	ض ف	ض ك	ف ك
فعُل	٢٩٨	٢٩٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠
فعَل	٢٣٩١	٨٠٢	٦٧٩	٥١٦	١٥	٦٠	٢٨٤	٣٥
فعِل	١٠١١	١	١٠٠٥	٤	٠	٠	٠	١
الجملة	٣٧٠٠	١١٠٠	١٦٨٤	٥٢٠	١٥	٦٠	٢٨٤	٣٦

يوضح هذا الجدول ثبات حركة عين فعُل في الماضي والمضارع، وتغير حركة عيــن فعِل من كسر إلى فتح غالباً، وحركة عين فعَل من فتح إلى ضم وفتح وكسر غالباً أيضاً، وعــن سبب ثبات حركة فعُل يجيب الطيب البكوش بقوله [2]:

(١) **سر صناعة الإعراب**، ابن جني، ج١/٧٦.
(٢) **التصريف العربي**، الطيب البكوش، ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ويرجع ذلك إلى أن فَعُل ليس فعلاً بأتم معنى الكلمة، وإنما يدل على الاتصاف بصفة، لذلك فهو قليل العدد نسبياً، قليل التصرف".

إن ما احتج به الطيب البكوش في هذه المسألة لا يبدو مقنعاً، إذ كيف لا نعد فعُل فعلاً بتمام معنى كلمة الفعل. ألا يدل على حدث مرتبط بزمن؟ فما الذي أنقصه فعليته؟

ثم إذا كان ناقص الفعلية، فلِمَ لا نعده فعلاً ناقصاً كما هو الحال في كان وأخواتها؟ كما أن دلالته على الاتصاف بصفة لا تنقص منه شيئاً، فما الفرق بين قولنا: فرح وضحك وكذب وصدق وقولنا ظرُف وكرُم في الدلالة على الاتصاف بالصفة؟!

ليس معنى هذا أن الباحث ينكر دلالة البناء فَعُل على الاتصاف، فهو لا شك يفضي إلى ذلك، بل يكاد يكون مختصاً بهذه الدلالة، ولكن الخلاف يكمن في إجابة السؤال المطروح! وقبل أن نجيب عن السؤال أرى أن ثمة سؤالين آخرين يمكن أن يردا من المنطلق نفسه الذي ورد فيه السؤال السابق وهما: لماذا تفتح عين الماضي (فَعِل) إذا بني بناء المضارعة فيقال يفعَل؟ ولماذا تكسر عين الماضي (فَعَل) إذا بني عليه بناء المضارعة فيقال يفعِل؟ فإذا انضم هذان السؤال السابق كانت الإجابة ذات منظور تكاملي وبعد شمولي إلى حد ما[1].

ويزعم الباحث أن مغايرة حركة عين الفعل في المضارع لحركة عينه في الماضي قد تمت في مرحلة بني فيها الفعل بناء الأمر، ثم صيغ مضارع جديد جرى فيه ما جرى في الأمر من مغايرة أو عدم مغايرة وذلك وفق التصور الآتي :-

---

(1) لم يقدم الطيب البكوش تعليلاً واضحاً لتغير حركة عين فَعِل في الماضي إلى الفتح في المضارع، واكتفى بالقول بميل العربية إلى إبدال حركة عين الفعل الماضي بحركة مجاورة لها في المضارع، وكذلك الحال في تغير حركة عين فَعَل في الماضي إلى الكسر أو الضم أو الفتح، ولم يزد عن ترداد ما قاله القدماء في اختصاص أصوات الحلق بالفتحة إذا كان الصوت الحلقي عين الفعل أو لامه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنأخذ الأفعال شَرِبَ، ضَرَبَ، نَظَرَ، ذَهَبَ، كَرُمَ، أمثلة على الظاهرة يقتضي القيـــاس أن يضاف إلى هذه الأفعال عند بنائها للمضارعة مقطع Ya مثلاً كسابقة، فيقال :

Ya ša ribu /Ya ḍarabu /Ya naḏ̣ara /Ya ḏa ha bu /Ya ka ru mu

وتقتضي البنية المقطعية العربية أن يخالف بين المقاطع القصيرة المتشابهة المتتالية، ويتم ذلـك بهدم المقطع الثاني عن طريق حذف الحركة من المقاطع:

,(ka), (ḏa), (na), (ḍa), (ša)

لينضم الصامت بعد حذف حركته إلى المقطع الأول (حرف المضارعة (ya) ليصبـــح مقطعـاً متوسطاً (ص ح ص)، يقول ابن كمال باشا[1]:

"لكن لما لم يكن في كلامهم أربع حركات متوالية في كلمة واحـدة سـكنوا الثـاني لأن إسكانه أولى من إسكان الأول والرابع، لامتناع الابتداء بالساكن ووجوب فتح الآخر إذا لم يتصل به الضمير المرفوع، ومن إسكان الثالث أيضاً، لأن الرابع قد يسكن لاتصال الضمير فيلزم التقاء الساكنين".

وبناء على ذلك تصبح الصيغ على النحو الآتي :-

yaš ri bu / yaḍ ra bu / yan ḏ̣a ru / yaḏ ha bu / yak ru mu

فإذا صيغ الأمر من هذه الأفعال تم ذلك بإسقاط حرف المضارعة، وبناء الفعل علـى السـكون بإسقاط حركة الآخر، ليقال :- **šrib , ḍrab , nḏ̣ar , ḏhab , krum** ويلحظ في هـذه الصيـغ الأمرية بناء مقطعياً من النوع: (ص ص ح ص) وفيه يبدأ المقطع بصـامتين. وهـذا المقطـع تسعى اللغة إلى التخلص منه وهو ما يقابل وصف القدماء للالتقاء الساكنين في الدرس الصرفي.

---

(1) **شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف**، الفلاح شرح المراح، ابن كمال باشا، ص ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعربية لا يلتقي فيها ساكنان أو لا يبدأ المقطع فيها بصامتين[١].لذلك تلجأ اللغة إلى التخلص من هذا السياق الصوتي عن طريق همزة الوصل. يقول بروكلمان [٢]:

"لا يمكن بحسب قوانين المقاطع في اللغات السامية أن يلتقي صوتان صامتان في أول الكلمة. ولذلك فإنه إذا وجد مثل هذين الصوتين في صيغة ما نشأت حركة جديدة، قبل الصامت الأول ونادراً بعده، وكونت معه مقطعاً مستقلاً".

وبذلك تصبح الصيغ بعد تخلق همزة الوصل كما يلي:

Iš rib/ Iḍ rab/ Ik rum / In ḏar / Iḏ hab/

ثم جرى على هذه الصيغ تغيرات بفعل الأساليب الصوتية العربية التي خالفت بين الكسرتين في المقطعين **iš / rib** حيث أبدلت الكسرة القصيرة الثانية فتحة ليصبح الفعل : **išrab.**

ولم تسمح هذه الأساليب بالانتقال من الكسرة في المقطع الأول إلى الفتحة القصيرة في المقطع الثاني، إلا إذا كانت عين الفعل أو لامه صوتاً حلقياً، كما مرَّ بنا سابقاً، فبقي الفعل(**iḏhab**) على حاله ولم يتغير، وكان لا بد من تغير الفعلين: **(iḍ rab), (inḏar)** ويتم هذا التغير بإحدى الطريقتين الآتيتين :-

إما أن تغير حركة المقطع الثاني إلى الكسر، وهذا ما جرى في(**iḍ rab**) إذ أصبحت **(iḍrib).**

وإما أن تتغير حركة المقطع الثاني إلى الضم.وهنا تتأثر بتغيرها همزة الوصل نفسها،حيث تتغير

---

(١) هذا هو العرف الشائع في سياقات العربية الصوتية، وإن كانت كتب القراءات تحدثنا عن تاءات البزي (٢٥٠هـ) رحمه الله، والتي تدل على إمكانية بدء المقطع العربي بصامتين، انظر: **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري، ج٢/٢٣٢، وأشار بروكلمان إلى إمكانية هذا السياق في اللهجات الحديثة في شمال المغرب العربي. انظر كارل بروكلمان، **فقه اللغات السامية**، ص ٤٣.

(٢) **فقه اللغات السامية**، بروكلمان، ص ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي الأخرى إلى الضم، وهذا ما جرى في (inđar)حيث أصبحت (indur) وهي مرحلة مــرت بها اللغة ورويت عليها الشواهد، ثم انتقلت إلى(unđur) فقد ماثلت همزة الوصل حركة العيـــن وهو ما حدث في (ikrum)تماما. ولسائل أن يسأل ما بالنا قلنا (išrab)وقد قيل إن أساليب اللغة في سياقاتها الصوتية لا تسمح بالانتقال من الكسر في المقطع الأول إلى الفتح في المقطع الثـــاني، إلا إذا كانت عين الفعل أو لامه صوتا حلقيا؟

فالجواب عن ذلك أن الفتحة في (išrab)ناتجة عن تخالف حركي وهو الحالـــة الوحيـــدة المستثناة من مجريات هذا الأسلوب، فالذي حدث في (išrab)مختلف تماما ولا حجة فيه على ما قلناه، لأن الفتحة ههنا ناتجة لحل سياق يشكل عنقودا صوتيا ثقيلا، وهو من باب توالي الأمثـــال، لذا يغتفر إتيان الفتحة في مثل هذا السياق لاضطرارنا إليها.

وبناء على ما سبق فإن فتح عين الفعل في الأمر لا يكون إلا في حالتين :إحداهما: فتـــح العين لمناسبة صوت حلقي يقع عينا أو لاما. والآخرى: فتح العين لسبب التخالف الحركي بيـــن مقطعين تتوالى فيهما كسرتان، وهو من باب المناسبة والانسجام أيضا، والكسرتان المقصودتـــان هما (همزة الوصل وحركة عين الفعل).

فإن قيل : كيف انتقلت (iḍrab)إلى (iḍrib) وقد سبق القول إلـــى ســـعي اللغـــة نحـــو التخلص من توالي الكسرتين المتتاليتين في المقطعين كما حدث في (išrib)؟.

فالجواب أن قولنا (iḍrab) يحوي سياقا صوتيا جاءت فيه الفتحة القصيرة (a) في مقطـــع سبقه مقطع الحركة فيه كسرة (i). ولما لم تكن عين الفعل أو لامه صوتا حلقيا، بالإضافة إلى أن الفتحة ههنا ليست حركة مجتلبة للتخلص من توالي كسرتين في مقطعين متتـــاليتين، فـــإن هـــذه الفتحة لا تثبت، وليس من طريق أمامها سوى أن تتغير إلى الضم. ولهذا التغير شكله المســـموع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ألسنة العوام إذ يقولون: أُضرُب (iḍrub) يبدلون الفتحة ضمة، ثم يمـــاثلون بيـــن همـــزة الوصل وحركة عين الفعل لتنقلب همزة الوصل ضمة.

أو أن تتغير إلى كسرة وهو ما اختارته الفصحى لتصبح الكلمة: (iḍrib)فـــإن قيـــل إن اللغة ترفض توالي كسرتين في مقطعين متتاليين كما في (išrib)فإن الحال مختلف تمامـــاً بيـــن الكلمتين، ولا يجوز المقارنة بينهما، لأن ثمة فرقاً كبيراً بين حركة أصليـــة وأخـــرى مجتلبـــة. فاضرب (iḍrib) هي الصورة الثانية لتطور الكلمة، واشرب (išrib)هي الصورة الأولى التـــي تطورت منها الكلمة، والمقارنة تصح فيما تساوت مراحله، ولا يجوز أن نقارن أصلاً بفرع، بـل يقارن الأصل بالأصل والفرع بالفرع[1].

ومن جهة أخرى فقد سبق القول إن الكسرة في (iḍrib)حركـــة مجتلبـــة، جـــيء بـــها للتخلص من الفتحة القصيرة (a)التي لا تثبت إلا في الحالتين السابق ذكرهما. فلو أردنا إجـــراء ما أجريناه في (išrib) على (iḍrib) لعدنا إلى الوضع نفسه الذي كنا فيه، ولصرنا إلى الـدوران في حلقة مفرغة، لأننا سنرجع إلى السياق الذي كانت عليه الكلمة (iḍrab)في الوقت الذي تسعى اللغة فيه إلى التخلص من حركة الفتح في المقطع الثاني.

وبذلك تنتقل الصيغ بعد ما تم فيها من تخالف وتماثل حركي وفق التصور الآتي :-

išrib: išrab iḍrab: iḍrib ikrum: ukrum inḏar: unḏur iḏhab: iḏhab

ثم صيغ من هذه الأفعال الأمرية مضارع جديد أخذ بما جرى فيها من صورها التي آلت إليـــها، وغني عن القول إن المضارع يبنى بإضافة حرف المضارعة كسابقه، وبتحريك الآخر بـــالضم، إن كان صحيحاً. وبذلك تسقط همزة الوصل لأنه لم يعد لها حاجة، فتصبح الصيغ :-

---

(١) ألا ترى أن من كلامهم فعل الشيء مرة وتركه في مثله مرة أخرى، فالعرب تعل صوام وقوام إلـــى صيـــام وقيام وتقول: شواء ولواء دون إعلال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Ya šrabu	التي ماضيها	⟶	Šariba
Yaḍribu	التي ماضيها	⟶	Ḍaraba
Yanẓuru	التي ماضيها	⟶	Naẓara
Yaḏhabu	التي ماضيها	⟶	Ḏahaba
Yakrumu	التي ماضيها	⟶	Karuma

ومما سبق يتبين لنا أن التخالف الحركي وما جرى من تأثر وتأثير بين همزة الوصل وحركة عين الفعل في الأمر هو المسؤول عن تغير حركة عين المضارع، ويمكن تصور هذا التخالف الحركي على النحو الآتي :-

جدول رقم(١٠)

تخالف وتماثل همزة الوصل مع حركة العين

همزة الوصل	فاءالفعل	عين الفعل	حركة عين الفعل	النتيجة*
V1	C1	C2	V2	
i	−	− حلقي	i	= a (v2)
i	−	− حلقي	a	=i (v2)
i	−	− حلقي	a	=u (v1 + v2)
i	−	+ حلقي	a	=a (v2)
i	−	+ حلقي	u	=u (v1 + v2)

*الحركةالأولى: **v1** ، الصامت الأول :**c1** ، الحركة الثانية:**v2** ، الصامت الثاني : **c2**،

ويتضح من هذا الجدول أن التركيب (**i c1 + c2a**) لا يجوز في العربية إلا إذا كان الصامت الثاني (**C2**) حلقياً، أو تكون حركته (**a**) حركة طويلة (**ā**) نحو : إسلام، إقبال، لذلك تتخلص اللغة من الفتحة القصيرة (**a**) بطريقتين: إما تحويلها إلى كسرة (**i**) أو ضمة (**u**). فإن تحولت إلى ضمة ماثلتها همزة الوصل. كما يتضح من الجدول أن فَعَل مفتوح العين غير الحلقية أو اللام تتحول فتحة ماضيه إلى ضمة أو إلى كسرة. وهذا التحول هو ما عبر عنه ابن درستويه بقوله(١): "اعلموا أن كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على فَعَلْت بفتح العين، ولم يكن ثانيه أو ثالثه من حروف العين ولا حروف الحلق، فإنه يجوز في مستقبله يفعُل بضم العين، ويفعِل بكسرها، وليس أحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف".

* المقصود بالنتيجة حال همزة الوصل

(١) **تصحيح الفصيح**، ابن درستوية، ص ١٠٥، وانظر كتاب **العمد في التصريف** عبد القاهر الجرجاني، ص١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول ابن درستويه في تفسير علة ضم عين فَعَل في المضارع أو كسرها لا جدال فيه.

وقد مر بنا أن من استخف ضم عين (ضرب) في المضارع قال: (اُضرب)، وإن كانت الفصحى قد استحسنت واستخفت اِضرب، ولكن يبقى القول: "ليس أحدهما أولى به من الآخر" سعة لغوية وخياراً تفسر به اختيارات الذوق اللغوي في العربية.

ولا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه البكوش في تسويغ تفوق الضم على الكسر في حركة مضارع فعل إذ يقول[1]: "ولعل مرد تفوق الضم على الكسر أن للضمة مخرجين، فهي خلفية ولكنها أيضاً أمامية من جهة استدارة الشفتين عند النطق بها، وتكون بذلك مناسبة لجل الحروف، بينما الكسرة الأمامية قد لا تلائم إلا الحروف المجاورة لها، وإلى جانب هذا يوجد تعليل التقارب الحركي الذي سنقدمه......".

إن استدارة الشفتين عند النطق بالضمة لا يجعلها أمامية ألبتة. ولذلك لا يجوز أن يعزى ضم عين مضارع فعل إلى مناسبة الضمة لكل الأصوات باعتبارها ذات مخرجين، بل هي خلفية صرفة، ولو صح ما قاله البكوش، لكان ذلك مسوغاً لأن يقال إن الفتحة حركة خلفية يصحبها انفراج الشفتين، والكسرة حركة أمامية يصحبها انخفاض الشفتين، فتصبح كل حركة ذات مخرجين وهذا مما لا يقوله أحد. ولكن الباحث يتفق مع ما جاء في آخر قول البكوش من أن التقارب الحركي ذو أهمية قصوى في تحريك عين المضارع بالحركة التي ينزع إليها، وهو ما اختتم به الطيب البكوش بحثه في هذه الظاهرة إذ يقول [2]:

"وبذلك نرى أن العربية تنزع إلى تغيير الحركات لخلق نوع من التقابل والانسجام، وهي ظاهرة نلاحظها بكثرة في الصرف العربي، وهي جديرة بأن تدرس بإمعان وشمول".

---

(1) **التصريف العربي**، الطيب البكوش، ص ٩٣.

(2) **المرجع نفسه** ص ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير البكوش إلى ملمح ذي أهمية بالغة في الاقتصاد اللغــوي، وهــو خلــو الأفعــال المزدوجة الحركة في المضارع من التمييز المعنوي، يقول [١]:

"لكن هذه الطاقة التميزية الهامة (يقصد رصد الفروق المعنوية بين الأفعال المضارعـــة المزدوجة حركة العين). لا يمكن للغة أن تسرف في استغلالها لاعتمادها الإفراط في الدقة، وهو ما يستلزم مجهوداً عظيماً في مستوى الذاكرة. لذلك كانت جل الأفعال المزدوجة الحركـــة فـــي المضارع خالية من التمييز المعنوي مثل شتم، ولذلك نلاحظ أن العربية تطورت نحو إلغاء هـــذه الفويرقات في مستوى الاستعمال بحكم قانون الاقتصاد اللغوي".

ومن التخالف الحركي ما تلجأ إليه العربية من مخالفة بين الفتحـــات (الفتحـــة القصـــيرة والفتحتين الطويلتين) المتتابعتين كما في وزن فَعالى، حيث يخالف بينهما بإبدال الفتحة القصـــيرة ضمة ليصبح الوزن فُعالى، بضم الفاء، ونسب الضم إلى الحجاز والفتح إلى تميـــم، يقـــول ابـــن السكيت (٢٤٤هـ)[٢]:

"وأهل الحجاز يقولون : سُكارى وكُسالى وغُيارى بالضم، وبنو تميـــم يفتحـــون، ويقـــال سَبّوح قَدّوس وسُبّوح قُدّوس".

ولا يخفى ما يتمثل في نطق الحجازيين من اقتصاد لغوي بما أحدثوه من مخالفة حركيـــة بين تتابع الحركات المتماثلة. وقد قوى من ذلك ما في وزن فعالى من حركة طويلة (الألف) تـــرد مرتين: مرة بعد العين ، ومرة وفي الآخر، ويتضح ذلك برسم الكلمة وفق الكتابة الصوتيـــة :- **Sakara Sukara** . فحقق إحداث هذا التنوع انتقالاً بوضع اللسان الذي كان قبل التخالف مرتـــداً

---

[١] **التصريف العربي**، البكوش ص٩٦

[٢] **إصلاح المنطق**، ابن السكيت، ص ١٣٢، وإثبات الفتحة على كاف شكاوى ونحوها كتابة القدماء، أمـــا فـــي العرف اللغوي الحديث فإن الألف هي على حركة الكاف لأنها فتحة طويلة، تحركت بها الكاف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الخلف، ثم بقي على ذلك، ولكن بزيادة كمية نطق الحركة لينتج الألف الأولى، ثم يعيد العمل نفسه ينتج الألف الثانية، وهو تخالف حركي بين حركة قصيرة وحركتين طويلتين، ولكنها جميعاً من جنس واحد، وصحب نطقها جميعاً صفة الانفتاح الذي بدأ مع المقدمة ثم ازداد مع الألفين.

ولكن هذا الانفتاح تم التخلص منه بإجراء التخالف الحركي عندما أبدلت الفتحة ضمة، إذا انتقلت إلى حركة ضيقة، كما أن اللسان يصبح أكثر تقدماً في موضعه عند النطق بالضمة بالمقارنة مع نطقه بالفتحة، ولكن تتفاوت درجة الخلفية بينهما. وهذا التخالف يفضي إلى بذل جهد نطقي أقل مما كان عليه .

وبذلك يخالف الباحث ما قال به أحمد علم الدين الجندي، عندما ذكر أن لغة الحجازيين بالضم ولغة تميم بالفتح في (سكارى) ثم عقب عليهما بقوله[1]:

"والذي يظهر من هذا العرض أن تميماً ... وأسداً مالت إلى ظاهرة الانسجام وعلى العكس منها لهجة الحجاز".

فالرأي عندي أن الحجازيين هم الذين حققوا الانسجام بما أجروه من تخالف حركي، وليس العكس، ويشفع في ذلك أمران :

الأول: أن لغة الحجاز هي لغة المستوى الأرقى كما وصفها علماء اللغة، وأنها ترفعت عن كل ما يؤخذ على بقية لغات العرب.

الثاني: أن أبنية الجمع يغلب عليها ضم فائها نحو : فُعول، فُعّل، فُعُل، فُعَل، فُعَلة، فُعلاء،فُعلان، فُعَل، فُعّال، فُعالى، فإذا أضيف إلى هذين السببين ما قيل عن التخالف الحركي،

---

[1] **اللهجات العربية في التراث**، أحمد الجندي ص٢٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضحت لغة الحجازيين أقرب إلى سمت الفصحى وتحقيق الانسجام والسهولة من غيرها. وقد وردت الصيغتان في قراءات كتاب الله، يقول الدمياطي (١١١٧هـ)[١]:

"واختلف في (سكارى وما هم بسكارى) فحمزة والكسائي وخلف بفتح السين وإسكان الكاف مع حذف الألف والإمالة، جمع سكران، وقيل جمع سَكِر كزمن ... ووافقهم الأعمش والباقون بضم السين وفتح الكاف مع الألف والجمهور بالفتح فيهما، وعن الحسن (البعث) بفتح العين لغة فيه كالجلب في الجلب".

ويلحظ من نص الدمياطي أن العربية اتبعت عدة وسائل في تخلصها من السياق التماثلي في سكارى عن طريق إسقاط الحركة، الفتحة الطويلة الأولى، مرة أو إبدالها ضمة مرة أخرى، وصاحب الطريقة الأولى مظهر آخر تمثل في إمالة الألف الأخيرة، وهو ضرب من التخالف في هذا السياق من غير كسرة فيه أو ياء، ناهيك عن حذف الحركة الطويلة الأولى (الألف). وهذه القراءة كما هو واضح تعيد بناء الكلمة بناء مقطعياً جديداً، إذ أصبحت الكلمة مكونة من المقطعين: (ص ح ص)(ص ح ح) بعد أن كانت مكونة من ثلاثة مقاطع(ص ح)(ص ح ح)(ص ح ح)، ولا يخفى اقتصاد الجهد المبذول في ذلك.

ومن التخالف الحركي في العربية ما يلحظ من حركات بنائية اختصت بها المبنيات في اللغة نحو بناء اسم الفعل على وزن (فعالِ) على الكسر، فقد خالفت العربية بين حركة البناء في الآخر والحركتين الطويلة والقصيرة اللتين تسبقها، نحو نزالِ، وتراك: (nazāli) .

وقد مر بنا ما ذكره الشيخ خالد الأزهري عن لغة بني أسد في هذا الوزن إذ يفتحون آخره إتباعاً وخفة[٢].

---

(١) **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، الدمياطي"البناء" ص٣٩٦

(٢) **انظر شرح التصريح على التوضيح**، خالد الأزهري، ج٢/ ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- <u>الاقتصاد اللغوي في ظاهرة تقصيـر الحركـة</u>

• حقيقة تقصير الحركة وقيمته:

يقابل تقصير الحركة في اللغة مد الحركة، وللتقصير والمد مواطنهما ، بيد أن العربيـة أجازت في بعض المواطن مد الحركة القصيرة، وتفاوتت أطوال المدود عند العرب ، مما يجعلنا نقول: إن للمد وجها نسبيا في بعض المواطن ،و إن كانت العربية ترمـي إلـى تحقيـق قيمـة مقصودة وغاية مرصودة، يقول السيوطي (٩١١هـ)[١]:

"وأما السبب المعنوي (للمد) فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عنـد العرب.... ومنه مد التعظيم في نحو : لا إله إلا هو ... ويسمى مد المبالغة، قال ابن مهران فـي كتاب المدات، إنما سمي مد المبالغة، لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله تعـالى، وهـذا مذهب معروف عند العرب، لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند المبالغة في نفي شـيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة، قال ابن الجزري : وقد ورد عن حمزة المبالغة للنفي فـي لا التي للتبدئة نحو لا ريب فيه، لا شية فيها، لا جرم ...".

إذا كان الشيء يعرف بضده أحيانا، فإن سوق الحديث عن مد الحركة وغايتـه، يقابلـه البحث في تقصير الحركة ومراده، فإذا كان المد يفضي إلى المبالغة والتعظيم وزيادة النفي كمـد الألف في لا التي للتبرئة كما جاء عند السيوطي، فإن تقصير الحركة قد يفضي إلى نقيض ذلك.

إن القصد من هذه التوطئة هو الإشارة إلى أن تقصير الحركة أومدهـا يعـد ديناميكيـة لغوية تدلل على القصد من جهة وتحقق الانسجام والتوازن في الكلام وإيقاعاته من جهة أخـرى. يقول إبراهيم أنيس[٢] : "وانسجام الكلام في نغماته يتطلب طول بعض الأصوات وقصر البعـض

---

(١) <u>**الإتقان في علوم القرآن**</u>، السيوطي، ج١/ ٢١١.

(٢) <u>**الأصوات اللغوية**</u>، إبراهيم أنيس، ص١٥٦

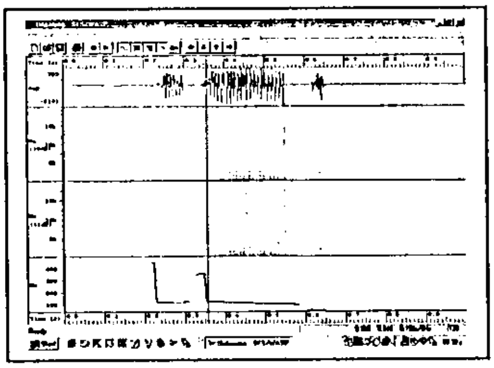
All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخر، إذ يميل الصوت المنبور إلى القصر إذا وليه صوت غير منبور، وذلك تحقيقاً لرغبة الكلام في أن تتقارب مقاطعة المنبورة بعضها من بعض، فإذا كثرت المقاطع غير المنبورة بعد مقطع منبور، قللت من طوله فالألف فلي كلمته (كتاب) أطول منها في العبارة "كتاب تلميذ".

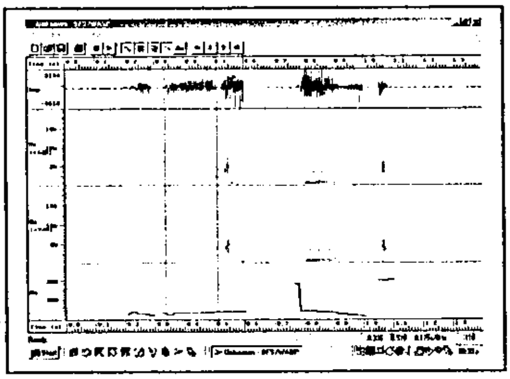
وقد قام الباحث بتسجيل الكلمتين اللتين ذكرهما إبراهيم أنيس على جهاز التحليل الطيفي للأصوات، وكانت النتيجة أن طول الألف في كتاب =٠,٢٠١/ث، وترددها من ١٠٢-١٢٥ذ/ث أما الألف في كتاب الطالب فطولها = ٠,١٧٤/ث، وترددها من ١٠٧-١٢١ذ/ث

ب

كتاب



كتاب الطالب



ولا يخفى ما يؤديه هذا الانسجام من سهولة نطقية، يسهل معها أداء المتكلم، حتى إذا استدعى ذلك بذل مزيد من الجهد.

ولعل من ذلك ما نقع عليه في اللغة عند جزم الفعل المضارع فيقال: (لم يدعُ) والأصل في الإثبات(يدعو). فالحركة في الفعل لما كان مثبتاً كانت طويلة (الضمة الطويلة)، إلا أنها قصرت في الفعل عندما صار في السلب. والذي يهمنا هو أن الحركة الأخيرة في الجزم أقصر منهما إذا كان الفعل مثبتاً. وإذا ربطنا هذه التقصير مع الدلالة التي اكتسبها الفعل إذا كان صار مجزوماً بلم، نجد القيمة الدلالية سلبية، إذ داخلَه نفي وقلب وجزم، فقصوره عن الدعوة استدعى تقصير حركة آخره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحال ذاته يقال في حروف الجزم كلها نحو لام الأمر "لتدعُ" التي تطلب من المخاطب الدعوة، فما كان هذا الطلب إلا بعد أن كان ثمة تقصير من لدن المخاطب في الدعوة فأمر بها. ومن هذا الباب أيضا جزم صحيح الآخر الذي تحذف حركته القصيرة. فإذا كان الفعل معتلاً قصرت حركته الطويلة، وإذا كان صحيحاً قصرت حركته القصيرة (بالروم) أو حذفت. أما أهم مظاهر تقصير الحركة فيمكن تصوره في المظاهر الآتية:

*-تقصير الحركة بالروم

كما تقصر الحركة الطويلة، تقصر الحركة القصيرة أيضاً، ويبدو الاقتصاد اللغوي في هذا التقصير في مظهر من مظاهر الوقف في اللغة وهو: - الوقف بالروم الذي يصفه سيبويه بأنه إخراج للحركة مما لزمه التسكين، يقول[١]:

"وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال، وذلك أراد الذين أشموا، إلا أن هؤلاء أشد توكيداً".

والذي يفهم من كلام سيبويه أن ثمة نطقاً في الروم، وهو نطق يبين أن ما وقفوا عليه متحرك، ولم يلزمه إسكان وقول سيبويه الأخير: "إلا أن هؤلاء أشد توكيداً" يقطع بالتفرقة لديه بين الروم والإشمام. وهذه التفرقة تظهر أصلاً في تقسيمه لأنماط الوقف على المرفوع، إذ جعلها أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام و روم الحركة، والتضعيف[٢] .

أما الإشمام عنده فهو تدوير الشفتين في الرفع دون إحداث النطق،[٣].وقد صرح الرضي

---

[١] الكتاب، سيبويه، ١٦٨/٤.

[٢] المصدر نفسه ، ٤/ ١٦٨.

[٣] المصدر نفسه ١٧١/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهذا الفهم أيضاً[1]. وتبدو مراحل الاقتصاد اللغوي في تقصير الحركة في الوقف بالروم، بالتدرج من نطق الحركة إلى رومها إلى إشمامها إلى إسقاطها، إذ يتناقص الجهد المبذول إتباعاً في كل مرحلة. وإذا كانت العربية تبيح الوقف بإسقاط الحركة أو بروم الحركة القصيرة أو بالحركة الطويلة، وتمنعه بالحركة القصيرة، فإن ذلك لم يكن إلا لما سبق ذكره من أن الحركة القصيرة وسيلة إشعار المخاطب بوصل الكلام لا وقفه، وهي أداة درج الكلام كما أسلف قطوب من قبل، في حين لم تقو حركة الروم لإحداث هذا الدرج أو الشعور بالوصل، وتجاوزت الحركة الطويلة الحاجة للوصل بغيرها لما لها من طول. فإن قيل إن حركة الروم علامة وقف والحركة القصيرة علامة وصل فما وجه المقابلة بينهما؟

أقول إن ما سلف ذكره يبين لِماذا كان روم الحركة علامة وقف، ولماذا قَصُرَت عن أن تكون علامة وصل. ولما وجد العربي في روم الحركة مقداراً كمياً دون الإشعار بالدرج والوصل أباح لنفسه مزاولته، ولم يكن ليفعل ذلك وصلاً نظراً لعدم كفاية مقدار هذه الحركة لإحداث الدرج.

وعلى النقيض من ذلك وجد في الحركة الطويلة كماً كبيراً أكثر من الذي يحتاجه في درج الكلام. بيد أن هذه الزيادة الكمية في الحركة الطويلة لا تمنع ألبتة إحداث الدرج والوصل،وهي بذلك تؤدي وظيفة الحركات القصيرة. ولكنها تفرق عنها في قدرتها على إحداث الوقف، إذ يوقف عليها لما فيها من إطالة تمكنها من ذلك.

ومن هنا نلمح في الحركات القصيرة اقتصاداً لغوياً، يجعل منها حركات وسطية بين حركتين: الحركة المسموعة في ظاهرة الروم، والحركة الطويلة. وليس أدل على ما فيها من

---

[1] **شرح شافية ابن الحاجب**، الرضي الاسترباذي، ج٢/ ٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اقتصاد تؤثره اللغة شيوعها فيها، إذ تحرك بها اللغة أصوات الكلم بالإضافة إلى وظيفتها في ربط كلمات التراكيب كما هو الحال في حركات الإعراب والبناء.

***-تقصير الحركة الطويلة في الأسماء الستة**

إن ما قيل عن درج الكلام ووصله يمكن أن يحمل عليه جعل الحركة في الأسماء الستة طويلة، إذا كانت مضافة إلى اسم بعدها أو ضمير لغير المتكلم، وقصيرة إذا كانت مضافة إلى ياء المتكلم، فالمتكلم ليس بحاجة إلى طول تأمل لينيب الأبوة أو الأخوة إلى نفسه، فلما كان الحال معه كذلك أسرعت اللغة في نسبة هذه الأسماء إليه عن طريق تقصير الحركة. وهذا هو المستوى الفصيح الأكثر رقيا، في حين كان المستوى العامي الدوني مما تمد فيه الحركة فيقال: أبوي ، أخوي. ويبدو الرقي في الفصحى فيما افترضته اللغة من قدرة ذهنية لدى المتكلم واحترام هذه القدرة ليجعل المتكلم الذي ينسب الشيء إلى نفسه في مستوى لا يحتاج معه طول وقت لتذكر المنسوب، فكانت الحركة مع ياء المتكلم في تلك الأسماء قصيرة.

أما إذا أضيفت إلى غير ياء المتكلم نحو ضمائر الغيبة أو الأسماء الظاهرة مدت الحركة فيها، لأن الغيرية هنا تستدعي تأملا في الذي نسبت هذه الأسماء إليه، وتتطلب زمنا أطول من الذي كان مع ياء المتكلم، مما استدعى مد الحركة فيها.

و مما يؤيد ما ذهب إليه الباحث في ذلك ما يذكره ابن جني عما يلجأ إليه المتكلم من مد الحركة عند الاستذكار، يقول(١):

"لو وقفت مستذكرا وقد ضمت الواو، لقلت، اشتروواْ، ففصلت ضمة الواو، فأنشأت بعدها واوا، كأنك تستذكر "الضلالة" أو نحوها فتمد الصوت إلى أن تذكر الحرف، ولو استذكرت وقد كسرت لقلت : اشتروى، فأنشأت بعد الكسرة ياء، ولو استذكرت وقد فتحت الواو لقلت:

---

(١) **المحتسب** : ابن جني، ج١/ ١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اشتروا، كما أنك لو استذكرت بعد من، وأنت تريد الرجل ونحوه لقلت : منا لأنك أشبعت فتحته من الرجل، وفي منذ : منذو، وفي هؤلاء هؤلائي".

ويقترح الباحث أن يطلق على هذه الظاهرة مصطلح "مد الاستذكار" عندما كان المتكلم يمنح نفسه وقتاً لاستذكار من سيسند إليه أمراً، أو يصدر بحقه حكماً، وهو في صنيعه هذا يضاهي قول الذين قالوا: أبوه، أو أبو زيد وبمد الحركة في "أبو" لأنهم احتاجوا فرصة لاستذكار من ستضاف إليه هذه الأسماء، بيد أنهم إذا أضافوها إلى أنفسهم لم يجدوا العنت في تذكرهم، فوصلوا إلى الإضافة مع ياء المتكلم بحركة قصيرة لما لم يحتاجوا وقتاً ولا بحثاً.

***-تقصير الحركة في ما الاستفهامية**

ومما يلحظ فيه تقصير الحركة: تقصير الألف (الفتحة الطويلة) في (ما) الاستفهامية المتصلة بحرف جر، إذ يقال : بمَ، فيمَ/ عمَّ، لِمَ. وأغلب الظن أن تقصير الحركة هنا يتأتى من السياق الأدائي الذي يتطلبه الاستفهام، فهو يستدعي تنغيماً خاصاً يتسارع فيه النشاط النطقي إذ تساق فيه النغمة الاستفهامية متسارعة طلباً للجواب. وهذا التسارع يتطلب تقصير الحركة الطويلة، في (ما). وثمة تماثل مقطعي بين المقطع القصير الذي يسبق (ما) الاستفهامية في هذا المقام و (ما) الاستفهامية نفسها، فحروف الجر الداخلة عليها تتألف في أغلبها من (ص ح) أي مقطع قصير. فلما كان السياق سياقاً استفهامياً يحتاج إلى التسارع الأدائي، فإن (ما): (ص ح ح) تماثل المقطع الذي يسبقها لتحقيق هذا التسارع.فإن لم تسبق (ما) الاستفهامية بمقطع قصير (حرف جر) بقيت حركتها كما هي، لأن الانتقال بها وفق بنائها المقطعي الذي لم يسبق بالمقطع القصير، يحقق تسارعاً أدائياً يقدم به التنغيم الاستفهامي على أتم وجه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠ الاقتصاد اللغوي في ظاهرة حذف الحركة

تبدو مظاهر الاقتصاد اللغوي في ظاهرة حذف الحركة في السياقات الصوتية العربية فيما يلي:

*-إسقاط حركة الآخر في الوقف:

أول ما يطالعنا في تحقق الاقتصاد اللغوي بحذف الحركة ما تلجأ إليه اللغة من إسقاط حركة الآخر، وهو ما عبر عنه بأنه لا يوقف على متحرك في العربية.

ويبدو قولهم "لا يوقف على متحرك" منطقياً من الوجهة الدلالية؛ إذ لا يتفق وقف وحركة في آن واحد، كما لا يتفق وصل وتسكين في آن واحد، وهو ما عبروا عنه بقولهم: لا يبدأ بساكن. ولكن العربية وإن كانت تحظر الوقوف على حركة قصيرة، غير أنها أجازت الوقوف على حركة طويلة، يقول حسام النعيمي [1]:

"ولأجل الدقة الصوتية يقال: إن العرب لا تميل إلى الوقوف على مصوت قصير، بل تقف على مصوت طويل، رأيت زيداً، أو صامت، نحو: جاء زيدْ، ومررت بزيدْ، وبعبارة أخرى: إن العرب لا تميل إلى الوقوف على مقطع قصير".

ولكن ما الذي وجدته اللغة في الصامت والحركة الطويلة حتى وقفت عليهما ولم تجد في الحركة القصيرة حتى أسقطتها؟

أرى أن الوقوف على الحركة القصيرة يعد من أشق ما يمكن على اللسان أن يقوم به، فإسقاط الحركة القصيرة في الوقف إنما يرتد إلى مبدأ السهولة وبذل أدنى جهد نطقي.

ولذلك آثرت العربية إسقاط الحركة القصيرة عند الوقف، فلا يوقف إلا على صامت أو حركة طويلة.

---

[1] أبحاث في أصوات العربية، حسام النعيمي، ص ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن حقيقة إسقاط حركة الآخر القصيرة تتمثل في أنه وقوف على الصامت الذي يحمـل هذه الحركة. ويغلب على ظني أن لجوء اللغة إلى ظاهرة التنوين في الوقف على المنـون كـان إيثارا من العربية للتخلص من الحركة القصيرة في الوقف. فلما انتهى الاسم بحركة قصيرة مـا كان من سبيل إلى التخلص منها إلا أحد طريقين: إما إسقاطها والوقوف علـى الصـامت الـذي قبلها، وإما اللجوء إلى تنوين من جنس هذه الحركة. وما التنوين إلا ابتداع لصامت جديد يوقـف عليه. ولعل هذين الطريقين هما تفسير ما يسمع في الوقوف على العلم خاصة كما فـي قولنـا : جاء زيد، فإما أن يقال زيد، أو زيد. والأصل : زيد.

إن العودة إلى السؤال المطروح تدعو إلى تقصي البحث في هذه الظاهرة، للإجابة عليـه، وذلك من يتبين من الجوانب الآتية :-

أولا: عند مقابلة الحركة القصيرة بالحركة الطويلة والتنوين، يجد المتأمل في هذه المقابلة أن الحركة الطويلة والتنوين تحويان التمام في النتاج النطقي، وأعني بهذا التمام : إتمـام تفريـغ تيار الهواء الذي وظفه الجهاز النطقي في إنتاج الأصوات، لاسيما في الوقف الذي تفتن اللغة فـي مظاهره وأشكاله.

وهذا التمام يبدو في التنوين (صوت النون). ولذلك لا عجب أن تنزع اللغة إلـى النـون لتؤكد بها، فإن هي أرادت الاستزادة بهذا التوكيد ضاعفت تلك النون، وليـس تـأكيد الفعـل إلا ضربا من إرادة الإتمام في حدثه إيجابا أو سلبا.

وربما يشفع للباحث فيما يذهب إليه أن إثبات النون فـي الأفعـال الخمسـة إذا كـانت مرفوعة يعني التمام والحدث، فإذا جزمت أو نصبت(أي أصابها السلب بالنفي أو النهي) حذفـت نونها، أي نقص كمالها وتمامها، أو التي لم تحدث بعد كمال هذه الأفعال بعد أن وإذا ولام الأمر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدل على ذلك أيضاً، إثبات هذه النون في فعل الكينونة وحذفها، وعليه قوله تعالى :"كن فيكون". فلا يملك المأمور إلا التمام والكمال بمجرد صدور هذا الأمر، أما قوله تعالى: "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً"[1] فقد عبر عن انتفاء كينونته وكمال وجوده بحذف هذه النون. وفي الوقت الذي عبر فيه عن الإغراق في انتفاء الكينونة أثبت بالتأكيد والتحقيق قدرته سبحانه على خلقه. كما يبدو هذا التمام بالوقف على الحركة الطويلة التي يصحبها تفريغ لتيار الهواء المكيف بالاعتماد في إنتاج الأصوات.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فإن مد الحركة القصيرة في قولنا (جاء زيدو) إنما سببه التخلص من الوقف على الحركة القصيرة. وبذلك يظهر الوقف على مثل هذا السياق باتجاهات ثلاثة: إسقاط الحركة، أو إشباعها وجعلها طويلة، أو اللجوء إلى التنوين.

ومما يؤكد ما ذهب اليه الباحث في هذه المسألة ما نجده في العربية من إسقاط حركة المرفوع والمجرور، وإثبات حركة المنصوب بنطقها ألفاً ممدودة، نحو: رأيت زيداً، فإبقاء العربية على الألف يعود لما فيها من اتساع لمجرى الهواء، وما فيها من انفتاح لا يشابهه انفتاح في حركة أخرى، الأمر الذي يفضي إلى أريحية في تفريغ النفس، وإخراج ما تبقى من تيار الهواء المستغل في العملية النطقية. لذا آثر العربي الإبقاء عليها والتخلص من غيرها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه لما كانت الحركات القصيرة وسيلة لوصل الصوامت في الكلمة الواحدة، ووصل الكلمات في التركيب، لم يحسن الوقوف عليها، فكان إسقاط هذه الحركة دليلاً على وصول المتكلم إلى إنهاء كلامه، وأنه لن يصله بكلام آخر. وليس أدل على ذلك ضرورة تحريك المضاف مع المضاف إليه في التركيب الإضافي لأنه سياق وصلي تواصلي.

---

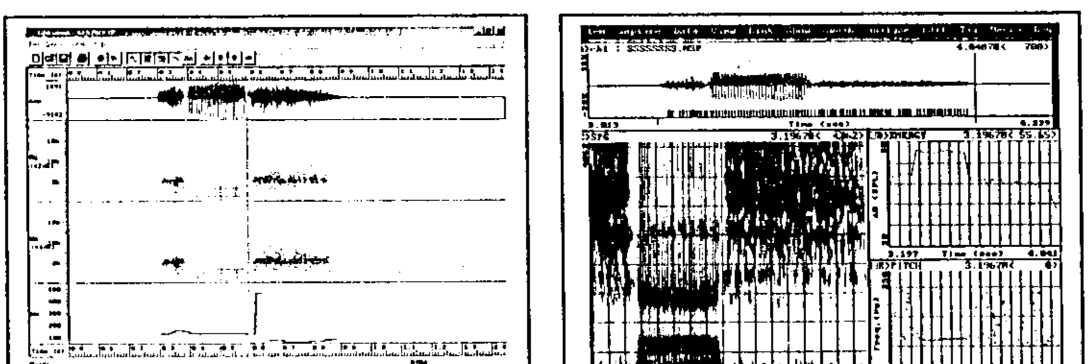
(1) مريم ١٩/٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان الميل نحو بذل جهد الأدنى مبدأ من مبادئ الاقتصاد اللغوي، فإن إسقاط حركة الآخر يحقق هذا المبدأ أيما تحقيق. فقد أثبتت الدراسات التجريبية أن الإنسان أضعف ما يكـــون في نشاطه النطقي على المقطع الأخير، كما أن هذا المقطع أضعف المقاطع من حيث الوضـــوح السمعي، وعلى النقيض من ذلك مقاطع البدء في الكلام. ومن هنا فإن إسقاط الحركة في آخـــر الكلم توفير للجهد النطقي المبذول لما فيه من تخفيف على المتكلم لا سيما في أضعف مراحـــل نشاطه النطقي.

ويكفي للتدليل على قوة هذا النشاط النطقي وضعفه، بالنظر إلى النتائج التي يقدمها جهاز تحليل الأصوات، فقد نطقنا كلمة شاش وفحصناها على جهاز الراسم الطيفي المحوسب، وتبيـن لنا معدل تردد الشين الأولى: ١٩٧,٠ذ/ث. وطولها: ١٣٣,٠/ث. في حين بلغ معدل تردد الشين الثانية: ١٧٢,٠ذ/ث. وطولها:٥٨٨,٠ وقد تراوح تردد الشين الثانية من ٢٧٧,٠ذ/ث في بدايتـها إلى ١٢٩,٠ذ/ث في نهايتها. ولعل نظرة إلى صورة شاش الطيفيـــة توضـــح تنـــاقص الطاقـــة الصوتية في نهاية الكلمة كما يظهر في الصورتين الطيفيتين التاليتين:

شاش



*-إسقاط حركة الآخر في الوصل

ثمة مظهر يلحظ فيه إسقاط اللغة لحركة الآخر، دون أن يكـــون المقـــام مقـــام وقـــف بالضرورة. ويتمثل هذا المظهر في فعل الأمر الصحيح الآخر، والفعـــل المضـــارع المجـــزوم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحيح الآخر. وإذا كان الجزم في اللغة يعني القطع، فإن إطلاق مصطلح: قطع الحركة قد يكون أقرب من غيره إلى هذه الظاهرة.

ولا يخفى ما للهيئة التي يتركب عليها الفعلان المشار إليهما، من إيقاع يجعل إسقاط الحركة ذا منحى سياقي يخدم القيمة الدلالية. فإذا كان المضارع يجزم بلام الأمر ولا الناهية فإن (لمّا) و (لم) في سياقات محددة تقاسان عليهما في إيقاع صيغة أمرية، وإن كان ظاهرها النفي، فإن قلت :" لم يذهبْ زيد" فإنك قد تستحث المخاطب على الذهاب وأنت تنفي الذهاب عن زيد. ومثل ذلك "لما" ودليل ذلك القياس على ما كان من لام الأمر ولا الناهية. فإن قيل هلا كان العكس؟ فالجواب أن إسقاط الحركة نجده في فعل الأمر مطرداً، ثمَّ سقطت في جزم المضارع ولما كان (اللام) و (لا) الناهية بابهما الأمر، صار إسقاط الحركة إمارة الأمرية، وصار الأمر أصلاً، ولذلك غلب الظن في حمل لم ولما على لا الناهية ولام الأمر.

إن الذي يهمنا هو الوصول إلى الحس الإيقاعي الذي لا يستدعي الحركة على الآخر. فإذا نظرنا في الأمر، وجدنا المتكلم ذا إلقاء طلبي، يبتغي من المخاطب تنفيذه. وهذه الصيغة الأمرية تستدعي إيقاعاً ذا نبر مقطعي تشكل الحركة في الآخر، إن وجدت إبطالاً لهذا الإيقاع، وذلك بسبب إخراجها النبر عن مكانه، أو إبطالها هذا النبر أصلاً. فالفعل في قولنا: "اضرب" أو " لا تضرب": يتألف الفعل من مقطعين، يقع النبر على الثاني منهما. ويلحظ اختزال البنية المقطعية في هذين الفعلين من ثلاثة في (ضرب) و (يضرب) إلى اثنين في (اضرب) و (تضرب). ويعد هذا الاختزال اقتصاداً لغوياً على مستوى هذه البنية. وتم بهذا الاختزال إيقاع النبر على المقطع الثاني كما تم توفير إيقاع خاص يتلاءم والصيغة الطلبة المتمثلة في الأمر مرة والنهي مرة أخرى. والإيقاع النبري في الأمر لا شك يتطلب وقعاً سريعاً، إذ لا نتصور أمراً على بطء أو طلباً ذا تهمل. فلما كان حال الأمر كذلك فعّلت اللغة اقتصادها فاختزلت عدد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقاطع من ثلاثة إلى اثنين، كما في المثالين السابقين، وأسقطت حركة الآخر. وبإسقاط هذه الحركة هدمت اللغة مقطعاً جديداً قصيراً كان سيتشكل لو بقيت تلك الحركة.

ومن هذا الباب أيضاً ما ينسب إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، الذي كان يقرأ بتسكين بعض الكلمات: فقد روي عنه تسكين حرف الإعراب في قوله تعالى :" فتوبوا إلى بارئكم" وقرأ الجمهور بإظهار الحركة في (بارئكم)، وفصل أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)الحديث في ذلك،إذ يقول [١]:

"الآية "فتوبوا إلى بارئكم" و "يأمركم" و "يأمرهم" و "ينصركم" و "ويشعركم" باختلاس الحركة في ذلك كله من طريق البغداديين وهو اختيار سيبويه، ومن طريق الرقيين، وغيرهم بالإسكان، هو المروي عن أبي عمرو دون غيره، وبذلك قرأت على الفارسي عن قراءته على أبي طاهر والباقون يشبعون الحركة".

ومن الجدير بالذكر أن سيبويه جعل إشباع الحركة واختلاسها وإسقاطها مع الرفع والجر دون النصب، يقول [٢]:

"ولا يكون هذا الإشباع والاختلاس في النصب، لأن الفتح أخف عليهم... وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر، شبهوا ذلك بكسرة (فخذ) حيث حذفوا فقالوا: فَخْذ، وبضمة عضُد حيث حذفوا فقالوا: عضْد، لأن الرفعة ضمة والجرة كسرة".

واستشهد سيبويه بقول الشاعر :

فاليومَ أشْرَبْ غيرَ مُستَحقِبٍ إثماً مِنَ اللهِ ولا واغلِ

---

(١) **التيسير في القراءات السبع**، أبو عمرو الداني، ص ٦٣.

(٢) **الكتاب**، سيبويه، ج٤/، ص٢٠٢-٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضمير نفسه. أما في المؤنث فقد حمل على المذكر وقيس عليه. فإذا أضيف هذا التجانس إلى خفاء الهاء وضعفها، تبين لنا لماذا أخذت اللغة بهذا التغيير.

وما قيل عن الاقتصاد اللغوي في إسقاط حركة عين فَعُل وفَعِل يقال عن إسقاط حركة الهاء في الضمير هو وهي، إذ انتهى البناء الصوتي المقطعي، إلى مقطعين بإسقاط الحركة بعد أن كان ثلاثة مقاطع، مما أدى إلى اختزال الجهد الأدائي المبذول ومال بالمتكلم نحو السهولة.

ثمة ملمح اقتصادي آخر يلحظ في الضميرين (هو وهي) وهو سقوط شبه الحركة (Y, W) ثم مد حركة الضمير وجعلها حركة طويلة، وذلك على النحو الآتي :-

wa hu wa ⟶ wa hu +a (u + a = u) ⟶ wa hū

wa hi ya ⟶ wa hi + a (I +a =I) ⟶ wa hī

وينتج عن التقاء الحركتين (u + a) ضمة طويلة(u)، وعن التقاء الحركتين: I +a كسرة طويلة (I). ولا يشترط في مد واو هو وياء هي أن تسبقا بمقطع قصير نحو الواو أو اللام أو الفاء، وإن كان مدهما أغلب ما يكون في الوقف.

نخلص من هذا إلى أن الضميرين هو وهي يتفرعان إلى صيغتين: إسقاط حركة الهاء مرّة أو إشباع حركة الهاء بعد حذف شبه الحركة مرّة أخرى.

وقد يبدو الأمر متناقضاً في هذه المسألة من مسائل الاقتصاد اللغوي إذ كيف يتحقق الاقتصاد بالحذف والإشباع في الشيء نفسه؟

لقد سبق القول إن التوازن مبدأ من مبادئ الاقتصاد اللغوي. وهذا المبدأ ينضم إليه مبدأ آخر، وهو التوزيع والتخطيط الذي نهجته العربية في سياقاتها الصوتية، فلم يحقق الاقتصاد في سياقاتها الصوتية، بحذف الحركة فحسب، بل بإشباعها أيضاً. ومن هنا يبدأ التوازن والتعادل بين الحذف والإشباع، فهي لا تميل إلى طرف واحد للوصول إلى اقتصادياتها الصوتية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية لأشباه الحركات في العربية

* الاقتصاد اللغوي في إبدال أشباه الحركات:

يظهر إبدال أشباه الحركات في العربية في مظاهر مختلفة، يمكننا التعرف على الاقتصاد اللغوي فيها، وأهم تلك المظاهر:

١-الإبدال بين (الهمزة) و(الواو والياء):-

ما يميز هذه المجموعة من الأصوات اللغوية أن كل صوت يبدل من بقية الأصوات الأخرى. وقد أفاضت كتب اللغة والصرف في الحديث عن الإبدال فيما بينها، ولكن لم تخل بعض الآراء من التعسف، حتى جعل بعض القدماء الواو والياء ينقلبان ألفا قبل انقلابهما همزة[(١)].

ولإدراك ما يتم من اقتصاد لغوي في الإبدال بين هذه الأصوات، أرى من الأهمية بمكان إدراك حقيقة كل صوت منها أولا، ثم إدراك العلاقة بين هذه الأصوات ثانيا. وبعد هاتين الخطوتين نحكم على مدى صحة ما يقال من إبدال بينها.

وإذا أردنا التعرف على مخرج الهمزة فمن أهم ما يطالعنا رأي ابن سينا(٤٢٨هـ) الذي كان أول من تحدث عنها بوصفه نطاسيا ولغويا، يقول [(٢)]:

"أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمانا قليلا، لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الإقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا".

---

(١) **سر صناعة الإعراب**، ابن جني، ج١، ص١٠٧.

(٢) **رسالة أسباب حدوث الحروف**، ابن سينا، ص٦٤،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا عرفنا أن الطرجهالي هو أحد غضاريف الحنجرة، فإن ابن سينا أول من أشار إلى دور الحنجرة في إنتاج الأصوات، وإنها جزء من الجهاز النطقي وهذا ما يؤكده علم الأصوات الحديث.

يتفق جمهور الباحثين على أن الهمزة صوت وقفي (شديد، انفجاري)، ويختلفون في عدّ هذا الصوت مجهوراً أو مهموساً. وقد عرض لهذا الخلاف الدكتور سمير استيتية في كتابه الأصوات اللغوية[1]، فذهب القدماء إلى أنها مجهورة، وانقسم المحدثون فريقين: فريق قال إنها مهموسة وآخر قال إنها صوت لا مهموس ولا مجهور. ويبدو أن الرأي الأخير هو الأقوى ما دام يصحب نطق الهمزة وضعاً خاصاً للأوتار الصوتية لا نجده في الهمس ولا في الجهر. وإذا انتقلنا إلى الألف والواو والياء، فإنها تكون على حالتين: حروف مد (ألف المد وياء المد وواو المد) واصطلح عليها المحدثون "الحركات الطويلة". وإما أن تكون من غير مد وهما صوتا الواو والياء نحو: (يوم، بيت) أشباه الحركات، أو أشباه الصوامت.

عدّ بعض الباحثين الواو والياء أنصاف حركات لما كانت أقصر طولاً وأقل وضوحاً في السمع من الحركات [2]. وأصوات المد تخرج حرة طليقة دون أن تتعرض إلى حاجز في طريقها أو تضييق كالذي يحدث مع الصوامت، فهي أصوات انطلاقية خلال تجويف الفم. وتتمايز الحركات فيما بينها من خلال طبيعة تكوين التجويف الفموي مع كل حركة، ومجرى كل حركة في هذا التجويف يمتد من الحنجرة إلى الشفتين. ولعل أكثر ما يلمح من اختلاف في النطق عند نطق الحركات،ما نلمحه من وضع اللسان بالنسبة للفم، فموضع اللسان فيه عند النطق بالحركات يبدو أمامياً مع الكسرة والفتحة المرققة، وخلفياً مع الضمة والفتحة المفخمة. وثمة هيئة مخرجية

---

(١) **الأصوات اللغوية**، سمير استيتية، ص١٠٧، وما بعدها.

(٢) انظر: **الأصوات العربية**، كمال بشر، ص١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشفتين تصحب نطق هذه الحركات، إذ نجدهما منفرجتين مع الكسرة والفتحة، ومستديرتين مع الضمة[1].

أما أشباه الحركات (Semi Vowls) (الواو والياء) فموضع اللسان بالنسبة إلى الحنك الأعلى اللين (الطبق) هو ما يميزها عن الحركات في النطق، وذلك أن درجة اقتراب اللسان من الطبق عند النطق بشبه الحركة تكون أقصر من درجة اقترابه مع الحركة. هذا بالإضافة إلى ما يمتاز به شبه الحركة من انتقال (انزلاق) في نطقه، إذ يبدأ إنتاجه من الموضع الذي تكون فيه الحركة، ثم ينتقل إلى الهيئة التي تهيئه لنطقه. أضف إلى ذلك أن أشباه الحركات تشترك مع الصوامت في إمكانية قبولها لأن تكون قاعدة من قواعد المقطع، ومتقبلة الحركة كقمة لها تماماً كالصوامت[2].

أما تفسير حلول الهمز مكان الواو والياء وليس بينهما تقارب مخرجي، فيرى عبد الصبور شاهين أن ذلك تمّ بالتقاء الحركات الذي يؤدي إلى حذف صوت العلة، كما في (كساو) وإقفال المقطع المفتوح بالهمز، حيث التقت الفتحة الطويلة مع الضمة المولدة للواو، فسقط شبه الحركة لتصبح الصيغة (كسا). ثم أقفل المقطع المفتوح بصوت صامت وهو الهمزة. أو أن يلي الفتحة الطويلة حركة مزدوجة كما في قاول، بايع، عجاوز، صحايف. ثم يحذف شبه الحركة بسبب ضعف البناء المقطعي، وتحل محله الهمزة النبرية كوسيلة صوتية لتصحيح المقاطع، لا على سبيل الإبدال[3].

---

(1) انظر : **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، ص٢٩-٤٨، و**الأصوات العربية**، كمال بشر، ص١٥٥.

(2) انظر : **الأصوات اللغوية**، سمير استيتية، ص١٦٢، وما بعدها.

(3) انظر **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، ص١٧٦-١٧٧، وأشار رمضان عبد التواب في ظاهرة تخفيف الهمز في النطق، إلى التقاء الحركتين بعد حذف الهمز ثم يتم إقحام صوت انزلاقي بين الحركتين الملتقيتين ويحدده نوع هاتين الحركتين، انظر : **مشكلة الهمزة العربية**، رمضان عبد التواب، ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رمضان عبد التواب ففسر الهمزة في عين اسم الفاعل المعتل وصيغة فعائل بمبدأ الحذلقة والمبالغة في التفصح، وذلك أن الحجازيين الذين أثر عنهم ترك الهمز إذا بنوا اسم الفاعل من سأل ويئس ودأب، قالوا: سايل، يايس، دايب. والسبب في الإتيان بياء هو أن الحجازي سيبني اسم الفاعل من الأفعال السابقة بعد إسقاطه للهمز، بمعنى أنه سيبني اسم الفاعل من سال، ييس،داب... وأدى ذلك إلى التقاء حركي: (الفتحة الطويلة وكسرة عين اسم الفاعل) فينتج الصوت الانزلاقي الياء فإن أراد الحجازيون اصطناع اللغة الأدبية ردوا الهمزة في هذه الأمثلة. ولما انتقل رمضان عبد التواب إلى اسم الفاعل من الأجوف كقولنا: بايع وداين وشايع، قال[1]:

"فإنهم يظنون أن الياء في هذه الأمثلة، ناتجة في كلامهم بسبب تركهم الهمزة، لذلك يدخلون فيها الهمزة عند محاكاتهم اللغة الأدبية؛ مبالغة في التفصح وحذلقة منهم".

وعن همز معتل العين بالواو، قال: "تحول في لهجات الخطاب الحجازية بعد فترة إلى اليائي في اسم الفاعل، والصفة المشبهة كذلك بدليل ما في لهجات الخطاب المعاصرة. والحال ذاته يقال في صحائف وعجائز[2]".

إن ما قدمه رمضان عبد التواب يفترض قياس اسم الفاعل من الأجوف على اسم الفاعل من المهموز،وإن صح ما قيل عن الحذلقة والتفصح فإن هذا يسري على الحجازي الذي يقول: سائل بدلاً من سايل، وبائع، بدلاً من بايع. أما النجدي الذي لا يعرف إلا بائع وقائل، فكيف نفسر قوله ؟! ثم كيف تحول اسم الفاعل من المعتل بالواو إلى الياء؟

---

(1) **مشكلة الهمزة العربية**، رمضان عبد التواب، ص١٤١، انظر كتابه : **التطور اللغوي مظاهره علله، وقوانينه**، ص٧٩، وما بعدها.

(2) **المرجعان السابقان**، الصفحة نفسها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المتأمل في الهمز الذي قيل إنه بدل من الواو والياء، يجده في أغلب السياقات الصوتية التي نجد الهمز فيها بعد فتحة طويلة كما في قائل، بائع، عجائز، صحائف، رسائل.

وأغلب الظن أن الهمز قد حدث في اسم الفاعل من الفعل الأجوف ذي الأصل الواوي أولا، بدليل أن العرب أباحت الإتيان باليائي مصححا غير معل، فقالت: بايع، ولم تقل، قاول، وذلك لأن الكسرة من جنس الياء، فاحتملت، وليست من جنس الواو فلم تحتمل.

والذي حدث أنه عند بناء اسم الفاعل من الأجوف الواوي (قول) qawala سيقال : qawil وهنا تلجأ اللغة إلى التخلص من عنصري شبه الحركة (المزدوج الصاعد) (wi) وتم ذلك بإسقاط العنصر الأول منهما، فسقط شبه الحركة لتصير الصيغة إلى: (qail) وهذا السياق الذي تلتقي فيه الفتحة الطويلة (a) مع الكسرة القصيرة (I) يكون عنقودا صوتيا صعبا، وذلك من قبل أن الفتحة حركة خلفية يرتد معها اللسان إلى أقصى الوراء، والكسرة حركة أمامية يتقدم معها اللسان إلى أقصى درجات تقدمه، ناهيك عن التلاقي الحركي الذي لا تسمح به العربية، وللخلاص من هذا العنقود الصوتي العسر تنحو اللغة منحيين: أحدهما أن يتولد شبه حركة ناتجة عن التقاء الفتحة الطويلة والكسرة، وهي هنا الياء؛ لأن التقاء الفتح والكسر غالبا ما يولد الياء، والتقاء الفتح والضم غالبا ما يولد الواو، فيفصل بين الحركتين (لطويلة والقصيرة) بشبه حركة مناسبة من التقائهما لتصير الصيغة إلى (qayl) كما ينطقها الخطاب المعاصر.

وإما أن يفصل بين الحركتين الطويلة (a) والقصيرة (I) بعد سقوط شبه الحركة (w) بوقفة أو إحداث فجوة وقفية، وليتشكل بذلك مقطعين هما (il) + (qa) بعد أن كانا مقطعا واحدا هو (qail) ويلحظ أن المقطع الثاني قد بدأ بحركة، وهنا تلجأ اللغة إلى تحقيق هذه الحركة، كما فعل في تحقيق كسرة الفعل (اضرب) فتولدت همزة الوصل، يقول بروكلمان(١):

(١) فقه اللغات السامية، بروكلمان، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"كل حركة في أول الكلمة في اللغات السامية تنطق في الأصل محققة، بمعنى أنها تسبق بهمزة". ولكن تحقيق كسرة في اسم الفاعل من الأجوف كان أقوى بسبب إيقاع النبر في المقطع الثاني لينتج بذلك همزة محققة ولتصير الصيغة إلى (q̊ ail). ثم حمل اليائي على الواوي من قبل طرد الباب على وتيرة واحدة، لا سيما أن شيوع الواوي في اللغة أكثر من شيوع اليائي حيث تقع الواو عيناً في اللغة في نحو(٥٥٣) جذراً ثلاثياً، في حين تقع الياء في (٤٥٠) جذراً[١] .

وأغلب الظن أن ما وصلت إليه الصيغة في شكلها الذي التقت فيه الحركتان الفتحة الطويلة بالكسرة القصيرة، عندما كانت الكلمة مقطعاً واحداً، هو ما عبر عنه القدماء بهمزة (بين، بين) التي تعد النواة الأولى لتكون الهمزة في هذا السياق. ثم عمل القياس مرة أخرى بسبب همز عين اسم الفاعل وما جرى مجراه، وطرد الباب على وتيرة واحدة في حلول الهمز وأحرف العلة (الواو، والياء) مكان بعضهما.

أما ما حدث في كساء ورداء فإن ما أسلفه عبد الصبور شاهين حولها يفي بحقيقة العلاقة بين الهمز وأصوات العلة. وما قيل عن بائع وقائل يقال عن ذئب وبئر، فالذي حدث في مثل هاتين الكلمتين أن الأصل فيهما ذيب وبير، حيث تكون الكلمة مقطعاً واحداً: (Ḍīb) و (bīr). ثم يعاد البناء المقطعي لهما، وذلك بانشطار الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين، لتصير الكلمتان إلى (Ḍi/ ib)، و (bi / ir) ويجري على المقطع الثاني ما سلف ذكره في (قائل) حيث تحقق الحركة القصيرة التي في بداية المقطع لتنتج الهمزة، كما أسلف بروكلمان آنفاً، وتصير الصيغتان : (ḍiab) و (biar) .

إن تطور الصيغ السابقة حتى وصلت إلى الهمز يعد من باب الاقتصاد اللغوي في سياقاتها الصوتية.ويبدو ذلك بحذف شبه الحركة تارة أو بالانشطار الحركي تارة أخرى، كما أن

---

(١) انظر: <u>دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس</u>، علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أولويات الاقتصاد اللغوي التي يعنى بها ما يشيع في اللغة من طرد الباب على وتيرة واحدة، إذ لو لم يؤخذ به لكان لكل سياق توجيهه الخاص وقاعدته المميزة، مما سيخلق كمّاً كبيراً يقف معه المتكلم في حيرة، ويشكل عبئاً في تناول السياقات اللغوية والقواعد التعليمية. هذا بالإضافة إلى اعتماد اللغة منهجا واحدا في التعامل مع الظواهر المتشابهة، مما يدفعنا إلى القول بأن القياس يعد أصلاً من الأصول التي يفيد منها الاقتصاد اللغوي.

وليس هذا المبدأ خاصاً بمسألة علاقة الهمز بالألف والواو والياء، وإنما هو أصل من أصول اللغة يشيع في مستويات اللغة كلها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية.

٢٠١الإبدال بين الحركات وأشباه الحركات

هذا النوع من الإبدال هو المرتضى في السياقات الصوتية لما بين الحركات وأشباهها من تقارب مخرجي ووصفي. وحقيقة هذا الإبدال هو ما يتم من تفاعل بين الحركات وأشباه الحركات سواء أكانت سابقة أم تابعة لها ليتحقق في النهاية اقتصاد لغوي فيه يسر نطقي وسهولة أدائية، يؤديان إلى الخفة وهذا هو العامل الرئيس المسؤول عن مجريات هذا الإبدال. ويجد المتأمل في مسائل هذا الإبدال في كتب الصرف الحالات الإبدالية الآتية :-

إبدال الألف ياءً

يكاد علماء الصرف يحصرون إبدال الألف ياءً في مسألتين اثنتين هما: أن ينكسر ما قبل الألف، أو أن يقع قبل الألف ياء كياء التصغير[1]. وضربوا لذلك أمثلة كثيرة نحو مصباح التي تجمع على مصابيح (مفاعيل) قالوا أبدلت الألف ياء في الجمع لكسرة قبلها، وكأنها كانت (مصاباح).

---

(١) انظر : **شرح التصريح على التوضيح**، خالد الأزهري، ج٤/ ٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنّ حقيقة ما تم هو أن الحركة الطويلة (I) والكسرة الطويلة في الجمع تقابل الفتحة الطويلة (a) في المفرد، بمعنى أن ياء مفاعيل (مصابيح) تقابل ألف مِفْعَال (مصباح)، وتحولت الفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة لضرب من المخالفة، فقد حفلت صيغة الجمع بألف التكسير وهي حركة طويلة تزاد لبناء صيغة الجمع، وحفلت بألف الصيغة الموجودة في المفرد أصلاً فخولف بين الحركتين الطويلتين بإبدال الثانية ياءً. بمعنى أن مصابيح مرت بالمراحل الآتية :-

misbah ⟶ masabah ⟶ masabih

المفرد ⟶ بناء الجمع بألف التكسير ⟶ المخالفة بين الحركتين

كما أبدلت الفتحة القصيرة (a) في مَلْعَبْ كسرة قصيرة (I) في ملاعب، وذلك للسبب نفسه (المخالفة بين حركات متماثلة في صيغة واحدة). أما تصغير نحو (غلام) فإن الباحث يوافق ما جاء عند عبد الصبور شاهين، ففي التصغير حذفت الفتحة الطويلة الألف وضم الأول وفتحت اللام وزيدت ياء التصغير بعد اللام فقيل :غليم.

فقد ضم الأول (gu) وفتح الثاني (la) وزيدت ياء التصغير بعد الثاني لتصغير الصيغة غُلَيْم، ولم تبق الفتحة الطويلة لأن بناء التصغير يقتضي التخلص من الحركات الأصلية.

<u>-إبدال الألف واواً</u>

يقول الشيخ خالد الأزهري[١]:

"أمّا إبدالها (الواو) من الألف ففي مسألة واحدة وهي أن ينضم ما قبله سواء أكانت في فعل أم اسم، فالأول نحو :بويع وضورب، مبنيين للمفعول وأصلهما قبل البناء للمفعول بايع وضارب، فلما بنيناهما للمفعول ضممت أولهما فتعذر إبقاء الألف بعد ضمة، لأن الألف لا يكون

---

(١) <u>شرح التصريح على التوضيح</u>، ج٤/ ٢٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما قبلها إلا مفتوحاً فقلبت الألف واواً لمجانسة حركة ما قبلها والثاني نحو ضويـــرب مصغـر ضارب..".

ولكن الرأي الذي ينادي به علم اللغة الحديث هو اعتبار الضمة الطويلة فـي ضـورب حركة للضاد، كما كانت الفتحة الطويلة حركة لها في المبني للمعلوم. إذاً فليس قبل الـواو فـي (ضورب) ضمة، أي ليست الضاد محركة بضمة قصيرة؛ لأن هذه الواو هـي حركـة طويلـة (ضمة طويلة) حركت بها الضاد، وهذا خلاف ما قال به القدماء، كما مرّ بنا عند الأزهري.

إن حقيقة ما تمَّ في الفعل ضارب لما بني للمفعول، هو تطبيق الصيغة البنائيـة للمبنـي للمفعول على هذا الفعل مثله مثل أي فعل آخر، وذلك بضم فائه وكسر عينه، وهـذا يستدعي التخلص من الحركات البنائية التي كانت في الفعل أصلاً قبل بناءه للمفعول.

وإذا تأملنا في حركات الفعل (ضارب) وجدنا فيه حركتين بنائيتين هما :الفتحة الطويلـة (حركة الضاد)، والفتحة القصيرة (حركة الراء). وستسقط هاتان الحركتان لاسـتقبال حركـات البناء للمفعول الجديدة. وبذلك سيصبح الفعل (ضُرِبَ)، ولكن الفعل بهذا القياس يوقعنا في لبـس بين المبني للمفعول من ضَرَبَ والمبني للمفعول من ضارب، وللتخلص من هذا اللبس روعـي الفرق بينهما لما كانا مبنيين للمعلوم،في بنائهما للمجهول.

وواضح تماماً أن الفرق يكمن في طول حركة الضاد، فحوفظ عليه بغض النظـر عـن جنس الحركة، وعليه مدت حركة الضاد في ضُربَ لكي تتماز عن ضُرِبَ، تماماً كما انمـازت ضارب عن ضرب بطول الحركة فقيل : ضورب.

ويبدو الاقتصاد اللغوي في حذف الحركة الطويلة (aa) بعد بناء الفعل للمبني للمفعـول ومد الحركة القصيرة لدفع اللبس. وبذلك نجد أنفسنا أمام حذف ومد في سياق صوتـي واحـد. وهذا موقف مقتصد لم تنحو فيه اللغة نحو جهة واحدة فتجحف بحق الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح".

ولذلك سعت اللغة إلى تحقيق الاقتصاد اللغوي لبذل أدنى جهد في نطق هذه السياقات من جهة، ولتحقيق التوازن بين أصوات السياق من جهة أخرى، بسبب ما بين الحركة (الضم) وشبه الحركة (y) من تخالف كبير. وتم هذا الاقتصاد عن طريق الإبدال، حيث أبدل شبه الحركة (y) بشبه الحركة (w) الذي هو من جنس الحركة السابقة، ثم وحد بين الحركة القصيرة الضمة، وشبه الحركة الجديد (w) ليصبحا حركة واحدة طويلة هي الضمة الطويلة. ويمكن تمثيل ما جرى كما يلي :- muykin ← muwkin ← mūkin

أما شاهين فيرى أن شبه الحركة (y) قد سقط ومدت الضمة، يقول [1]:"ونظراً لثقل هذا التتابع فقد تخلص الناطق العربي منه بإسقاط العنصر الثاني (يقصد شبه الحركة y)، وإطالة العنصر الأول". أي أن المسألة تمت عنده عن طريق الحذف لا الإبدال، لكن السؤال الذي يرد: ما دام شبه الحركة (y) قد سقط فما الداعي لمد الضمة القصيرة ؟! إذ بسقوط شبه الحركة تخلصنا من الثقل؟!

يرى الباحث أن الأمر لو كان على سبيل سقوط شبه الحركة (y) لا إبداله، لكانت مُيقن، تصير :مُقِن، ولا صعوبة فيها. ولكن اللغة لم تفعل ذلك بل أبدلت شبه الحركة (y) بشبه الحركة (w)، ثم دمجت الحركة القصيرة (u) وشبه الحركة الجديد (w)؛ لأنهما من جنس واحد ليصيرا إلى ضمة طويلة (ū).

---

(1) **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما السياق الثاني وهو: إبدال الياء واواً إذا كانت الياء لاماً لفَعْلى، فقد اكتفى عبد الصبور شاهين لما وصل إليه بالقول[١]:

"حدث فيها إبدال للياء واواً، تبعاً للمأثور من كلام العرب، فقيل في: تقيا تقوى، وفي شريا، شروى".

ولو أردنا أن نورد عبارة شاهين الأخيرة لصحت في تخريج أي ظاهرة لغوية، ولأرحنا أنفسنا من عناء التنقيب والبحث في كل مسألة.

ويرى الباحث أن تقوى ومثيلاتها فأغلب الظن أنها حملت على فُعْلى، فأبدلت ياؤها واواً، فأصلها الثلاثي: وقى، حيث الألف منقلبة عن ياء"وقي" وظل هذا الأصل الأخير غير معل لما بني المصدر، فقيل: تقيي، ثم خولف بين الياءين فأبدلت الأولى منهما واواً، فقيل: تقوي، ثم أعل آخره فأبدلت لامه ألفاً ليقال: تقوى. ومثلها شروى. بمعنى أنه توالى شبها حركة، هما المزدوجان y,y فأبدل الأول واواً للمخالفة بين المتماثلين، ثم أبدلت لامه ألفاً.

إبدال الواو ياءً

أحصى الشيخ خالد الأزهري عشر مسائل في إبدال الياء من الواو[٢]. والمتأمل في هذه المسائل العشر يجد سياقاتها لا تنفك أن تكون واحدة مما يلي :-

١. أن تقع الواو بعد كسرة، وهذا السياق يلحظ في إبدال الواو ياءً في قولنا رَضِي وأصلها رَضِو وقولنا :الغازي وأصلها (الغازِو) كذلك في إعلال الواو في صِوام حيث تبدل إلى صيام ومثلها قيام ومن ذلك أيضاً قولهم :دِيار وأصلها دوار، ومنه أيضاً قولهم :ميزان وأصلها موْزان.

---

(١) **المنهج الصوتي للبنية العربية ، شاهين** ، ص١٩٢.

(٢) **شرح التصريح على التوضيح**، الشيخ خالد الأزهري، ج٤/ ٣٧٥-٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. أن تجتمع الواو والياء في سياق واحد متجاورتين، بغض النظر عن المتقدم أو المتأخر منهما،ومن هذا قولهم سيد إذ الأصل فيها سيود على رأي، أو سويد على رأي آخر، وكذلك قولهم دنيا وعليا والأصل فيهما دنوى وعلوى، وقولهم مرضي والأصل مرضوي.

٣. أن تبدل الواو في المفرد ياء إذا بنى المفرد بناء الجمع، كما هو الحال في صائم إذ يجمع على صيم والأصل صُوم.... وعصا التي تجمع على عصي والأصل عصوو.

٤. أن تقع الواو طرفا رابعة فصاعدا نحو : عطوت التي تنتقل إلى أعطيت عند الزيادة، وزكوت إلى زكيت.

وقبل الولوج في بحث تلكم السياقات تجدر الإشارة إلى مسألة أقرها الشيخ خالد الأزهري وهي أن الواو أثقل من الياء، واجتماع الياءين أخف من اجتماع الواوين، والإشارة إلى هذه الحقيقة ذات حضور قوي لبحث الإبدال في هذه السياقات.

وهذا الإبدال يذكرنا بما قاله ابن جني سابقا :" لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح[1].

إن اجتماع شبه الحركة (الواو) مع الحركة (الكسرة) أو اجتماع شبه الحركة الواو مع شبه الحركة الياء يشكل سياقا ذا عنقود صوتي ثقيل، إذ ينتقل اللسان فيه من أقصى تقدمه بالنسبة إلى الحنك الأعلى عند نطق الكسرة إلى منطقة خلفية وهي الطبق عند نطق الواو، كما تنتقل الشفتان من حركة انفراجية عند نطق الكسر إلى الاستدارة عند نطق الواو، ولهذا كله آثرت اللغة الاقتصاد في هذه الحركات النطقية وذلك عن طريق إبدال شبه الحركة الواو فيها إلى ياء أو إلى كسرة طويلة، أي أنها لجأت إلى إبدال الواو بصوت يتناسب مع الكسرة.

---

[1] سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج١/٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة ملمح يضاف إلى ما سبق في تفسير إبدال الواو ياءً في كلمـات مثـل : مـيزان، ميعاد، ميراث، .... إذ الأصل فيها، موزان، (miwzan) وفي هذا السـياق اجتمعـت الميـم، والكسرة والواو متتاليات (miw) ، والميم تصنف كما هو معروف بأنه صوت شـفوي أنفـي تنطبق معه الشفتان انطباقاً تاماً، وبالتالي فإن سياقاً صوتياً كالذي نحن بصدده تنتقل فيه الشفتان من الانطباق التام إلى الانفراج إلى الاستدارة، في حركة متتالية، ولنا أن نتأمل هذه الحركة فـي كل مقطع من هذا الوزن (miw) ، فكان لا بد من الاقتصاد في هذه الحركات، وتم ذلـك مـن خلال الإبدال، حيث أبدلت الواو ياءً، ولتبقى حركة الشفتين من الانطباق إلى الانفراج فقط.

وثمة اقتصاد تم بعد حدوث الإبدال في سياق (رضي) الصوتي نلحظه عند الوقـف. أي أن اللغة تمارس اقتصادين لغويين في سياق واحد ولكن في مواقف مختلفة، فرضي التي أبدلـت الواو فيها ياء لوقوع الواو قبل كسرة، مما يشكل مزدوجاً صاعداً صعباً في النطق فتم إبدال شبه الحركة الواو إلى ياء كما يلي : radiya ⟵ radiwa

ولكننا عند الوقف نبدل شبه الحركة الياء(iy) في رضي إلى كسرة طويلة (I) لتصـير الكلمة رضي ($rad\bar{i}$). وبذلك يكون شبه الحركة قد انتهى إلى حركة طويلة بعد أن انتقـل مـن الواو إلى الياء إلى الكسرة الطويلة.

وما قيل في رضي عند الوقف يقال في ميزان وميراث وميقات.... ونحوها إذ أبدل شبه الحركة الواو في موزان إلى ياء ثم أبدلت الياء كسرة طويلة على النحو الآتي :-

$miwz\bar{a}n \longrightarrow miyz\bar{a}n \longrightarrow m\bar{i}z\bar{a}n$

أما في صيام فلم يبدل شبه الحركة (iy) المبدل من شبه الحركة (iw) لم يبـدل كسـرة طويلة (I) بسبب وجود الحركة الطويلة بعده ($\bar{a}$)، لأن الياء فيها مبدلة أصلاً،كما مر بنا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى بعض الباحثين أن ما تم في ميزان ونحوها لم يزد عن سقوط شبه الحركة (الواو)، ثم مدت الحركة القصيرة (الكسرة) في الميم. أي :Mizan ◄——— miwzan وجعلوا القول بالإبدال في هذا السياق وهما[1]. وهذا القول وإن كان ينتهي بالكلمة إلى الغاية التي انتهى إليها القول بالإبدال، إلا أنه ـ فيما أرى ـ أضعف من القول بالإبدال، لأن العهد الذي جرت عليه الواو إن سبقت بكسرة أن تبدل ياء. فلطرد الباب على وتيرة واحدة، وإطراد القاعدة في السياقات الصوتية نفسها، أرى أن يقال بالإبدال لا الحذف دون الحكم على تخطئة الرأي الأخير؛ لأن الفاضل قد يترك إذا وجد المفضول وفي كل فضل.

أما في سيد وميت وهين وأمثالها .... فقد أبدل شبه الحركة (w) إلى (y) حيث وقع شبه الحركة (w) بين ياء وكسرة، وهذان سببان قويان لإبداله saywid ◄— sayyid أما مرضي، فأغلب الظن أنها قيست على بناء مفعول من (رضي) لتكون: مرضوي (marduy) ثم حذفت واو مفعول (الضمة الطويلة)، وعوض عنها بتضعيف شبه الحركة (y) لتصير إلى (mardyy) وهذا وجه من تعامل اللغة مع هذا السياق. وثمة وجه آخر سلكته اللغة في الوقف وهو إبدال الحركة الطويلة (واو مفعول u) إلى كسرة طويلة I) وإسقاط شبه الحركة (y) لتصير الكلمة (mardi) على وزن مفعي. أما سياقات إبدال الواو ياء إذا تطرفت الواو أو كانت شبه طرف وكذلك سياقات الإبدال في صيغ الجمع، فإن مما انعقد عليه الإجماع أن الجمع يستثقل فيه ما لا يستثقل في المفرد[2] مع الإشارة إلى أن الصيغ المعلة المشار إليها في هذا النمط من الإبدال ما تزال تسمع في اللغة المحكية المعاصرة مصححة غير معلة، كقولهم صوم وقوم وسواح...

---

(١) **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، ص١٨٩.

(٢) انظر : **التبصرة والتذكرة**، الصيمري، ج٢/ ص٨٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ما سبق يشير إلى تطور لغوي مضت فيه الفصحى في إبدال شبهي الحركة (الواوين)، إلى ياءين، فالياء كما يقول عبد الصبور شاهين أيسر نطقاً من الواو وبخاصة في نهاية الكلمة[1].

وكذلك الحال في عصيّ التي أصلها عصوو، حيث أبدلت الواوين ياءين ثم كسر الحرف الأول اتباعاً بعد الإبدال، كما يرى الصيمري [2].

وليس أدل على استثقال الياء في أول الكلمة واستخفافها طرفاً ما نجده من نسبة شيوعها في الموقعين قياساً مع الواو، فقد دلت الدراسات الإحصائية التي قام بها علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين على أن وقوع الواو في الموقع الأول من حروف الجذور الثلاثية هي (٣٩١) مرة في حين بلغ عدد وقوع الياء من حروف الجذور الثلاثية أولاً (١٠٩) مرات.

فإن انتقلنا إلى وقوع الواو والياء عيناً، وجدنا الفارق في عدد مرات وقوعهما أقل، حيث بلغت الواو (٥٥٣) والياء (٤٥٠). ويقل الفارق أكثر وتكاد عدد مرات وقوعهما تتقارب في لام الفعل الثلاثي إذا وقعتا (طرفاً) حيث بلغت عدد مرات وقوع الواو (٣٩٨) وعدد مرات وقوع الياء (٣٥٥).

وهذا التدرج من التفارق إلى التقارب يرتبط باستثقال الياء أولاً، واستخفافها طرفاً والله تعالى أعلم[3].

---

[1] **المنهج الصوتي للبنية العربية**، عبد الصبور شاهين، ص١٩٠، وتجدر الإشارة إلى أن الإعلال في الأمثلة السابقة يؤثر عن قريش والتصحيح يؤثر عن تميم.

[2] انظر : **التبصرة والتذكرة** : الصيمري، ج٢/ ٨٢٧.

[3] انظر : **دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس**، علي حلمي موسى وعبد الصبور شاهين، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نتائج الدراسة

بعد هذا العرض الذي قدمه الباحث في دراسة ظاهرة الاقتصاد اللغوي في السـياقات الصوتية العربية انتهى الباحث إلى النتائج الآتية:-

١- إثبات مصطلح الاقتصاد اللغوي في بحث الظواهر الصوتية انطلاقاً من بحث حقيقة اللغـة ومفهومها، وذلك في إطار التساؤل عن أي المصطلحين أصح استخداماً : اقتصاد لغوي فـي الأصوات أم اقتصاد صوتي في اللغة ؟

فكان من الضروري بحث مفهوم اللغة التي أول حقائقها أنها أصوات، وهذه الحقيقـة الأولية وإن بدت ممثلة للجانب المادي لها، إلا أن استقراء مفهوم اللغة كما نجده عند علمـاء العربية المتقدمين لا يقف عند هذا الجانب، وإنما يستقرأ من مفهوم اللغة عندهم جملـة مـن الأبعاد السيكولوجية الذهنية، بالإضافة إلى الأبعاد الاجتماعية أيضاً. و قد ناقش الباحث هـذه الأبعاد في المفهوم الذي طرحه ابن جني (٣٩٢هـ) للغة، بعد أن عرض للخلاف في مفـهوم اللغة عند علماء اللغة المحدثين الذين ذهبوا مذاهب شتّى في فهمها. و إيضاح حقيقتها.

وارتأى الباحث بعد عرض وجهات النظر المختلفة في فهم اللغة أن مفهوم اللغة كمـا نجده عند علماء العربية المتقدمين يفي بفهم هذه الظاهرة الإنسانية إذا استنطقنا حدّها عندهـم واستقصينا أبعاد دلالاته. وبناءً على ذلك فإن مصطلح الاقتصاد يمكن وصفه بـاللغوي فـي دراسة ما يكتنف الظواهر الصوتية من مسائل مختلفة.

٢- اقترح الباحث مفهوماً لمصطلح الاقتصاد اللغوي بناءً على فهم الاقتصاد كظاهرة وعلـم. وفي هذا المقام استعان الباحث بمعطيات الدراسات التنظيرية في علم الاقتصاد، ثـم عـرض مقابلة بين معطيات هذا العلم وما في اللغة من حقائق، وقد تبين في هذه المقابلة درجة عاليـة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من التطابق والتلاقي، إذ يقوم كلاهما على الاختيار، وفي كليهما وسائل وأدوات تُستَثْمَرُ وتُستَغَلُ في تحقيق المقاصد، ولكل منهما غاية يحددها قبل الشروع بتنفيذها، واستخدام الوسائل الموصلة إليها. وهما في سعيهما المذكور نحو تحقيق الغاية يحرصان على تحقيقها بأفضل وجه وأقل جهد ممكن لذلك فإن التحدي الذي يقف في طريقهما يكاد يكون واحداً أيضاً وهو محدودية الوسائل المتوفرة في الوقت الذي لا تقف فيه الغايات وإشباع الحاجات عند حدّ مرسوم أو سقف معلوم.

٣- اجتهد الباحث في اقتراح مبادئ الاقتصاد اللغوي آخذاً بما تقدمه الدراسات الحديثة في علم الاقتصاد، ومشيراً في الوقت نفسه إلى تصويب الفهم الشائع في ظاهرة الاقتصاد عامة والاقتصاد اللغوي خاصة، وهو أن هذه الظاهرة لا تقتصر على الحذف والإضمار، والاختزال والاختصار... فهذا وإن صَحَّ أحياناً فإنه لا يصح كل حين، ولذلك لا بد من النظرة التكاملية عند بحث مظاهر الاقتصاد للتعرف على تلك المبادئ. وقد توصل الباحث إلى أن السهولة وبذل الجهد الأدنى والتخطيط والتوزيع وحفظ التوازن، هي أهم مبادئ الاقتصاد اللغوي.

وتبين للباحث أنّ اللغة كما تحدث الحذف أو الإبدال أو الإدغام أو تقصير الحركة أو اتباعها أو إسقاطها لتحقيق الاقتصاد اللغوي، فإنها قد تلجأ أحياناً إلى مضاعفة الجهد أو الزيادة أو مد الحركة... لتحقيق الغرض نفسه.

٤- ناقش الباحث مصطلح "القانون الصوتي" الذي شاع في الدراسات الصوتية الحديثة، وانتهى إلى التحفظ على استخدام هذا المصطلح لدلالته القاطعة على حدوث الظاهرة بكل مفرداتها. و يبدو ذلك في عرض الباحث لمفهوم اللغة كظاهرة تمثل طبيعة النفس الإنسانية وما فيها من فكر، وهذه الطبيعة يستمزجها كثير من التباين والاختلاف والتغير، ولذلك فإن مصطلح "قانون" قد لا يصدق إلا مجازاً. وارتضى الباحث أن يشار إلى مصطلح مبدأ بدلا من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودلل الباحث على ما يكتنف سياقات الإدغام الصوتية من اقتصاد لغوي، علما أن مبدأ بذل الجهد الأدنى كمبدأ من أهم مبادئ الاقتصاد اللغوي لا يتحقق في سياقات الإدغام الصوتية غالباً، ولهذا عبرّ الباحث عن حقيقة الخفة التي جعلها المتقدمون غاية الإدغام وفق رؤية سيكولوجية تتمثل في إعادة نطق البنية المقطعية لسياق الكلمة.

١٠- استطاع الباحث بعد استعراض آراء العلماء من المتقدمين والمحدثين إن يرصد الإدغام بين الأصوات المتقاربة في جدولة تستند إلى المجموعة المخرجية للأصوات، حيث تبين في هذه الجدولة الصوت المدغم وصفاته النطقية ويقابله الصوت المدغم فيه ومخرجه وصفاته النطقية كذلك. ثم شرع الباحث في تحليل هذه الجدولة مبيناً الاقتصاد اللغوي في أصوات كل مجموعة مخرجية، ومناقشاً علة امتناع إدغام بعضها ببعض، وجريان بعضها في الإدغام وامتناع بعضها الآخر.

كما عرض الباحث في دراسة موضوع الإدغام إلى رسالتين تعدان من أهم مراجع هذا المبحث، وهما رسالتا أبي سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) : "إدغام القراء"، و"ما ذكره الكوفيون من الإدغام"، حيث كان لهاتين الرسالتين لا سيما الأولى أكبر الأثر في مناقشة الإدغام بين أصوات اللغة عند الحديث عمّا أجازه النحاة من إدغام ومنعوه .

وتبين للباحث من جدولة مبحث الإدغام ـ السابق أن من الأصوات ما لا يدغم إلا في نفسه كالهمزة الواقعة عيناً، فلا تدغم الهمزة في غيرها ولا يدغم غيرها فيها، وبين الباحث علة ذلك. كما بين أن من الأصوات ما يدغم في غيره ولا يدغم غيره فيه كالضاد والميم والشين والفاء والراء والواو والياء، وناقش الباحث آراء العلماء في إدغام هذه الأصوات.

وبين الباحث أن من الأصوات ما يدغم في غيره ويدغم غيره فيه كالتاء والدال والطاء والثاء والذال والظاء بالإضافة إلى أن من الأصوات ما يدغم في مجموعته المخرجية فقط،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحيث يتبادل الإدغام مع أصوات المجموعة التي ينتمي إليها كالصاد والسين والـزاي، كما عرض الباحث لإدغام اللام والنون اللذين استأثرا بحظ كبير في الإدغام، موضحاً ما يكتنف هذه السياقات في الإدغام من اقتصاد لغوي تتمثل فيه مبادئ الاقتصاد والتي سبق الحديث عنها.

١١- توصل الباحث إلى أن ارتفاع الكلفة الأدائية لإنتاج الصوت ونسبة شيوعه في اللغة لهما أثر كبير في مظهر ذي أهمية خاصة في الاقتصاد اللغوي وهو الحذف الصامتي، ومثّل لهذا الحذف بظاهرة حذف الهمز والحذف لتوالي الأمثال، والحذف لالتقاء الساكنين، موضحاً كيفية تحقق الاقتصاد اللغوي في سياقات هذه الظواهر.

كما توصل الباحث إلى أن حقيقة التقاء الساكنين في الوقف يكتنفها شيء من الفصل بينهما الذي قد يتمثل في دفقة هواء مرافقة للصوت الوقفي، أو جريان نفس مرافق للصوت الاحتكاكي مما يوحي بأن التقاء الساكنين بوصف كل منهما ساكناً أمر تجدر إعادة النظر فيه .

١٢- بيّن الباحث ما في الإمالة من اقتصاد لغوي يتمثل في تحقيق مبدأي التوازن وبذل الجهد الأدنى كما أشار الباحث إلى جوانب الإيقاع في سياقات الإمالة الصوتية التي أدت إلى خلق الانسجام في تلك الجوانب، هذا بالإضافة إلى السهولة والتقريب. كما تعرض الباحث إلى موانع الإمالة التي تحول دون إجرائها في اللغة تحقيقاً للمبادئ السالفة.

ومن الجدير بالذكر أن الإمالة كمظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي في الحركات العربية، يبدو معها الاقتصاد اللغوي بين موقعيتها الوسطية في سلّم الحركات ومعنى الوسطية في الاقتصاد.

١٣- توصل الباحث إلى أمن الاتباع الحركي في العربية ليس من قبيل إبدال الحركة إلى جنس حركة سابقة أو لاحقة لها ليتحقق التماثل بينهما، وإنما يتم هذا الاتباع باستحضار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة ذات "الطابع الذهني" مرة أخرى إذا كان الاتباع في حركة لاحقة، أو حضورها القوي قبل نطقها إذا كان الاتباع في حركة سابقة. وبناءً على ذلك فإن ظاهرة الاتباع الحركي في العربية ترتكز إلى أسس سيكولوجية تتخذ فيها حركة ما حضوراً قوياً في الذهن تبدو معها كطابع ذهني، ولهذا نسب الضم إلى قبائل والكسر إلى قبائل أخرى. فإن همَّ الناطق بنطق حركة امتاز بها استحضرت هذه الحركة نظراً لقوتها عنده ليعاد نطقها، وزاد من هذا الحضور ما يعرف بظاهرة التآزر الحركي للأعضاء النطقية عند إنتاج صوت ما .

١٤- أكد الباحث النتيجة القائلة بأن همزة الوصل حركة خالصة انطلاقاً من حقيقة الاتباع الحركي في اللغة، وعليه فإن المقطع في العربية يمكن أن يبدأ بحركة خلافاً لنظرة الكثيرين من الأصواتيين القائلين باستحالة ذلك. وصوّب الباحث ما يشيع في كتب اللغة من لغة تنسب إلى بعض قبائل العرب يجعلون (لم) فيها حرف نصب كقولهم : لم يذهبَ الرجل، وارتأى أن الأمر يزيد عن إحداث اتباع حركي، أتبعت فيه الباء بحركة مماثلة لهمزة الوصل في ال التعريف في كلمة الرجل.

كما استطاع الباحث أن يتتبع تطور بعض الصيغ الصرفية بناءً على ظاهرة الاتباع الحركي واثبات أصلها من فرعها، كما هو الحال في (مذ، ومنذ) مع بيان كل مرحلة من مراحل هذا التطور وفق منظور الاقتصاد في اللغة.

١٥- وفّق الباحث بين اتجاهين ظلا إلى اليوم لحظة خلاف وتناقض يتعلقان بوظيفة الحركات الإعرابية في السياق اللغوي. فأخذ بوجهة نظرهما في هذه المسألة مع حصر كل وجهة في مقامها دون أن تطغى إحداهما على الأخرى ، فمن قال بدلالتها المعنوية فمن باب جعلها علامة من علامات تمييز الكلم في مواقعه من الناحية التركيبية، ومن قال بعدم دلالتها فمن باب تخصيصها للانطلاق بدرج الكلم لئلا يتم البطء عند الدرج من الناحية الصوتية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦- أثبت الباحث أن مغايرة حركة عين الفعل في المضارع لحركة عينه في الماضي قد تمت في مرحلة بني فيها الفعل بناء الأمر، ثم صيغ مضارع جديد جرى فيه ما جرى في الأمر من مغايرة أو عدم مغايرة. وضرب لذلك أمثلة توضح هذا التغير. وكان لخصائص البنية المقطعية في العربية أثرها الواضح في مسيرة هذه الأفعال وتطورها، بالإضافة إلى ما اشتهر من إيثار بعض الأصوات لحركات معينة.

١٧- أشار الباحث إلى ما يكتنف بعض مظاهر الاقتصاد اللغوي من أبعاد دلالية وقيم معنوية، كما هو واضح مثلا في الحديث عن تقصير الحركة ومدها مع الأسماء الستة واقترح الباحث مصطلح "مد الاستذكار" في هذا السياق، وكذلك عن الحديث عن تقصير الحركة في الاستفهام، أيضا. فأوضح الباحث ما يكتنف النشاط النطقي في أول المقطع وآخره من قوة وضعف، وبين ذلك في تحليل بعض الصور الطيفية لبعض السياقات الصوتية مبينا ما فيها من مواطن تكشف أبعاد هذا النشاط، وموضحا تناسب الاقتصاد اللغوي مع درجة النشاط النطقي في موضعه.

١٨- ناقش الباحث فكرة المنكرين للإبدال بين أشباه الحركة والهمزة وانتهى إلى اقتراح تصور يثبت جريان هذا الإبدال الذي تم في الأصل الواوي أولا ثم اطرد الباب فيه على وتيرة واحدة وليحمل عليه اليائي. وقد صح لي أن ما تسلكه البنية المقطعية من خصائص أدت إلى إحداث هذا الإبدال على الرغم من تباعد المخرجين بين الهمزة وأشباه الحركات.

١٩- وضح الباحث ما يتم من اقتصاد لغوي في الإبدال بين الحركات وأشباه الحركات وبين مبادئ الاقتصاد اللغوي في هذه السياقات، وما يكتنف مسائل هذا الإبدال من حذف وتقصير وزيادة وقلب ..

واجتهد الباحث وهو يعرض مسائل الاقتصاد اللغوي في أصوات العربية أن يقدم تفسيرات دلالية لما يكتنف هذه السياقات من مظاهر اقتصادية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

"الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية العربية"

رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة اليرموك/ ٢٠٠٣

إعداد الطالب

منير تيسير شطناوي

إشراف الأستاذ الدكتور

سمير إستيتيه

قدّم الباحث في هذه الدراسة تصوراً أثبت فيه صحة الاقتصاد بوصفه لغوياً في بحث ما يكتنف سياقات اللغة من ظواهر صوتية تحمل على قيم الاقتصاد وأبعاده، وذلك بإدراك حقيقة اللغة كظاهرة إنسانية وخصيصة اجتماعية.

وبناء على ذلك اقترح الباحث تعريفاً للاقتصاد اللغوي مفيداً من معطيات علم الاقتصاد وما ترفده الأنظار اللغوية في حقل اللغة من دلالات يمكن التوليف بينها، ثم عرض لأهم مبادئ الاقتصاد اللغوي معرجاً على الأبعاد السيكولوجية للظواهر التي تتمظهر فيها تلك المبادئ من جهة، وممثلاً بشواهد ونماذج لغوية تدلل على تلك الأبعاد وتداعياتها من جهة أخرى.

وقد حصر الباحث دراسته لظاهرة الاقتصاد اللغوي في أصوات العربية، فقسم سياقات اللغة الصوتية إلى صوامت وحركات وأشباه حركات، تحدث فيها عن الاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية للصوامت التي تجلت في مظاهر مختلفة أهمها: الإبدال والإدغام والحذف الصامتي.

وعرض كذلك للاقتصاد اللغوي في السياقات الصوتية للحركات وأشباه الحركات في العربية في إطار جملة من الظواهر التي تبدو فيها قيم اقتصاديات اللغة في سياقها الحركي نحو: التماثل والتخالف الحركي، وحذف الحركة وتقصيرها، وإبدال أشباه الحركات والإبدال منها.

ولم يخل عرض تلكم المسائل من أبعاد دلالية وقيم معنوية، بالإضافة إلى ارتباطات ذهنية سيكولوجية تجعل من العربية لغة اقتصادية في كل مستوياتها لا سيما الصوتي منها، كما دلت التجارب المخبرية والأرقام الإحصائية والجداول البيانية التي عرضها الباحث في رسالته.

الكلمات المفتاحية: "الاقتصاد اللغوي، السياقات الصوتية، الحركات، أشباه الحركات، الصوامت"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"Abstract"

Linguistic Economy in Phonological Arabic Contexts

Dissertation submitted to yarmouk university

Irbed – Jordan

2003

Moneer Taiseer Mansor Shatnawi **supervisor prof. Sameer Istateeh**

This study presents a vision that proved the accuracy of economy of language in studying phenomena concerning the values of economy and its dimensions encompassing the contexts of the Arabic language by realizing the reality of the language as stated in its culture. Consequently, the researcher suggested a definition to "language economy" benefiting from the facts of the science of economy and what the language views assist in the field of language, such as denotations that can be approached. In addition, he discussed significant principles of language economy mentioning the psychological dimensions of the phenomena representing these principles, on the one hand, and providing language forms and patterns indicating these dimensions and their repercussions, on the other.

The researcher limited his study of the phenomenon of language economy to the sounds of the Arabic language. He divided the phonological contexts into: consonants, vowels points and semi-vowels points. He discussed language economy in Arabic phonological contexts represented in various phenomena: replacement, assimilation, and consonant omission. Furthermore, he discussed language economy in phonological contexts of Arabic vowels points and semi-vowels points within the frame work of a group of phenomena showing the values of language economy in their vowel point context, such as, vowel point resemblance and contradiction, vowel point omission and shortening and replacement of semi-vowels points.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The discussion of the phenomenon of language economy the phonological Arabic contexts was not without semantic dimensions and connotation values in addition to mental and psychological connections making the Arabic language an economic language at all levels, especially the phonological as shown by lab experiments, statistical analyses and tables provided by the researcher.

KEY WORDS:

"Linguistic Economy, Phonology, consonants, vowels, semi-vowels , contexts"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول الآيات القرآنية الكريمة:

الآيـــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وعلى الله قصد السبيل	النحل	٩	٢٤
واقصد في مشيك	لقمان	١٩	٢٤
سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً	الإنسان	٧٦	٤٩
قواريرا قواريرا	الإنسان	١٥	٤٩
ولا يغوثاً ويعوقاً ونسراً	نوح	٢٣	٤٩
لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم	المائدة	١٠١	٥٠
فليملل وليه بالعدل	البقرة	٢٨٢	٥٣
فهي تملى عليه	الفرقان	٥	٥٣
ولتعرفنهم في لحن القول	محمد	٣٠	٦١
سأونبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا	الكهف	٧٨	٦٣
ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا	الكهف	٨٢	٢٩،٦٣
اضرب بعصاك	البقرة	٦٠	٩٧
ومن يرتد منكم عن دينه	المائدة	٥٤	٩٨
فاغفر لنا	آل عمران	١٩٣	١٠٨
واستغفر لهم	النساء	٦٤	١٠٨
وسخر لكم	إبراهيم	٣٢	١٠٨
ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم	النحل	٧٠	١٠٨
إلى ذي العرش سبيلا	الإسراء	٤٢	١٠٩
إن نشأ نخسف بهم	سبأ	٩	١١١
وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً	النساء	١٥٦	١١٢
أليس الله بأعلم بالشاكرين	الأنعام	٥٣	١١٢
شهر رمضان	البقرة	١٨٥	١١٢
همت طائفة	آل عمران	١٢٢	١١٥
قالت طائفة	آل عمران	٧٢	١١٥
يكاد سنا برقه	النور	٤٣	١١٩
ولم أك بغياً	مريم	٢٠	١٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً	مريم	٩	١٢٤،١٨٤
إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن ...	لقمان	١٦	١٢٤
عليهم نار مؤصدة	الهُمَزة	٨	١٢٦
قد أفلح المؤمنون	المؤمنون	١	١٢٥
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم	آل عمران	١٥	١٢٥
وأمر أهلك	طه	١٣٢	١٢٥
ولا يصدنك عن آيات الله	القصص	٨٧	١٣٠
و لتسمعنً من الذين أوتوا الكتاب	آل عمران	١٨٦	١٣٠
ولا الليل سابق النهار	يس	٤٠	١٣٧
والضحى	الضحى	١	١٤٣
ما ودعك ربك وما قلى	الضحى	٣	١٤٣
قال يا بشرى هذا غلام	يوسف	١٢	١٤٥
الحمد لله رب العالمين	الفاتحة	١	١٥٠
والسماء ذات الحبك	الذاريات	٧	١٥٢
ولقد استهزئ برسل من قبلك	الأنعام	١٠	١٣٥
الم الله	آل عمران	١	١٥٥
ألم نشرح لك صدرك	الانشراح	١	١٥٥
فخسفنا به وبداره الأرض	القصص	٨١	١٥٦
سكارى وما هم بسكارى	الحج	٢	١٧٥
لا إله إلا هو	الحشر	٢٣	١٧٦
لا ريب فيه	البقرة	٢	١٧٦
لا شية فيها	البقرة	٧٦	١٧٦
لا جرم	النحل	١٠٩	١٧٦
فتوبوا إلىٰ بارئكم	البقرة	٥٤	١٨٧
يأمركم	البقرة	٦٧	١٨٧،١١٣
ينصركم	آل عمران	١٦٠	١٨٧،١١٣
يشعركم	الأنعام	١٠٩	١٨٧
فهو خير لكم	النساء	٢٥	١٩١
لهي الحيوان	العنكبوت	٦٤	١٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي خاوية على عروشها	الحج	٤٥	١٩١
وهو بكل شيء عليم	البقرة	٢٩	١٩١
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فسلكوه	الحاقة	٣٢	٤٧
سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود	الواقعة	٢٨	٤٦
لبعض شأنهم	النور	٦٢	١١٠
قل أعوذ برب الناس	الناس	١	١٥٥،١٤٦
والقمر إذا تلاها والسماء وما بناها	الشمس	٢	١٤٥
قل هو الله أحد الله الصمد	الإخلاص	٢،١	١٣٧
كن فيكون	يس	٨٢	١٨٤
إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً	آل عمران	١٧٨	٥٣
لكيلا يعلم بعد علم شيئا	الحج	٥	١١٢
الحمد لله رب العالمين	الفاتحة	١	١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول الشواهد الشعرية:

القافية		البحر	الشاعر	الصفحة
الهمزة	العذراء	المديد	عبد الله بن قيس الرقيات	١٣٧
الدال	ردّوا	الطويل	الحطيئة	١٥٨
الراء	انعصر	الرجز	أبو النجم	١٨٩
اللام	ولا واغل	السريع	امرؤ القيس	١٨٧
	إلا قليلا	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجداول:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشكال والصور:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول المصادر والمراجع:

١. أبحاث في أصوات العربية، حسان النعيمي، المكتبة الوطنية، بغداد ط١/١٩٩٨

٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي" البناء" وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/١٩٩٨

٣. الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٩٨٧

٤. أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، عفيف دمشقية،معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٧

٥. إدغام القراء" السيرافي، تحقيق محمد علي عبد الكريم الرديني، الناشر، دار أسامة، ط٢/١٩٨٦

٦. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، ط١/ ١٩٨٤

٧. أسرار العربية، الأنباري، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١/١٩٩٧

٨. أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨

٩. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان

١٠. إصلاح المنطق، ابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٥٦،

١١. الأصوات العربية، كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة/١٩٨٧

١٢. الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية/١٩٩٥

١٣. الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥

١٤. أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب، القاهرة/١٩٩٠

١٥. الأصوات اللغوية، ياسر الملاح، مركز الأبحاث الإسلامية، مؤسسة دار الطفل العربي، القدس/١٩٩٠

١٦. الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير استيتية، دار وائل،عمان ط١/٢٠٠٣

١٧. الإضاءة في بيان أصول القراءة،علي محمد الضباع، ملتزم الطبع عبد الحميد حنفي، القاهرة، ١٩٣٨

١٨. الألسنية العربية، ريمون طحان، (سلسلة الألسنية)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، المكتبة الجامعية ط١، ١٩٧٢،

١٩. الألسنية علم اللغة الحديث. ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١/ ١٩٨٤،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠. الإمالة في القراءات واللهجات، عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع.
٢١. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محـي الديـن عبـد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٧
٢٢. بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣/ ١٩٩٥
٢٣. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تقديم وتخريج مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٩٨٨
٢٤. بعض مظاهر التطور اللغوي، التهامي الراجي الهاشمي، الـدار البيضـاء، دار النشـر المغربية/١٩٧٨
٢٥. البنى النحوية، تشومسكي، ترجمة، يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافيـة العامـة، بغداد، ط١، ١٩٨٧
٢٦. البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، تحقيق : طه عبد الحميد طه: دار الكتاب العربي، القاهرة.
٢٧. التبصرة والتذكرة، الصيمري، تحقيق فتحي أحمد، مركز البحـث العلمـي، جامعـة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
٢٨. التبيان في إعراب القرآن، العكـبري، تحقيـق علـي محمـد البجـاوي، دار الجيـل، بيروت/١٩٧٦
٢٩. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة،/١٩٦٧
٣٠. تصحيح الفصيح، ابن درستويه، تحقيق عبد الله الجبوري، رئاسـة ديـوان الأوقـاف، بغداد/١٩٧٥
٣١. التصريف العربي،الطيب البكوش، تقديم صالح القرمادي، تونس ط٣ /١٩٩٢
٣٢. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط١/١٩٩٣
٣٣. تقريب المقرب، أبو حيان الأندلسـي، تحقيـق عفيـف عبـد الرحمـن، دار السـيرة، بيروت،/١٩٨٢
٣٤. التطور اللغوي، مظاهرة وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقـاهرة، دار الرفاعي بالرياض/١٩٨١
٣٥. التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ، تحقيق غانم قدوري حمد، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، ط٣/١٩٩٧
٣٦. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، عني بتصحيحه: اوتويرتزل، دار الكتـب العلمية، بيروت لبنان ط١/١٩٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٧. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، للرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٢/ ١٩٦٨
٣٨. الجمل، الزجاجي، تحقيق علي الحمد، دار الأمل، اربد/١٩٨٤
٣٩. الجنى الداني، المرادي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١/١٩٩٢
٤٠. الحصيلة اللغوية، أحمد محمد المعتوق عالم المعرفة، ٢١٢، آب ١٩٩٦،
٤١. حق التلاوة، حسن شيخ عثمان، ط٧، ، مكتبة المنار، الزرقاء/١٩٨٧
٤٢. الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤/ ١٩٩٠
٤٣. دقائق التصريف، القاسم بن محمد المؤدب، تحقيق أحمد ناجي القيسي وآخرون، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧
٤٤. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، علي حلمي موسى، وعبد الصبور شاهين، الكويت، جامعة الكويت. ٦٠٦٥٥٨
٤٥. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٩٩١،
٤٦. دروس في علم اللغة العام، حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة.
٤٧. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان ترجمة، كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة/١٩٧٥
٤٨. ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، تحقيق مصطفى النماس، ط١/١٩٨٩
٤٩. ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف
٥٠. رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تحقيق محمد حسن الطيان ويحيى مير علم، مراجعة شاكر الفحام وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات المجمع اللغة العربية بدمشق، ط١/١٩٨٣
٥١. الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط٣، ١٩٩٦،
٥٢. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال، الصعيدي، مكتبة ومطبغة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٩
٥٣. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق محمد حسن وأحمد شحادة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/٢٠٠٠
٥٤. شرح أبي حيان على ألفية ابن مالك،"منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" طبعه: سدني كليزر، ١٩٤٧
٥٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت، ط٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٦. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية

٥٧. شرح التصريح على التوضيح. الأزهري، دار الفكر، بيروت.

٥٨. شرح الفصيح في اللغة، أبو منصور الجبّان، تحقيق عبد الجبار جعفر القزاز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١/١٩٩١

٥٩. شرح المراح في التصريف، بدر الدين العيني، تحقيق عبد الستار جواد، بغداد/ ١٩٩٠

٦٠. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي، محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢

٦١. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الانصاري، تحقيق عرفات مظرجي، مؤسسة الكتب الثقافية/١٩٩٨

٦٢. شرح مفصل الزمخشري، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة .

٦٣. شرحان على سراح الأرواح في علم الصرف، أحمد بن علي بن مسعود، الشرح الأول "(متن الكتاب) للمولى شمس الدين أحمد، المعروف بديكنقوز، أحد علماء القرن التاسع الهجري، والثاني: الفلاح شرح المراح، لشمس الدين أحمد بن سليمان المشهور بان كمال باشا، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٣/١٩٥٩

٦٤. شفاء الغليل فيما قي كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي، صححه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنيرية بالأزهر، مكتبة الحرم الحسيني ط١.

٦٥. ظاهرة التخفيف في النحو العربي، أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، ط١/ ١٩٩٦

٦٦. علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٨

٦٧. علم الأصوات، بريتيل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٤

٦٨. علم الاجتماع اللغوي، السيد علي شتا، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٨٨

٦٩. علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣/١٩٩٧

٧٠. علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة محمود عبد الغني عياد، مراجعة عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧،

٧١. علم اللغة في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، الجمهورية العربية السورية، وزارة والتعليم العالي،

٧٢. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط٧، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢

٧٣. علم اللغة، محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٣،

٧٤. علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة .

٧٥. العمد في التصريف عبد القاهر الجرجاني، تحقيق البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٦. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعـــات جامعـــة الرياض،١٩٧٧،
٧٧. في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الحـــافظ للنشـــر، بغداد، ١٩٨٣
٧٨. في التطور اللغوي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة/١٩٩١
٧٩. في صوتيات العربية، محي الدين رمضان، مكتبة الرسالة، عمان/١٩٧٩
٨٠. في علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٤،
٨١. في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهار للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٨،
٨٢. فصول في علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية واد باسكين، ترجمه إلى العربية، أحمد نعيم كراعين، دار المعرفة الجامعية، الإســـكندرية، دار المعرفة الجامعية/١٩٨٢
٨٣. القيمة الوظيفية للصوائت، ممدوح عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية /١٩٩٨
٨٤. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، الناشر، مكتبة الخـــانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٨،
٨٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيـــق محـــي الديـــن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٩٧٤،
٨٦. الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، الأسنوي ٧٧٢هـــ تحقيق محمد حسن عواد، دار عمار، ط١، ١٩٨٥،
٨٧. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيـــدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط١/١٩٩٥
٨٨. اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس دار المعارف بمصر،
٨٩. اللغة العربية معناها ومبناها، وتمام حسان دار الثقافة والدار البيضاء، ط٤، ١٩٩٤
٩٠. اللغة والطفل في ضوء علم اللغة النفســـي، حلمـــي خليـــل، دار المعرفـــة الجامعيـــة، الاسكندرية/١٩٨٧
٩١. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة مصطفى التوني، دار النهضة العربية ، القـــاهرة، ط١/١٩٨٧
٩٢. اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضـــوان، عالم المعرفة ٢٦٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب/ الكويت، تشرين الثاني/٢٠٠٠
٩٣. اللغة والحياة والطبيعة البشرية وروى سي هجمان في ، ترجمة داود حلمي وأحمد السيد، جامعة الكويت ط١/١٩٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٤. اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٨
٩٥. ما ذكره الكوفيون من الإدغام"، السيرافي، تحقيق: صبيح التميمي، دار البيان العربي، جدّة١٩٨٥
٩٦. مبادئ الاقتصاد الجزئي لعبد الوهاب الأمين دار المعرفة، الكويت، ١٩٨٢
٩٧. مبادئ اللسانيات العامة، أندريه مارتينيه، ترجمة أحمد الحمو، دمشق، وزارة التعليم العالي/١٩٨٥
٩٨. مبادئ الاقتصاد الجزئي، علي حافظ منصور، ومحمد عبد المنعم عفر، جامعة الملك عبد العزيز، عام ١٩٧٩
٩٩. المبدع الملخص من الممتع، تحقيق مصطفى أحمد خليل، مطبعة السعادة، القاهرة/١٩٩٤
١٠٠. مطبعة الرازي، منشورات محمد أسامه الكرم. دمشق ، مكتبة عنبر، ط٢/ ١٩٨٦.
١٠١. مجالس ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، النشرة الثانية، ١٩٤٨،
١٠٢. محاضرات ودن، تأملات في اللغة، تقديم تشومسكي، ترجمة مرتضى ، جواد باقر وعبد الجبار محمد علي، مراجعة عبد الباقي الصافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١ /١٩٩٢،
١٠٣. المحتسب، ابن جني ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٩٩٨
١٠٤. مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة محمد زياد، كبة، جامعة الملك سعود، الرياض/ ١٤١٧هـ،
١٠٥. مدخل إلى الألسنية، تأليف بول فابر، كريستان، بايولن، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢
١٠٦. مدخل للصوتية التوليدية، إدريس السفروشني، دار توبقال، المغرب/١٩٨٧
١٠٧. المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق محمد أحمد البجاوي وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت/١٩٨٦
١٠٨. مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، في القاهرة/ ١٩٩٢.
١٠٩. معالم جديدة للمنهج المقارن، بين اللغات السامية، جوانب أنثروبولوجية ونفسية واجتماعية، سمير استيتية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العاشرة، العدد الثلاثون، حزيران، ١٩٨٦
١١٠. معاني القرآن الزجاج،تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ط١/١٩٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١١. معجم شواهد النحو الشعرية، حنا جميل حداد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض/١٩٨٤

١١٢. مفاتيح الألسنية، جورج مونان، ترجمة الطيب الكوش، تقديم صالح القرمادي، منشورات سعيدان/ ١٩٩٤

١١٣. المفتاح في الصرف، الجرجاني، تحقيق علي الحمد، مكتبة الرسالة، بيروت/١٩٨٧

١١٤. مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣،

١١٥. المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣،

١١٦. المقرب، ابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبدالله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، دار إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، ط١/ ١٩٧١

١١٧. الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت.

١١٨. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان،، دار الثقافة والدار البيضاء، ط٢، ١٩٧٤،

١١٩. المنصف، شرح تصريف المازني، لابن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١/١٩٩٩

١٢٠. المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٧

١٢١. نتائج الفكر في النحو السهيلي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ١٩٨٤،

١٢٢. نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥

١٢٣. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري أشرف على تصحيحه: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٤. النظرية الاقتصادية، د. نعمة الله نجيب إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤

١٢٥. همع الهوامع، السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/١٩٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit